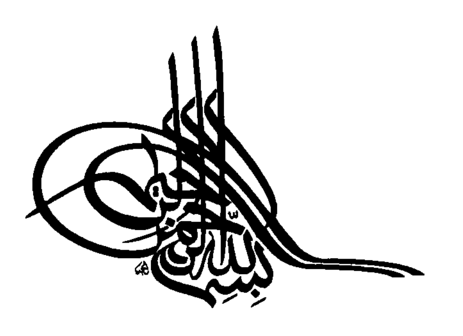


وَقفاتٌ تربَوِيَّةٌ وفوائِدُ دعوِيَّةٌ
واستِراحاتٌ وقُطوفٌ نثرِيَّةٌ وشِعرِيَّةٌ

إعداد
د. أنس أحمد كرزون








عطر المجالس
وقفاتٌ تربويّةٌ وفوائدُ دعويّةٌ
واستراحاتٌ وقُطوفٌ نثريّةٌ وشعريّةٌ

الطّبعَة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

دار نور المكتبات

السّعودية - جدّة - حيّ السّلامة - بجوار جامع الشعيبي
هاتف وفاكس: ٦٨٣٨٠٥١ - ص.ب: ٤٠٣٧٤ - الرمز البريد: ٢١٤٩٩

دار البشائر الإسلاميّة

للطباعة والنشر والتوزيع هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb

المقـــدّمَة

الحمدُ للَّـهِ حمدَ الشاكرين، والصَّلاة والسَّلام على الهادي الأَمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، **وبعد**:

فإنَّ هذا الكتاب المنوَّع يحوي فوائد وفرائد، وباقة من الموضوعات والتوجيهات والحكم، ونصوصاً نثريَّةً وشِعرِيَّةً، ومقتطفاتٍ ومعلوماتٍ. . وينتقل بك ليقطف لك من كل بستانٍ زهرة، ومن كل جانبٍ فكرة تهدف إلى التوجيه، والدعوة إلى الخُلُق القويم، والاستزادة من العلم النافع.

وما أحوج الداعية اليوم إلى مثل هذه القطوف المنَوَّعة ليعطِّر بها المجالس، ويُؤنس بها الغادي والرائح، وينشِّط بها الهمم، ويدفع بها السآمة والملل، ويقرِّب بها الأفكار بما يصاحبها من عِبَرٍ وأمثال وأشعار، تشدُّ انتباه المستمعين، وتفتح أقفال قلوب الغافلين.

ولا يَظُنَّنَّ القارىء أَنَّ هذه القطوف موضوعات متكاملة يستغني بها في الدعوة والإِرشاد عن غيرها من كتب العلوم الشرعية التي حفلت بأعظم زاد، فما هذه الوريقات إلاَّ خواطر وأفكار، ومقتطفات من بدائع الحِكَم تُوَشَّى بها موضوعات الدعاة وخطبهم ودروسهم ومواعظهم وأحاديثهم.

وكثيراً ما يجلس الداعية في محفل من المحافل، أو يجمعه ببعض الأقارب والجيران والأصدقاء مجلس من المجالس، أو يُدعَى لحفلٍ أو وليمة أو مناسبة ما، ويُطلب منه أن يتحدَّث ويوجّه بما يناسب المقام، فلا يليق به آنذاك أن يلقي موضوعاً تفصيليّاً، ويفرِّع ويستوعب كل ما يحتاجه موضوعه من شواهد ونصوص، وأدلَّة وأفكار، وكأنها محاضرة علمية أو درس فقهي، فهذا لا يتَّسع له المقام ولا يناسب الحال ولا يستحسن أبداً.

وإنما اللائق به أن يلقي موعظة خفيفة، ويلفت الأنظار إلى موضوعات توجيهية طريفة، ويتحدَّث لجلسائه ببعض الأفكار التربوية اللطيفة، ويلتقط مما يجول بخاطره ويحفظه دُرَراً من الفوائد والنفائس التي تشوِّق الجالس وتزيِّن المجالس، وتناسب مختلف الأعمار والمستويات، فلا يمل الصغير ويضجر، ولا يُعرِض الكبير أو يتشاغل عن السماع والإنصات.

أجَل.. هذه هي الحكمة في استغلال اللقاءات والمناسبات والمجالس بما لا يثقل على السامعين، وإنما هي جرعة توجيهية وموعظة تربوية، تحبِّب الناس بالعلم والعلماء، وتجعلهم يطلبون المزيد، وتِلْكُم هي السنة النبويَّة في المواعظ لعامة الناس، فقد كان رسول الله ﷺ يتخوَّل أصحابهُ بالموعظة مخافة السآمة والملل، مع شدَّة شوقهم لحديثه، وحرصهم على الاستماع إليه.

وكان ﷺ يقول لأصحابه مرشداً لهم للأسلوب الحكيم في الدعوة:

«حدِّثوا الناس بما يعرفون أتُحِبُّون أن يُكَذَّبَ اللّهُ ورسوله»[1].

والحكمة هي وضع الشيء في محلّه.. ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[2].

وقد جرت عادة علماء السلف الصالح رحمهم الله أن يجمعوا ما يصل إليهم من بدائع الحكم والأمثال، وكلام البلغاء، ونفائس الشعر، والأخبار الظريفة؛ لتكون سلوة للقارىء وشحذاً لهمَّته وتوجيهاً له إلى طرق الخير.

فهذا الإمام ابن عبد البر رحمه الله يشير إلى هذه الفوائد الجمَّة في مقدمة كتابه «بهجة المجالس»، فيقول[3]:

(وبعدُ: فإنَّ أولى ما عُني به الطالب، ورَغِبَ فيه الراغب، وصرف إليه العاقل همّه، وأكَّد فيه عزمه، بعد الوقوف على معاني السنن والكتاب: مطالعةُ فنون الآداب، وما اشتملت عليه وجوه الصواب، من أنواع الحكم التي تحيي النفس والقلب، وتشحذ الذهن واللب، وتبعث على المكارم، وتنهى عن الدنايا والمحارم. ولا شيء أنظم لشمل ذلك كله، وأجمع لفنونه، وأهدى إلى عيونه، وأعقل لشارده، وأثقف لنادره؛ من تقييد الأمثال السائرة، والأبيات النادرة، والفصول الشريفة، والأخبار الظريفة، من حكم الحكماء وكلام البلغاء العقلاء، من أئمة السلف،

---

(١) رواه البخاري في العلم ١/ ١٩٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٩.

(٣) بهجة المَجالس وأُنس المُجالس، للإمام ابن عبد البر القرطبي ١/ ٣٥.

وصالحي الخلف، الذين امتثلوا في أقوالهم وأفعالهم آداب التنزيل، ومعاني سنن الرسول ﷺ، ونوادر العرب وأمثالها. . .).

ثم يقول رحمه الله: (وقد جمعت في كتابي هذا من الأمثال السائرة، والأبيات النادرة، والحكم البالغة. . . ما انتهى إليه حفظي ورعايتي، وضمته روايتي وعنايتي؛ ليكون لمن حفظه ووعاه، وأتقنه وأحصاه، زيناً في مَجالسه، وأُنساً لمُجالسه، وشحذاً لذهنه وهاجسه. . . يحسنُ موقع ذلك في الأسماع، ويخف على النفس والطباع، ويكون لقارئه أنساً في الخلاء، كما هو زين له في الملاء، وصاحباً في الاغتراب، كما هو حَلْيٌ بين الأصحاب).

ثم ينقل عن الشعبي قوله: (لو أنَّ رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ليسمع كلمةً ينتفع بها فيما يَستقبل من عمره، ما رأيتُ أن سفره قد ضاع).

كتب النوادر والطرائف:

كثرت في هذه الأيام كتب النوادر والطرائف والفكاهات التي تضم الغث والسمين وتجمع بين الضار والنافع؛ لأنها تهدف إلى تسلية القارىء بكل ما هو طريف ومضحك، ولو كان بشيء مكذوب أو سخيف، أو مستهجَن أو فاحش، وقد يصل الأمر ببعض هذه النقول والأخبار إلى الإساءة للصحابة الكرام والسلف الصالح والخلفاء والأمراء المشهود لهم بالصلاح في تاريخ المسلمين، بما يُنسب لهم من أخبار لا تليق أن يوصف بها مسلم عاقل، فكيف بهؤلاء الأبرار والصفوة الأخيار؟

ولقد حذَّر المصطفى ﷺ من ذلك فقال: «**ويلٌ للذي يحدِّث بالحديث ليُضحك به القوم فيكذب، ويلٌ له، ويلٌ له**»[1].

فليحذر القارىء أن يضيِّع أوقاته ويشتِّت ذهنه بمطالعة هذا الغثاء الذي لن يمنحه التسلية والسرور، وإنما يصيبه بضيق الصدر والفتور؛ لما يطالعه من مساوىء تُنسب للأبرار، ومعايب يوصف بها الأخيار، الذين هم قدوة للمؤمنين، ومثل أعلى للسائرين في طريق الحق.

عطر المجالس:

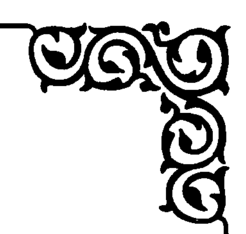
وقد وفقني المولى سبحانه لالتقاط نفائس من اللآلىء والدرر خلال طلبي للعلم، وتأليفي عدداً من الكتب التوجيهية والتعليمية، أضفت إليها بعض المقالات والموضوعات، لتكون أنيساً لكل قارىء في وحشة الحياة المادية التي نعيشها اليوم، وعطراً للمجالس، وجليساً صالحاً كحامل المسك في وقتٍ عزَّ فيه وجود الصحبة الصالحة، وطغت فيه ظلمات نافخي الكير ودعاة الفساد.

سائلاً المولى سبحانه أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله نوراً لي وذخراً يوم العرض عليه وعلماً يُنتفع به إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

د. أَنَسْ أَحْمَد كَرزُون

---

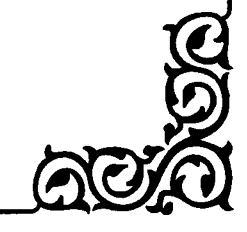
(١) رواه أبو داود، رقم (٤٩٩٠)، والترمذي رقم (٢٣١٦).



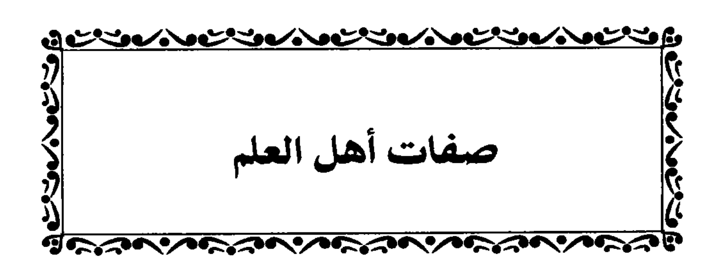
العلم والعلماء

* صفات أهل العلم .
* فتوى الفقيه ومراعاة الحال .
* معرفة حال المستفتي وأهمية ذلك في الفتوى .
* خطر التسرُّع في الفتوى .
* تواضع العلماء .
* نماذج من سيرة علمائنا الأجلَّاء .
* مع أسلافنا العلماء (ابن تيمية وابن الوردي) .
* العلم في الصغر كالنقش على الحجر .
* اطلب العلم من المهد إلى اللحد .
* وثيقة تاريخية في أدب القضاء .
* العالم كالسراج .
* سنريهم آياتنا في الآفاق .
* أبصر من البصير .
* العلم والعمل .
* الأجر الذي لا ينقطع .
* الكتاب النافع صاحب ناصح .
* وخير جليس في الأنام كتاب .
* مؤلف الكتب محسود .
* مكانة الإمام الشافعي .
* شريح القاضي .









صفات أهل العلم

* قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

(لما كان التبليغ عن الله سبحانه يعتمد العلمَ بما يبلِّغ، والصدقَ فيه، لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفُتيا إلاَّ لمن اتصف بالعلم والصدق، فيكون عالماً بما يبلِّغ، صادقاً فيه، ويكون مع ذلك حسن الطريقة، مرضيَّ السِّيرة، عدلاً في أقواله وأفعاله، متشابه السرّ والعلانية في مدخله ومخرجه وأحواله.

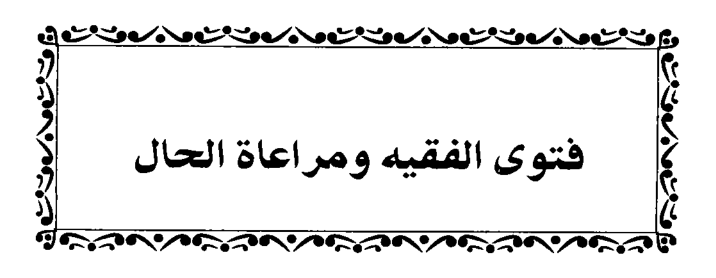
وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الَّذي لا يُنكَر فضله، ولا يُجهل قدره، وهو أعلى مراتب السنيَّات، فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات؟

فحقيق بمن أُقيم في هذا المنصب أن يُعِدَّ له عُدَّته، وأن يتأهَّب له أهبته، وأن يعلم قدر المقام الَّذي أقيم فيه، ولا يكون في صدره حرج من قول الحق والصدع به، فإنَّ الله ناصره وهاديه وليعلم المفتي عمَّن ينوب في فتواه، وليوقن أنه مسؤول غداً وموقوف بين يدي الله.

وأوَّل مَن قام بهذا المنصب الشريف سيِّد المرسلين، وإمام المتَّقين، وخاتم النبيِّين، عبد الله ورسوله، وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده، فكان يفتي عن الله بوحيه المبين...)(١).

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم ١/ ٢٠.



فتوى الفقيه ومراعاة الحال

الفقيه طبيب حاذق، متفرِّس ماهر، ينبغي أن يعرف أحوال الناس ويفتيهم بما يوافق المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، وأولها حفظ الدِّين وعدم التفريط في الطاعات، فكم من الفتاوى سهَّلت على الناس التفلُّت من أحكام الدِّين والجرأة على المعاصي، وكم من الفتاوى شدَّدت في غير موضع التشديد فنفَّرت النفوس وأساءت إلى صورة التشريع الإسلامي أمام مخالفيه وضعاف الإيمان.

جاء في «وفيات الأعيان»: «أنَّ فقيه الأندلس يحيى بن يحيى المصمودي استفتاه صاحب الأندلس (عبد الرحمن بن الحكم) عما حصل له من مواقعة جاريته في نهار رمضان، فأجابه: صم شهرين متتابعين، فلما سُئل بعد ذلك: ما لكَ لم تُفته بمذهبنا عن مالك رحمه الله أنَّه مخيَّر بين العتق والصوم والإطعام؟

قال: **لو فتحنا له هذا الباب لسهُل عليه أن يطأ كل يوم ويعتق رقبة، فحملْتُه على أصعب الأمور لئلا يعود**»[1].

(١) وفيات الأعيان ٦/ ١٤٥.

ومثل ذلك من يفتي لغني يملك الملايين بأنه لا زكاة في حلي نسائه، وآخـر يفتي لفقير مُعدَم لا تملك زوجته إلاَّ شيئاً يسيراً من الحلي بأنَّ الزكـاة واجبة فيها، مما يضطره كل عام لبيع بعض منها لإخراج زكاتها.

ومن أغرب الفتاوى التي يروِّج لها البعض في كل حدَبٍ وصوب أنَّ عورة الرجل هي السوءتان فقط، وأنَّ الخاطب يباح له أن يرى من مخطوبته كل ما يدعوه إلى نكاحها دون قيد أو شرط، ونحو ذلك؛ مما يزيد حمأة الفساد والتكشُّف في خضم المغريات والفتن المتأجّجة في عالمنا المعاصر.

ومن الطريف المؤسف قصة سمعتها منذ الصغر: أنَّ شاباً لاحظ فيه والداه النجابة والحرص على الطاعات، والمبادرة إلى الصلوات في المسجد وخاصة صلاة الفجر، فاقترحا عليه أن يلتحق بإحدى المدارس الشرعية ليزداد علماً وتقىً وتقرُّباً من الله سبحانه، فما هي إلاَّ مدَّةٌ يسيرة حتى بدأ هذا الشاب يتكاسل عن صلاة الفجر ويستغرق في النوم إلى طلوع الشمس، ولا يصلِّي الفجر إلاَّ قضاءً، مما أثار دهشة والديه، فلما سألاه عن السبب أجاب: بأنَّ المدرِّس شرح لهم حديث النبي ﷺ: «**إذا رَقد أحدكم عن الصلاة أو غَفَل عنها فليصلِّها إذا ذكرها**»[1]، وقال لهم: إنَّ النوم عذر شرعي، وإنَّ الإنسان إذا استغرق في النوم ثم استيقظ بعد طلوع الشمس فصلَّى الفجر فكأنه صلاَّها في وقتها!!

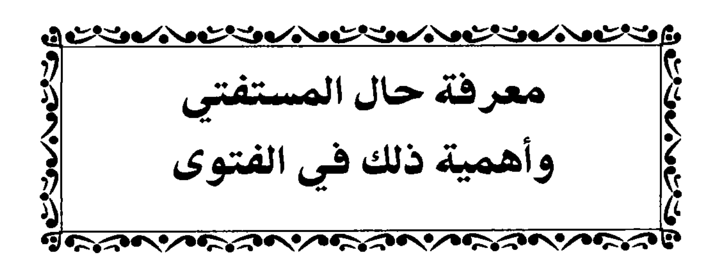
(١) الحديث رواه مسلم برقم (٦٨٤)، وانظر: شرح مسلم للنووي ٥/ ١٨٦.

فكان ذلك الشرح المشوَّه سبباً في تقاعس الشاب عن الصلاة واستغراقه في النوم حتى طلوع الشمس.

ولم يوضح المدرِّس الفرق بين من يغلبه النوم مرة حتى تفوته الصلاة، ومن يتعمَّد التراخي ويعزم على عدم الاستيقاظ للصلاة، ولا يتَّخذ الاحتياطات اللازمة لذلك.

فليتق الله كلٌّ من يتصدَّر للعلم الشرعي، فهي أمانة كبيرة ومسؤولية جسيمة.





معرفة حال المستفتي وأهمية ذلك في الفتوى

* قال الإمام شهاب الدِّين القرافي:

(ينبغي للمفتي إذا جاءته فتيا في شأن رسول الله ﷺ أو فيما يتعلَّق بالربوبية، يُسأل فيها عن أمور لا تصلح لذلك السائل لكونه من العوام الجلف، أو يسأل عن المعضلات ودقائق الديانات ومتشابه الآيات والأمور التي لا يخوض فيها إلاَّ كبار العلماء، ويعلم أنَّ الباعث له على ذلك إنما هو الفراغ والفضول والتصدي لما لا يصلح له، فلا يجيبه أصلاً، ويُظهر له الإنكار على مثل هذا.

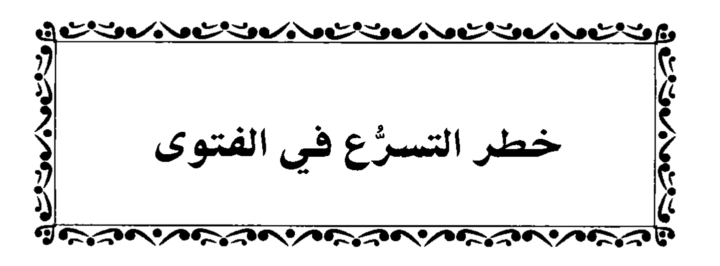
ويقول له: اشتغل بما يعنيك، من السؤال عن صلاتك وأمور معاملاتك، ولا تخض فيما عساه يهلكك، لعدم استعدادك له.

وإن كان الباعث له شبهة عرضت له فينبغي أن يُقبل عليه ويتلطَّف به في إزالتها عنه بما يصل إليه عقله؛ فهداية الخلق فرض على من سُئل.

قال: والأحسن أن يكون البيان له باللفظ دون الكتابة، فإنَّ اللسان يُفهِم ما لا يفهم القلم؛ لأنَّه حي والقلم موات، فإنَّ الخلق عباد الله، وأقربهم إليه أنفعهم لعياله، ولا سيَّما في أمر الدين، وما يرجع إليه من العقائد)[1].

* * *

(١) من كتاب (الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام) للقرافي، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدَّة رحمه الله تعالى، ص ٢٨٢.



خطر التسرُّع في الفتوى

* قال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه «إعلام الموقعين عن رب العالمين»[١]:

(كان السلف من الصحابة والتابعين يكرهون التسرُّع في الفتوى، ويودُّ كل واحد منهم أن يكفيه إياها غيره، فإذا رأى أنها قد تعيَّنت عليه بذل اجتهاده في معرفة حكمها من الكتاب والسنَّة أو قول الخلفاء الراشدين، ثم أفتى.

* قال عبد الله بن المبارك: حدثنا سفيان عن عطاء، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال:

(أدركتُ عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ، فما كان منهم محدِّث إلَّا ودَّ أنَّ أخاه كفاه الحديث، ولا مفتٍ إلَّا ودَّ أخاه كفاه الفُتيا)[٢].

* وقال سحنون بن سعيد:

(أجسر الناس على الفتيا أقلُّهم علماً، يكون عند الرجل الباب الواحد من العلم يظن أنَّ الحق كله فيه).

(١) إعلام الموقعين ١/ ٤١ ــ ٤٢.

(٢) سنن الدارمي ١/ ٥٢، رقم (١٣٥).

* ثم علَّق الإمام ابن القيِّم قائلاً:

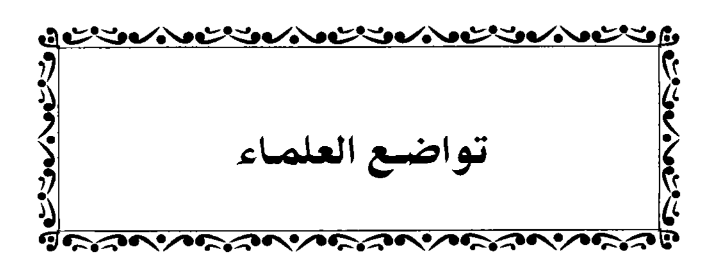
(الجرأة على الفتيا تكون من قلَّة العلم، ومن غزارته وسعته، فإذا قلَّ علمه أفتى عن كل ما يُسأل عنه بغير علم، وإذا اتَّسع علمه اتَّسعت فتياه، ولهذا كان ابن عباس رضي الله عنه من أوسع الصحابة فُتيا).

* وقال الإمام أبو عمرو عثمان بن الصلاح في كتابه «أدب الفتوى»:

(لا يجوز للمفتي أن يتساهل في الفتوى، ومن عُرف بذلك لم يجز أن يُستفتى، وذلك يكون بأن لا يتثبت، ويسرع بالفتوى قبل استيفاء حقها من النظر والفكر، وربما يحمله على ذلك توهُّمه أنَّ الإسراع براعة والإبطاء عجز ومنْقصة، وذلك جهل. ولأن يبطئ ولا يخطئ أكمل به من أن يعجِّل فيضلَّ ويُضل)[1].



(١) أدب الفتوى، ص ٦٥.



تواضع العلماء

* قال الإمام الماوردي رحمه الله تعالى في كتابه النفيس «أدب الدُّنيا والدِّين»[1]:

(قلَّما تجد بالعلم مُعجباً وبما أدركه منه مفتخراً إلَّا مَن كان فيه مقلاًّ ومقصِّراً؛ لأنَّه قد يجهل قدره، ويحسب أنه نال بالدخول فيه أكثره.

فأما من كان فيه متوجهاً، ومنه مستكثراً، فهو يعلم بُعد غايته، والعجز عن إدراك نهايته.

قال الشعبي:

(العلم ثلاثة أشبار، فمن نال منه شبراً شمخ بأنفه وظنَّ أنَّه ناله، ومن نال الشبر الثاني صغرت إليه نفسه وعلم أنَّه لم ينله، وأما الشبر الثالث فهيهات، لا يناله أحد).

* وبعد أن أورد الإمام الماوردي هذا القول تحدَّث عن نفسه، فقال رحمه الله:

(مما أُنذركَ به من حالي أنَّني صنَّفت في البيوع كتاباً، جمعت فيه ما استطعت وأجهدت فيه نفسي حتى تهذَّب واستكمل، وكِدت أُعجب به،

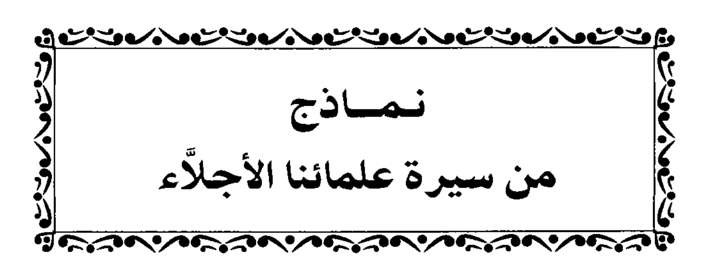
---

(١) ص ٨١.

وتصوَّرت أنَّني أشد الناس اضطلاعاً بعلمه، إذ حضرني وأنا في مجلسي أعرابيان، فسألاني عن بيعٍ عقداه في البادية، على شروط تضمَّنت أربع مسائل، لم أعرف لواحدة منهنَّ جواباً، فأطرقتُ مفكِّراً، وبحالي وحالهما معتبراً، فقالا: ما عندك فيما سألنا جواب؟ فقلت: لا، فقالا: واهاً لك، وانصرفا).

وهكذا اتعظ الإمام الماوردي بموقف هذين الأعرابيَّين، وعرف أنَّ العلم بحر لا نهاية له، وأنَّ إعجاب النفس بما توصَّلت إليه من العلم خطأ كبير، وفوق كل ذي علم عليم.





* الإمام مجد الدين ابن الأثير الجزري:

قف ــ أخي القارىء ــ لنتأمَّل معاً صفحة مشرقة من حياة عالم جليل من علماء الحديث الشريف، إنَّه الإمام العلاَّمة مجد الدِّين أبو السعادات ابن الأثير الجزري، صاحب الكتاب المشهور: «جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ»، وكتاب: «النهاية في غريب الحديث»، وكتاب: «الشافي في شرح مسند الشافعي»، وكتب أخرى عديدة حافلة بالعلم النافع، ولا يستغني عنها طالب علم.

وُلِد رحمه الله سنة (٥٤٤هـ) قرب الموصل، وحُبِّب إليه طلب العلم من صغره، كما بيَّن ذلك في مقدمة كتابه: «جامع الأصول» بقوله:

(ما زلتُ في ريعان شبابي وحداثة سنِّي مشغوفاً بطلب العلم، ومجالسة أهله، والتشبُّه بهم حسب الإمكان، وذلك من فضل الله عليَّ ولطفه بي أنْ حبَّبه إليَّ، فبذلتُ الوسع في تحصيل ما وُفِّقْتُ له من أنواعه، حتى صار فيَّ قوَّة الاطِّلاع على خفاياه وإدراك خباياه... ولله الحمد على ما أنعم به من فضله، وأجزل من طَوْله[1]).

---

(١) طَوله ــ بفتح الطاء ــ: فضله وغناه.

* ويقول في مقدمة كتابه «الشافي في شرح مسند الإمام الشافعي»:

(ناجتني نفسي أن أنتصب لشرح هذا الكتاب شرحاً جامعاً.. وتقضَّت الأيام وهذا العارض في النفس يقوى، والخاطر المبارك يشتد، والهمة تُنازع إليه، والرغبة تُنافس عليه، وأنا أُعلِّل النفس بما يشغلها عن مقصدها، وهي لا ترعوي[1] إلى مقالة ناصح، ولا يردعها عن رأي صالح في اغتنام متجر رابح؛ فاستخرتُ الله عزَّ وجلّ، وشرعت في العمل.. وأنا أسأل كل من وقف عليه من أولي الفهم والدراية، وأرباب النقل والرواية، ورأى فيه خللاً، أو لمح منه زللاً أن يصلحه، فإني مقرٌّ بالتقصير في هذا المقام الكبير، معترف بالعجز عن الإحاطة بهذا البحر الغزير، والله الموفق للصواب في القول والعمل، بمنِّه وكرمه..)[2].

فانظر إلى همة نفسه المتوقدة التي تدعوه إلى المسارعة، وهو يزجرها تواضعاً منه، خشية ألا يكون أهلاً لشرح مسند هذا الإمام الكبير، وهو الإمام الشافعي رحمه الله، والناس اليوم إذا همَّ أحدهم بعملٍ نافعٍ دعتهُ نفسه إلى الخمول والكسل والتخاذل، حتى تفتر همَّته أو يؤدي عمله بلا إتقان ولا رغبة صادقة.

* ويطلق اسم (ابن الأثير الجزري) على ثلاثة أئمة أعلام، وهم:

١ ـ مجد الدِّين أبو السعادات، وهو الَّذي تحدَّثنا عنه آنفاً، وقد توفي سنة (٦٠٦هـ).

---

(١) أي: لا تنزجر ولا تنصرف.

(٢) مناقب الإمام الشافعي، ص ٦٠ ـ ٦١.

٢ ـ عزّ الدِّين أبو الحسن، توفي سنة (٦٣٠هـ)، ومن مؤلفاته كتاب: «الكامل في التاريخ»، و «أُسْد الغابة في معرفة الصحابة».

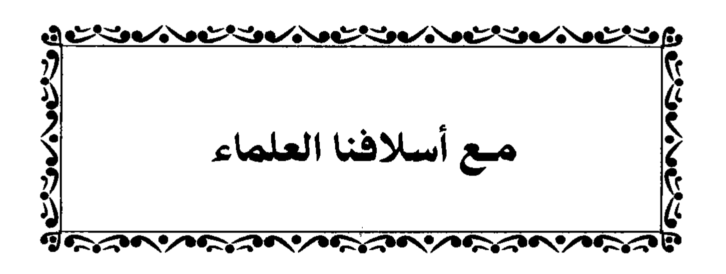
٣ ـ ضياء الدِّين أبو الفتح، توفي سنة (٦٣٧هـ)، صاحب كتاب: «المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر».

وقد نقل الزبيدي في «تاج العروس» مادة (أَثر) قول بعضهم:

وبنو الأثير ثلاثة ... قد حاز كلٌّ مفتخَرْ
فمؤرِّخ جمع العلو ... م، وآخرٌ وَلِيَ الوَزَر
ومحدِّث كتب الحديـ ... ـث، له النهاية في الأثر[1]

* * *

(١) ملخص من مقدمة الدكتور خليل ملا خاطر لكتاب (مناقب الإمام الشافعي)، ص ١٠ ـ ١١.



مع أسلافنا العلماء

* **بين ابن تيمية وابن الوردي :**

تحدَّث الإمام ابن الوردي في تاريخه عن وفاة الإمام ابن تيمية في ليلة الاثنين والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ، حيث صُلِّي عليه بجامع دمشق بعد الظهر، وأُخرج من باب الفرج، واشتد الزحام وكثر البكاء عليه، وكان مشيِّعوه أكثر من مائتي ألف، ثم ذكر عدة أبيات في رثائه فقال :

فتى في علمه أضحى فريداً ... وحلُّ المشكلات به يُناط
فيالله ما قد ضمَّ لحدٌ ... ويالله ما غطى البلاط
بنو تيمية كانوا فبانوا ... نجوم العلم أدركها انهباط
إمام لا ولاية كان يرجو ... ولا وقفٌ عليه ولا رباط[1]

ثم تحدَّث الإمام ابن الوردي عن لقائه بشيخ الإسلام ابن تيمية فقال :

(وكنتُ اجتمعتُ به رحمه الله بدمشق بمسجده بالقصاعين، وبحثت بين يديه في فقه وتفسير ونحو، فأعجبني كلامه، وقبَّل وجهي، وإني لأرجو بركة ذلك. . وسهرت عنده ليلة فرأيت من فتوته ومروءته ومحبته

(١) تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢٧٥.

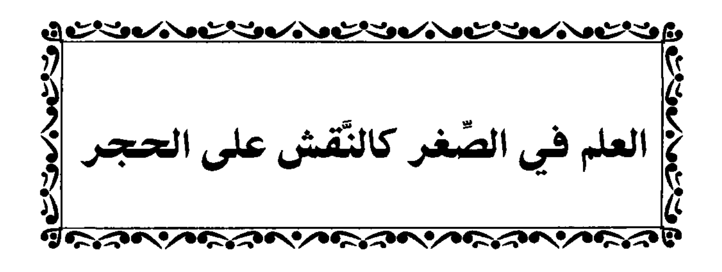
لأهل العلم ولا سيَّما الغرباء منهم أمراً كثيراً، وصلَّيت خلفه التراويح في رمضان فرأيت على قراءته خشوعاً، ورأيت على صلاته رقة تأخذ بمجامع القلوب).

ثم نقل عن القاضي ابن دقيق العيد قوله: (لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلاً كل العلوم بين عينيه، يأخذ ما يريد، ويدع ما يريد)[1].

رحم الله أسلافنا العلماء رحمة واسعة، ونفعنا بعلومهم، وجزاهم عنَّا خير الجزاء.

* * *

(١) المرجع السابق ٢/٢٧٨.



العلم في الصِّغر كالنَّقش على الحجر

يؤكِّد المربُّون وعلماء النفس على أهمية التعلُّم في الصِّغر واغتنام الشباب في طلب العلم، ويحذِّرون من أن يضيِّع الشاب أوقاته في سفاسف الأمور، لأنَّه عندما يكبر سيندم وهو يرى أقرانه بلغوا مكانةً مرموقة في المجتمع بما اكتسبوه من العلم النافع، وهو لا يزال في جهله وغفلته.

وقد أشار الإمام الماوردي في كتابه النفيس «أدب الدُّنيا والدِّين» إلى أهمية التعلُّم في الصِّغر، وبيَّن أنَّ من أسباب التقصير في طلب العلم أن يغفل المرء عن التعلُّم في الصِّغر، ثمَّ يشتغل به في الكبر، فيستحي أن يبتدىء بما يبتدىء به الصغير، فيبدأ بأواخر العلوم وأطرافها، ليتقدَّم على الصغير والمبتدىء ويساوي الكبير المنتهي، وهذا ممن رضي بخداع نفسه، وقنع بمداهنة حسِّه[1].

وقد قال الشاعر:

تَـرقَّ إلـى صغيـر الأمـر حتـى ... يُـرقيـكَ الصغيـر إلـى الكبيـر

فتعـرف بـالتفكُّـر فـي صغيـر ... كبيـراً بعـد معـرفـة الصغيـر

وقد ورد في الحِكم: (مثل الَّذي يتعلَّم في صغره كالنقش على الحجر، والذي يتعلَّم في كبره كالذي يكتب على الماء).

---

(١) أدب الدنيا والدين، ص ٥٧.

وقال علي رضي الله عنه: (قلب الحَدَث كالأراضي الخالية، ما أُلقي فيها من شيء قبلته؛ لأنَّ الصغير أفرغ قلباً، وأقلُّ شغلاً، وأيسر تبذُّلاً، وأكثر تواضعاً)[1].

ومع ذلك فإنَّ الكبير يتميَّز بأنَّه أكثر فهماً وتدقيقاً للعلوم، فلو سَلِم من الموانع والمشاغل لكان أكثر وعياً لها، لكنه كثير المشاغل والهموم في معترك حياته.

حكي عن الأحنف بن قيس أنه سمع رجلاً يقول: التعلُّم في الصغر كالنقش على الحجر. فقال الأحنف: الكبير أكثر عقلاً، ولكنه أشغل قلباً.

ولهذا قيل في منثور الحكم: (الهمُّ قيدُ الحواس).

وهكذا ينبغي على الآباء والمربِّين الحرص على اغتنام أوقات أبنائهم في طلب العلم النافع، فما يحفظه الشاب أيام صباه يترسَّخ في الذهن ويثبت.

عن علقمة قال: (ما حفظتُ وأنا شاب كأني أنظر إليه في قرطاس أو ورقة)[2].

وعن الحسن أنه قال: (قدِّموا إلينا أحداثكم، فإنهم أفرغ قلوباً وأحفظ لما سمعوا)[3].

---

(١) المرجع السابق، ص ٥٧.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/ ٣١١.

(٣) المرجع السابق، نفسه.

وقد قال الشاعر:

إذا أنت أعياك التعلُّم ناشئاً فمطلبُه شيخاً عليك شديدُ[1]

وقال آخر:

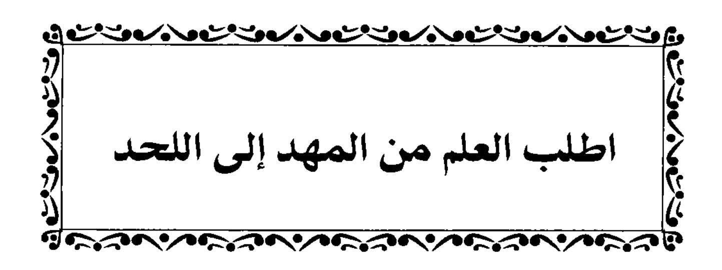
أراني أنسى ما تعلَّمتُ في الكبر ولستُ بناس ما تعلَّمتُ في الصِّغَر
وما العلمُ بعد الشَّيبِ إلاَّ تعسُّفٌ إذا كَلَّ قلبُ المرءِ والسمعُ والبصر[2]

وقال الإمام الشافعي:

ومن لم يَذُقْ مُرَّ التعلم ساعةً تجرَّع ذلَّ الجهل طول حياته
ومن فاته التعليم وقت شبابه فكبِّر عليه أربعاً لوفاته[3]

❊ ❊ ❊

(١) الفقيه والمتفقه ٢/ ٩١.
(٢) جامع بيان العلم وفضله ١/ ٨٤.
(٣) ديوان الإمام الشافعي ص ٦٠.



اطلب العلم من المهد إلى اللحد

* روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

«لن يشبع المؤمن من خيرٍ يسمعه حتى يكون منتهاه الجنة»(١).

* وعن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه قال:

(إنما أطلب العلم إلى أن أدخل القبر)(٢).

* ومن وصايا لقمان لابنه:

(يا بُنَيَّ جالس العلماء، وزاحمهم بركبتيك، فإنَّ الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء)(٣).

* ومن أقوال سعيد بن جبير رحمه الله:

(لا يزال الرجل عالماً ما تعلَّم، فإذا ترك العلم وظنَّ أنه اكتفى بما عنده فهو أجهل ما يكون)(٤).

* * *

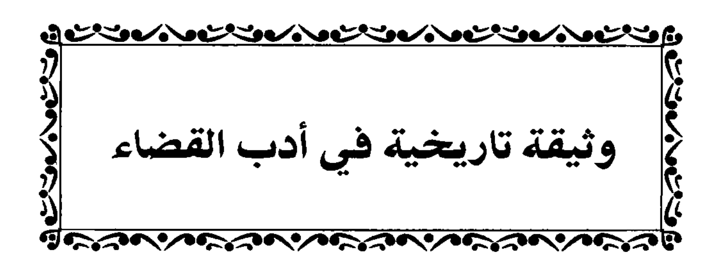
---

(١) رواه الترمذي، رقم (٢٦٨٦)، وقال: حديث حسن غريب.

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ٧٤.

(٣) رواه الإمام مالك في الموطأ (تنوير الحوالك شرح موطأ مالك ٣/ ١٦١).

(٤) تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة، ص ١٨٣.



وثيقة تاريخية في أدب القضاء

من الوثائق المهمة التي تُعدُّ بحقٍّ مفخرة كبرى في تاريخ القضاء الإسلامي وبياناً للأدب الإسلامي في القضاء، تلك الرسالة التي أرسلها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى قاضيه على اليمن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وقد تناقل العلماء هذه الرسالة الجليلة، واهتموا بدراستها وشرحها والوقوف عندها، ومن هؤلاء الإمام ابن قيِّم الجوزية في قسم كبير من كتابه النفيس: «إعلام الموقعين عن رب العالمين»، حيث قال عن هذه الرسالة العمرية:

(إنها رسالة جليلة تلقاها العلماء بالقَبول، وبنوا عليها أصول الحكم والشهادة، والحاكم والمفتي أحوج شيء إليها وإلى تأملها والتفقه فيها)[1].

ـ وإليك أخي القارئ فقرات منها كأنها درر من الجمان:

* واسِ الناس في مجلسك وفي وجهك وقضائك، حتى لا يطمع شريف في حَيْفك ولا ييأس ضعيف من عدلك.

---

(١) إعلام الموقعين ١/ ٩٢.

* البيِّنة على المدَّعي واليمين على مَن أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلاَّ صلحاً أحلَّ حراماً أو حرَّم حلالاً.

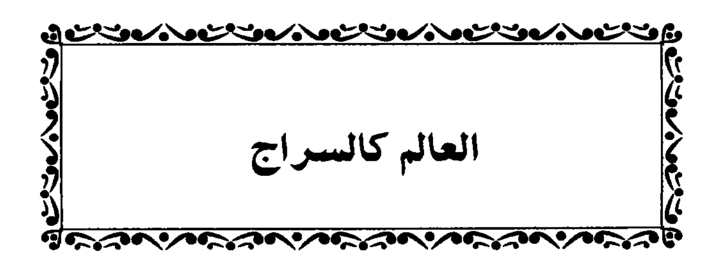
* لا يمنعك قضاء قضيت فيه اليوم فراجعت فيه رأيك فهُديت فيه لرشدك أن تُراجع فيه الحق.. فمراجعة الحق خير من التمادي في الباطل.

* إيَّاكَ والغضب والقلق والضَّجر والتنكُّر عند الخصومة.

* من خَلُصت نيَّته في الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس.

* من تزيَّن بما ليس فيه شانه الله، فإنَّ الله لا يقبل من العباد إلاَّ ما كان خالصاً.

* * *



العالم كالسراج

* كتب سلمان الفارسي إلى أبـي الدرداء رضي الله عنهما رسالة يقول فيها:

(إن العلم كالينابيع يغشاهن الناس، فيختلجه هذا وهذا، فينفع الله به غير واحد.

وإن حكمةً لا يُتكلَّم بها كجسدٍ لا روح فيه، وإن علماً لا يخرج ككنزٍ لا يُنفق منه.

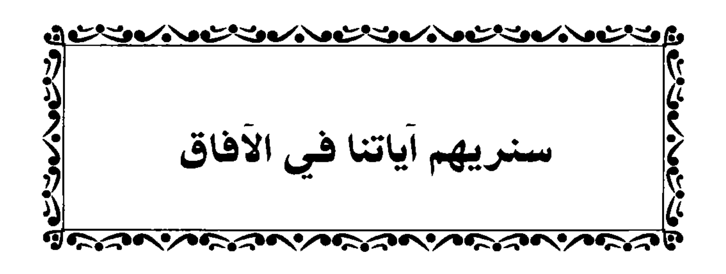
وإنما مثل العالم كمثل رَجلٍ حمل سراجاً في طريق مظلم يستضيء به من مرَّ به، وكلٌّ يدعو له بخير)[١].

فما أعظم مكانة العلماء وفضلهم[٢] والدعوات التي تلهج الألسنة بها فتكون نوراً لهم يوم القيامة بإذن الله بسبب ما قاموا به من تعليم الناس الخير، وإضاءة طريق الحياة للحيارى والتائهين، حتى يعودوا إلى رشدهم ويسلكوا سبيل النجاة.

* * *

(١) سنن الدارمي ٥٥٧.

(٢) انظر: كتاب (آداب طالب العلم)، للمؤلف.



سنريهم آياتنا في الآفاق

* تحدَّث الأديب الكبير الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في كتابه: «إعجاز القرآن» عن بعض جوانب الإعجاز العلمي، والإشارات الكثيرة في الآيات القرآنية إلى حقائق العلوم، فقال:

(لا جَرَم أنَّ هـذه العلـوم ستـدفـع بعـد تمحيصهـا واتصـال آثـارهـا الصحيحة بالنفوس الإنسانية إلى غاية واحدة، وهي تحقيق الإسلام، وأنه الدين الحق الَّذِي لا مِرية فيه، وأنه فطرة الله التي فطر الناس عليها، وأنَّه هو الدين الطبيعي للإنسانية..

وقد أشار القرآن الكريم إلى نشأة هذه العلوم وإلى تمحيصها وغايتها، وذلك في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾[1].

ولو جمعت أنواع العلوم الإنسانية كُلّهَا ما خرجت في معانيها من قوله تعالى: ﴿فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ هذه آفاق، وهذه آفاق أخرى، فإن لم يكن هذا التعبير من الإعجاز الظاهر بداهةً فليس يصح في الأفهام شيء)[2].

---

(١) سورة فصلت: الآية ٥٣.

(٢) إعجاز القرآن، ص ١٢٨.

أجل. . هذا هو كتاب ربنا سبحانه، يهدي للَّتي هي أقوم، وينير الطريق للنفوس والعقول.

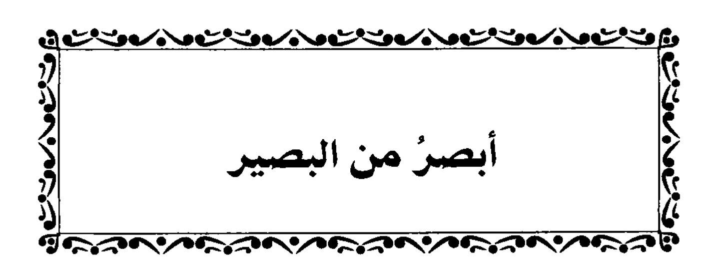
وقد بيَّن الإمام ابن كثير معنى قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا﴾، أي: (سنُظهرُ لهم دلالاتنا وحجتنا على كون القرآن حقّاً منزلاً من عند الله سبحانه على رسوله ﷺ. .)[1].

ثم ذكر ما أورده الإمام ابن أبـي الدنيا في كتابه «التفكر والاعتبار» عن شيخه أبـي جعفر القرشي حيث قال:

وإذا نظـــرتَ تـــريـــد معتبـــراً	فـــانظـــر إليـــك ففيـــك معتبـــر
أنـــتَ الـــذي تمســـي وتصبـــح فـــي	الـــدنيـــا وكـــل أمـــوره عِبـــرُ

* * *

(١) تفسير ابن كثير ٤/١١٣.



أبصرُ من البصير

* الإمام الشاطبـي:

الإمام الشاطبـي أبرز شيوخ القراء[1]، تصدَّر للإقراء منذ ريعان شبابه؛ لتوقدِ ذكائه وشدةِ حرصه على العلم، وهو صاحب قصيدة «حرز الأماني» المعروفة بالشاطبية في القراءات، والتي أبدع فيها كل الإبداع، وعدد أبياتها ١١٧٣ بيتاً، وقد قال في ختامها:

وأبيـاتهـا ألـفٌ تـزيـد ثـلاثـة ومـع مـائـةٍ سبعيـنَ زُهْـراً وكُمَّـلا

وقد كان يرحمه الله لا يُجارى ولا يبارى في سرعة الحفظ، وكان إذا قُرِىء عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ تُصحَّح النسخ من حفظه، مع أنه كان ضريراً فاقداً للبصر.

وقد ذكر المؤرخون عنه أنه كان يجلس إليه مَن لا يعرفه فلا يرتاب به أنه يبصر لذكائه، ولا يظهر منه ما يدل على العمى.

---

(١) انظر: سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٦٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٧١، ومختصر الفتح المواهبـي ص ٤٤، وكتاب «الإمام الشاطبـي»، تأليف: إبراهيم محمد الجرمي ضمن سلسلة أعلام المسلمين.

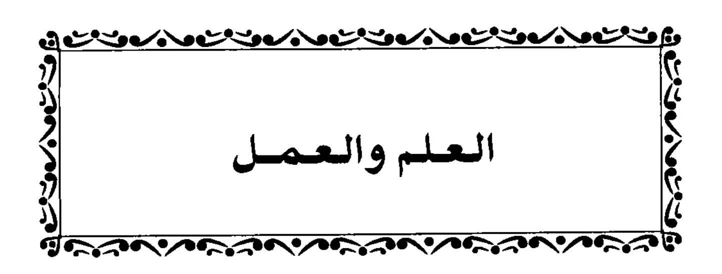
ومن طرائف شعره يرحمه الله ما أورده الإمام القسطلاني :

أن الإمام الشاطبي لما عمي أنشد قائلاً :

وقالوا قد عميتَ فقلت كلا	وإني اليوم أبصر من بصير
سواد العين زاد سواد قلبي	ليجتمعا على فهم الأمور

توفي رحمه الله سنة (٥٩٠هـ) وعمره ٥٢ سنة وعاصر قيام الدولة الأيوبية في مصر سنة ٥٦٧هـ على يد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، وكان للإمام الشاطبي مكانة كبيرة في عهده، وقد توفي صلاح الدين (سنة ٥٨٩هـ) قبل وفاة الإمام الشاطبي بعام واحد.

* * *



العلم والعمل

قال محمد بن أبي علي الأصبهاني :

اعمل بعلمك تغنم أيها الرجل ... لا ينفع العلم إنْ لم يَحسُنِ العملُ

والعلم زين، وتقوى الله زينته ... والمتقون لهم في علمهم شُغُلُ

تعلَّم العلم واعمل ما استطعت به ... لا يلهينَّك عنه اللهو والجدلُ

وعلِّم الناس واقصد نفعهم أبداً ... إياك إياك أن يعتادك المللُ

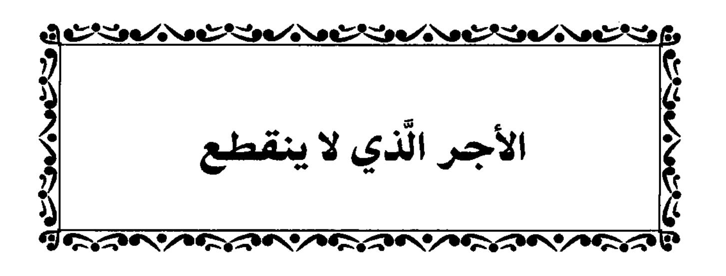
وإن تكن بين قومٍ لا خلاق لهم ... فأْمُر عليهم بمعروفٍ إذا جهلوا

فإن عصوك فراجعهم بلا ضجر ... واصبر وصابر ولا يحْزُنْك ما فعلوا

فكلُّ شاةٍ برجليها معلَّقةٌ ... عليك نفسك إن جاروا وإن عدلوا[1]

❊ ❊ ❊

(١) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي، ص ٣٨ .



الأجر الَّذي لا ينقطع

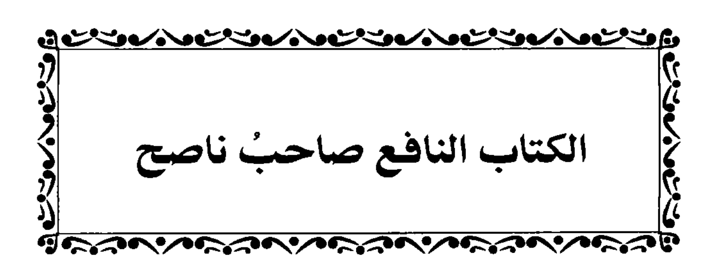
من رحمة الله تعالى بعباده وسعة فضله وكرمه أنه أرشدهم إلى نوع من الأعمال الصالحة التي لا ينقطع أجرها بعد الموت، وإنما تبقى ذخراً لهم تتوارد خيراتها وحسناتها إليهم سنوات طويلة وأزمنة عديدة إلى ما شاء الله.

وقد ورد بيان ذَلِكَ في قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلَّا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**».

* يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله:

(إذا علم الإنسان بأنَّ الموت يقطعه عن العمل فليعمل في حياته ما يدوم له أجره بعد موته، فإن كان له شيء من الدنيا وقف وقفاً أو غرس غرساً، ويسعى في تحصيل ذرية تَذْكُرِ الله بعده فيكون له الأجر، أو يصنِّف كتاباً من العلم، فإنَّ تصانيف العالم بمثابة ولده المخلَّد.. فذلك الَّذِي لم يمت).

* * *



* قال الشاعر محمد بن بشير في وصف أهمية الكتاب النافع وضرورة الحرص عليه ولزوم صحبته:

فصرتُ في البيت مسروراً تحدثني ... عن علمِ ما غاب عني في الورى الكتبُ

لله مِـــنْ جلســاءٍ لا جليسهــم ... ولا خليطهُــم للســوء مُــرتقِــبُ

أبقَـوْا لنـا حِكَمـاً تبقـى منـافعهـا ... أخرى الليالي على الأيام وانشعبوا

إن شئتَ من محكم الآثار يرفعها ... إلـى النبـيِّ ثقـاتٌ خيـرةٌ نُجـبُ

أو شئت من سير الأملاك من عجم ... تُنبـي وتخبـر كيـف الـرأي والأدب

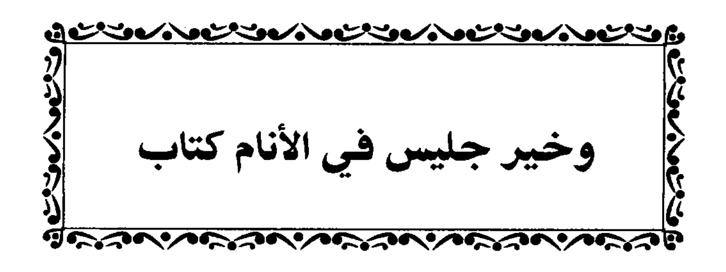
حتى كأنيَ قد شاهدت عصرهم ... وقد مضت دونهم من دهرنا حُقبُ

مـا مـات قـومٌ إذا أبقـوا لنـا أدبـاً ... وعلم دينٍ ولا بانوا ولا ذهبوا[1]

* * *

---

(١) بهجة المجالس، لابن عبد البر، ١/ ٥٢.



وخير جليس في الأنام كتاب

يزداد الإعراض عن الكتاب في عالمنا المعاصر يوماً بعد يوم، بعد أن زاحمته وسائل الثقافة الأخرى من صحافة وتلفاز ونحوها، ولكن الكتاب النافع لا بد أن يبقى في موضع الصدارة، ولا بدَّ من حثِّ الناس على أهمية المطالعة والقراءة واقتناء الكتاب المفيد.

يقول الجاحظ: (الكتاب نعم الأنيس في ساعة الوحدة، ونعم المعرفة في دار الغربة، يفيدك ولا يستفيد منك ويزيدك ولا يستزيد منك، قيد العلوم ينبوع الحكم، إن أطلت النظر فيه أطال إمتاعك وشحذ طباعك، وبسط لسانك، وجوَّد بيانك. فأكرِمْ به من صاحب، وأعزز به من موافق)[1].

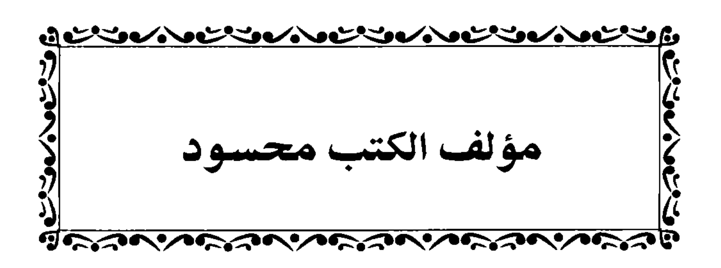
وقال الشاعر:

نعمَ المحدِّث والرفيق كتاب   تلهو به إن خانك الأصحاب

* * *

---

(١) المحاسن والأضداد، للجاحظ، ص ١٦ باختصار.



مؤلف الكتب محسود

* قال عمرو بن العلاء:

(الإِنسان في فسحةٍ من عقله، وفي سلامةٍ من أفواه الناس ما لم يضع كتاباً، أو يقل شعراً).

* وقال العتَّابي:

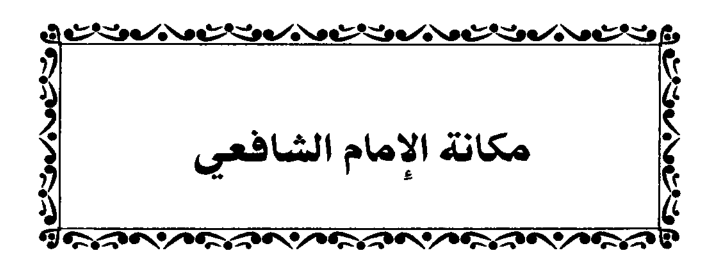
(من صنع كتاباً فقد استشرف للمدح والذم، فإن أحسن فقد استُهدف للحسد والغيبة، وإن أساء فقد تعرَّض للشتم، واستُقذف بكل لسان).

* وقال هلال بن العلاء:

(يُستدل على عقل الرجل بعد موته بكتب صنَّفها، وشعر قاله، وكتاب أنشأه)[1].

* * *

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، ٢/ ٢٨٣.



مكانة الإمام الشافعي

* قال عبد الله بن أحمد بن حنبل رحمه الله:

قلت لأبي: أيُّ رجل كان الشافعي فإني أسمعك تُكثر له من الدعاء؟

فقال لي: يا بُني، كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من خَلَف، أو منهما من عوض؟

وقال إسحاق: أخذ أحمد بن حنبل بيدي، وقال: تعالَ حتى أذهب بك إلى من لم تَر عيناك مثله. فذهب بي إلى الشافعي(١).

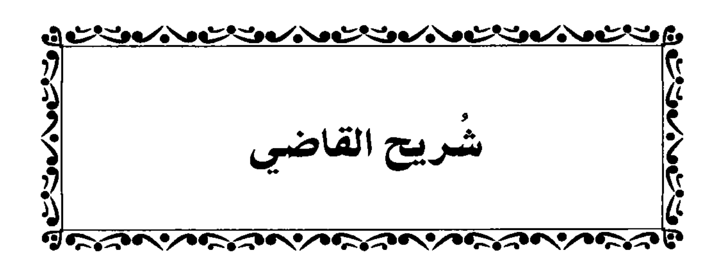
* وكان الإمام الشافعي قد آخى محمد بن عبد الحكم، وكان يقرِّبه ويُقبل عليه، ويقول: ما يقيمني بمصر غيره، فاعتلَّ محمد، فعاده الشافعي، فقال:

مرض الحبيبُ فعُدتُه ... فمرضتُ من حذري عليه
وأتى الحبيب يزورني ... فبرئتُ من نظري إليه(٢)

* * *

(١) مناقب الإمام الشافعي لابن الأثير الجزري، تحقيق د. خليل ملا خاطر، ص ١٢٥.

(٢) إحياء علوم الدين ٢/ ١٨٨.



شُريح القاضي

* أحد كبار التابعين، أسلم في حياة النبـي ﷺ، وانتقل من اليمن زمن الصديق.

* كتب إليه عمر قائلا: (إذا أتاك أمرٌ في كتاب الله فاقض به، فإن لم يكن في كتاب الله وكان في سنة رسول الله ﷺ فاقض به، فإن لم يكن فيهما فاقض بما قضى به أئمة الهدى، فإن لم يكن فأنت بالخيار، إن شئت تجتهد رأيك، وإن شئت تؤامرني، ولا أرى مؤامرتك (أي: مشاورتك) إياي إلاَّ أسلمَ لك).

* ولاَّه عمر قضاء الكوفة، فأقام على قضائها ستين سنة. وقد قال له علي رضي الله عنه: اذهب فأنت أقضى العرب.

* ومن بدائع أقوال شُريح رحمه الله: (إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات: أحمد إذ لم يكن أعظم منها، وأحمد إذا رزقني الصبر عليها، وأحمد إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب، وأحمد إذ لم يجعلها في ديني).

والاسترجاع: قول: «إنا للّه وإنا إليه راجعون».

* ومن طرائف شعره رحمه الله، قوله:

رأيتُ رجالاً يضربون نساءهم ... فشُلَّت يميني حين أضرب زينبا

وزينبُ شمس والنساء كواكبٌ ... إذا طلعت لم تُبقِ منهنَّ كوكبا

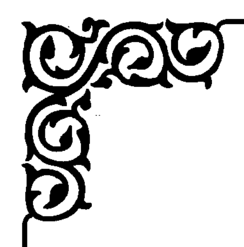
* عاش شريح مائة وثماني سنوات، وتوفي سنة ثمان وسبعين للهجرة رحمه الله تعالى[1].

* * *

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ١٠٠.

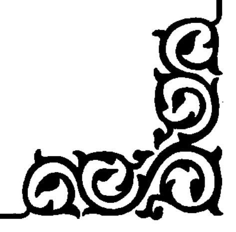




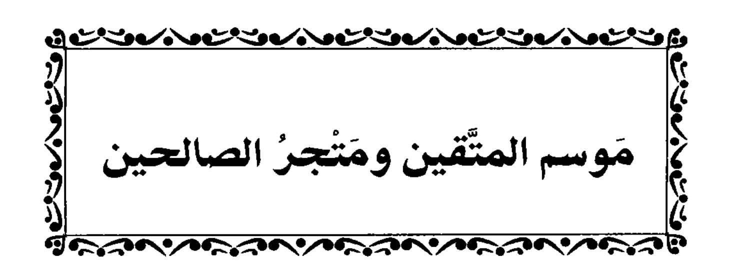

موضوعات في مناسبات

فيا من ضيَّع الأوقات جهلاً بحرمتها أَفِقْ واحذر بَوارِكْ
فسوف تفارق اللذات قسراً ويُخلي الموت كُرهاً منك دارِكْ

* مَوسم المتَّقين ومَتْجرُ الصالحين.
* مشاهد رمضانية.
* الصيام غذاء.
* مشاهد من رحلة الحج.
* رحلة الحج بين الماضي والحاضر.
* البلد الحرام، مهوى الأفئدة.
* الشوق للبيت الحرام.
* اغتنام أوقات الإجازة.
* وقفة تأمُّل عند نهاية العام.
* سلوان الأحزان.
* طهور إن شاء الله.
* الرضا بالقضاء.
* بيت الحمد.
* حفلة زواج.





مَوسم المتَّقين ومَتْجرُ الصالحين

إنها مواسم للخيرات، يتيحها الله تعالى لعباده، ليتزوَّدوا منها ما استطاعوا، وخير الزاد التقوى ﴿ . . . وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٧﴾[1].

وإنَّ أعظم مواسم الخير هذا الشهر الكريم، شهر رمضان المبارك، الذي فضَّله الله تعالى بنزول القرآن فيه، أعظم الكتب، كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، دستور خالد لهداية الخلق، وقانون السماء لهداية الأرض ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ﴾[2].

إنَّ الله تعالى مَنَّ على هذه الأمة بهذا الشهر من كل عام، يزورها ضيفاً كريماً، فمن الناس من يحسن وفادته. . من الناس من يكرمه. ومن الناس من يخرج عنه رمضان وهو يحمل له أسوأ الأثر والذكريات.

فطوبى لمن شفع فيه رمضان، وطوبى لمن شفع فيه القرآن: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني**

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

فيه، قال: فيشفعان»[1].

رمضان موسم للخيرات، يتيحه الله تعالى للإنسان، هو موسم المتقين ومتجر الصالحين.

لكل بضاعةٍ موسم، ولكل تجارة موسم، يترقَّبه أهلها، لماذا؟ ليزيدوا من نشاطهم ويضاعفوا من جهدهم، عسى أن يزيد ربحهم، وما قيمة الربح؟ إنهم يزيدون النشاط، فيركبون الأخطار، ويَصِلون الليل بالنهار، في سبيل ربح قد يكون وقد لا يكون، وإذا كان فقد ينتفعون به وقد لا ينتفعون، وإذا انتفعوا به يوماً فإنهم عنه زائلون، إن دام لهم فهم أنفسهم لا يدومون.

هَب الدنيا تُساق لك عفواً ... أليسَ مصير ذاك إلى انتقال

وما دنياكَ إلاَّ مثلُ غَيْمٍ ... أظلَّك ثم آذن بالزوال

إنَّ للدنيا تجَّاراً، وإنَّ للآخرة تجَّاراً. تجار الدنيا يترقَّبون مواسمها ليربحوا، وتجار الآخرة يترقَّبون مواسمها أيضاً ليربحوا. ولكن ربح هؤلاء غير ربح أولئك، إنَّ ربحهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار، تجار الآخرة هم كما وصفهم الله: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾﴾[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ١٧٤، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وصححه السيوطي في الجامع الصغير (فيض القدير) ٤/ ٢٥٢.

(٢) سورة النور: الآية ٣٧.

يأتي رمضان كل عام فرصة للإنسان المسلم، ليزداد من الخيرات، ويقلِّل من أسباب السيِّئات.

الخير مفتوحة أبوابه، الجنة مفتحة أبوابها، والنار مغلقة أبوابها، والشياطين مقيَّدة مصفَّدة، دلالة على أنَّ أسباب الخير كثيرة متوافرة، وأسباب الشر قليلة محدودة.

فيا سعادة من انتفع بهذه الفرصة؛ جاء في الحديث أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا جاء رمضان فُتحت أبواب الجنة، وغُلِّقت أبواب النار، وصُفِّدت الشياطين**»[1]. وجاء في بعض الأحاديث: «... وينادي مناد: يا باغي الخير أقبِل، ويا باغي الشرّ أقصر...»[2]. يا باغي الخير أقبل؛ الفرصة أمامك، الحسنات تضاعف، الباب مفتوح، ضع يدك في يد الله عزَّ وجلّ، يا باغي الخير أقبل على الله بحسن الصيام وحسن القيام والإكثار من الطاعات.

حسن الصيام: ألَّا يكون صيامك مجرَّد صيام البطن والفرج.

تصوم عن الطعام والشراب ولكن لسانك مفطر!! وعينيك مفطرتان!! وأذنيك مفطرتان!! وجوارحك مفطرة!!

عينك مفطرة بالنظر إلى الحرام! ولسانك مفطر بالكذب أو الغيبة أو النميمة أو السخرية أو اللغو! وأذنك مفطرة بسماع الأغاني الفارغة، وسماع الألفاظ السخيفة!!

---

(١) رواه البخاري، رقم (١٨٠٠).

(٢) جزء من حديث رواه الترمذي وابن ماجه، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

لا ينبغي لك أيها المسلم أن يصوم بطنك وفرجك، وكلُّك مفطر. تصوم عما أحلَّ الله من الطعام والشراب، وتفطر على ما حرَّم الله من المعاصي!! واسمع إلى قول الرسول ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه**»[1].

لم يتأدَّب بأدب الإسلام ما دام لم يحصن نفسه من المعاصي: «. . . **والصيام جُنَّة** ــ درعٌ من المعاصي ومن الآثام في الدنيا، ومن النار في الآخرة، جُنَّة كجُنَّة أحدكم من القتال ــ **فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابَّه أحد، أو قاتله، فليقل: إني امرؤٌ صائم**»[2]. لا يقابل السيئة بالسيئة، بل يقابل السيئة بالحسنة. يتذكَّر أنه في عبادة ينبغي ألَّا تُخدش ولا تُجرح، فيقول بقلبه ويقول بلسانه، مخاطباً نفسه ومخاطباً من يسبه ويشتمه، يقول: «إني صائم إني صائم».

الأمر إذن ليس كما يفعل كثير من سفهاء الناس، يتطاول أحدهم بلسانه على الخلق، ثم يقول: اُعذرني فإني صائم. كأنَّ الله شرع الصيام ليفسد أخلاق الناس! لا، بل ينبغي للصائم أن ينضبط. . أن يهذِّب نفسه. . أن يصون لسانه، كما يصوم أذنه، كما يصون عينيه، كما يصون جوارحه كلها: «**رب صائم ليس له من صيامه إلَّا الجوع**»[3] أتعب نفسه،

---

(١) رواه البخاري، رقم (١٨٠٤).

(٢) رواه البخاري، رقم (١٨٠٥).

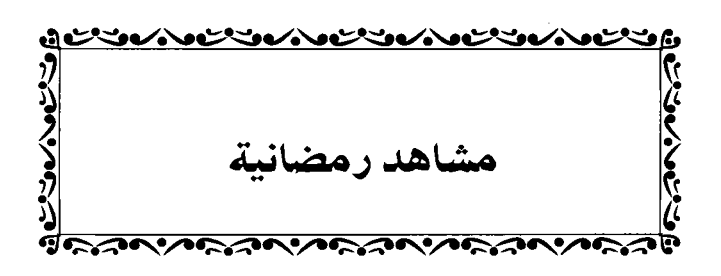
(٣) رواه ابن ماجه والنسائي والحاكم وصححه ووافقه الذهبي.

وأجهد جسمه، وأجاع بطنه، ولكنه لم يقم للصيام بحقه[1].

اللّٰهم أعِنّا على الصيام والقيام، وغضِّ البصر وحفظ اللسان، واجعلنا من عتقائك من النار وأدخلنا الجنة من باب الريان بسلام، برحمتك يا رحيم يا رحمن.

❊ ❊ ❊

(١) هذه المقالة مقتبسة من خطب الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، حفظه الله، ١/ ٢١٣ بتصرُّف واختصار.



مشاهد رمضانية

رمضان شهر التراحم والتعاطف، وللناس في هذا الشهر الكريم عادات مُستحسنة وأفعال طيِّبة تُظهر حبَّ المسلم لأخيه المسلم، وهي مشاهد حيَّة ناطقة بفضل مدرسة الصيام في تقوية الإيمان والحرص على مرضاة الرحمن سبحانه.

ولْندع فضيلة الشيخ علي الطنطاوي يرحمه الله يحدِّثنا عن بعض المشاهد الرمضانية في بلاد الشام منذ أكثر من نصف قرن، وهذه المشاهد متكررة في البلاد الأخرى وفي مختلف العصور والأزمان.

يقول رحمه الله في كتابه «صور وخواطر»[١]:

(ولقد كان أشدُّ الناس بعداً عن الدين إذا سمع مدافع رمضان تاب وأناب إلى الله، ونزع نفسه الآثمة واستبدل بها نفساً زكية متعبدة، كما ينزع ثوبه الوسخ ويستبدل به ثوباً نظيفاً. والبيوت التي كان يسودها الخصام تتحوَّل في رمضان إلى دور أمن وسلام. والمدينة تصير كلها أسرة واحدة، أو مدرسة داخلية يأكل الناس فيها في وقت واحد، وينامون في وقت واحد، ويقومون في وقت واحد.

(١) ص ١٦٤.

إذا دنت ساعة الغروب رأيت الناس جميعاً مسرعين إلى بيوتهم، هذا يحمل صحن الفول المدمس، وهذا يحمل الحلويات والبرازق، وتكون المائدة منصوبة حتى أنَّ أفقر الناس يجد في رمضان فطوراً شهيّاً؛ لأنَّ كل صائم في رمضان يتفقَّد جيرانه ومن حوله، فلا يأكل هو الطعام الطيِّب، والألوان الكثيرة، وجاره لا يجد إلاَّ الخبز والجبن.

وتصطف الأسرة كلها حول المائدة، يجمعها شعور واحد، شعور واحد، يجمع الغني والفقير، والأمير والأجير، هو الجوع، أغنى الناس يشتهي قبل المغرب ملعقة من حساء أو رشفة من شراب.

والأولاد يقفون على الشرفات، أو على جوانب الطرق، فإذا رأوا مصباح المنارة، أو سمعوا المدفع، صاحوا بنغمة موزونة ولحن موقع: أذَّن. أذَّن. أذَّن. وطاروا إلى بيوتهم كما تطير العصافير إلى أعشاشها إذا رأت طلائع الليل.

وتخلو الطرق، وتهدأ الأصوات. ثم ترتفع من كل مكان، من الكوخ ومن القصر على السواء، كلمة: الحمد لله. كلهم شبع، وكلهم رضي، وكلهم شكر، الذي أكل السبعة ألوان، والذي أكل الخبز والمسبَّحة والفول).

أجل، إنها مدرسة الصيام التي تَفتح أبوابها كل عام.

* * *



الصيام غذاء

* قال الشاعر المبدع عمر بهاء الدين الأميري يرحمه الله[1]:

جـدّد حياتـك بـالصيـام — فبـالصيـام غـذاء روحـك
داوِ الَّـذِي تشكـو بتقـو — ى اللّـه تبـرأ مـن قـروحـك
واغنـم أويقـات التجلِّـي — فـي الطـريـق إلـى نـزوحـك
واشحـذ سمـوك عـن حيـاة — اللغـو، وادأب فـي طمـوحـك
وارقَ الـذُّرا، ودعِ الثـرى — طـال المقـام علـى سفـوحـك

وقال أيضاً في قصيدة أخرى بعنوان (رمضان العافية)[2]:

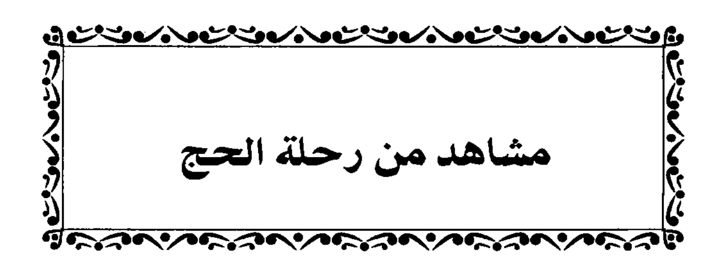
قـالـوا: سيُتعبـك الصيـام... — وأنـت فـي السبعيـن مُضنـىٰ
فـأجبـتُ: بـل سيشـدُّ مـن — عـزمـي ويحبـو[3] القلـب أمنـا
ويمـدُّنـي روحـاً وجسمـاً — بـالقُـوى معنـىً ومَبنـىٰ
(رمضـان) عـافيـةٌ فصُمْـهُ... — تُقـىً لتحيـا مطمئنـا

* * *

(١) ديوان قلب ورب، ص ٢٦٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٩٥.

(٣) يحبو: يعطي ويمنح.



مشاهد من رحلة الحج

لِكُلِّ حاج ذكرياته التي لا تُنسى عن رحلة الحج، فهو يستمتع بهذه الذكريات والمشاهد كلما خطرت في ذاكرته ولو طال العهد بها، ولو نظرنا في الكتب التي سطَّرها بعض هؤلاء يسجلون فيها بشوق وحنين هذه المشاهد والساعات المباركة التي قضوها أيام الحج لرأينا العجب من صدق المشاعر وروعة البيان.

ومن أمثلة ذلك ما سطَّرته الكاتبة الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطىء في كتابها «أرض المعجزات» حيث قالت:

(شهدت موسم الحج مع مليون وخمسين ألف حاج، وسعتهم الأرض المباركة، حيث يقضون معاً مناسك حجهم، ويتحرَّكون في وقت واحد.. وتجمعهم (منى) على الرحب والسعة.. وإنَّ أكبر عواصم العالم لتضيق ببضعة ألوف من السائحين إن طرأوا عليها في وقت واحد.. وجدتني مع التاريخ في البيت العتيق وأم القرى.. مدينة العصر قد غزت الوادي الأجرد غير ذي الزرع.. يتَّصل الحاضر بالماضي عبر حقب وأدهار في هذه البقاع المباركة التي تحتفظ بجوهر شخصيتها منذ عرفها التاريخ مثابة للحج وأمناً.. ومن ذلك الماضي الموغل في القدم كان الأذان في

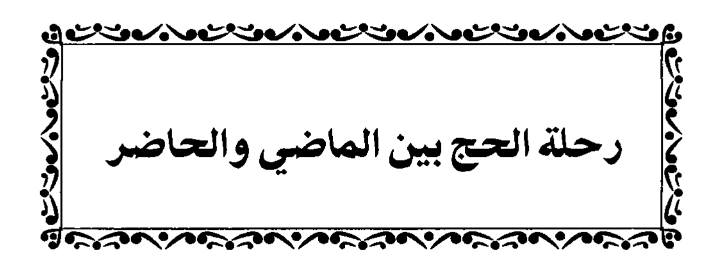
الناس بالحج إلى هذا البيت العتيق[1].

وتمضي الأعوام والقرون، وتتعاقب الأجيال والعصور، والتاريخ مشدود إلى مشهد الحجيج، يسعون إلى البيت العتيق، محرمين متطهرين، خاشعين قانتين.. وقد تجرَّدوا من كل زينة.. وتخفَّفوا من أثقال المادية تئد روح الإنسان، وتخنق فيه هيامه الفطري بالحق والخير والجمال. جاؤوا بيت الله في زي الإحرام وبصوت واحد يعلو هتافهم: لبيك اللَّـٰهُمَّ لبَّيك، لبَّيكَ لا شريكَ لك لبَّيك[2].

❋ ❋ ❋

(١) أرض المعجزات، ص ١٤٩.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٦٢.



رحلة الحج بين الماضي والحاضر

دعونا نطالع قصة لرحلة الحج قبل خمسة وستين عاماً، وهذا فضيلة الشيخ علي الطنطاوي يحدِّثنا عن رحلته سنة (١٣٥٥هـ) بأُسلوبه الممتع الشيِّق المؤثِّر في تقديمه لكتاب «محمد نصيف، حياته وآثاره»، فيقول:

(وصلنا بعدما وصلت أرواحنا إلى التراقي، في رحلة بالسيارات من دمشق إلى مكة امتدَّت ثمانية وخمسين يوماً، اعتسفنا فيها الصحراء، واجهنا فيها الموت، عرفنا فيها الضياع، ما كنا نمشي على طريق معبَّد، ولا على جادة واضحة، فما كان فيها طريق، ما فيها إلاَّ الرمال والآكام والجبال.

وكانت رحلة ليس لها مثيل في الرحلات. . لا أزال أذكرها وأتحدَّث عنها، وسلكت بعدها هذا الطريق عشرات من المرات، ما أجد ما أتحدث به عنها؛ لأننا كنا ندخل فيها الطيارة في الشام فأستلقي فيها في المقعد المريح حتى أصل إلى جدة، أطيب الطعام يوضع أمامي وألذ الشراب، ولكني لم أجد لهذه الرحلات كُلّها عُشر ما وجدته في تلك الرحلة، ربحت الراحة ولكن خسرت المشاعر والذكريات.

كانت رحلة مغامرة وإقدام على المجهول، وتخبط في البوادي على غير هدى، كان معنا أدلاَّء ولكنهم أدلاَّءَ لقوافل الإبل لا للسيارات، يصل

بنا الدليل إلى صخرات معترضات كأنهن درج من الحجر، فيقول: من هنا! فنقول: إنَّ السيارات لا تصعد السلالم والأدراج، فيقول: هذا هو الطريق، فنقول: إنَّه طريق الإبل، إنَّ الجمل يرفع رجله فيصعد الدرجات ولكن السيارات ما لها أرجل ترفعها.

ونرجع بعد أن مشينا ست ساعات فنمشي ستّاً أخرى حتى نجد مكاناً يمكن أن تمشي فيه السيارات.

وطالما اعترضتنا بحرة من الرمال الناعم الَّذي يحركه النسيم، لا يحمل السيارات، فتغوص فيه دواليبها، فننزل لنجرها بالحبال، فنخرجها مما علقت فيه.

كنا نمضي على الطريق من جدة إلى مكة إحدى عشرة ساعة. . وكنا في أول الطريق ننصب الخيام ونعد الطعام، ثم ضاق الوقت، وكَلَّ العزم عن هذا، فصرنا إذا جاء الليل سقطنا من الإعياء كالموتى، ومددنا ما معنا من البسط ونمنا مكاننا).

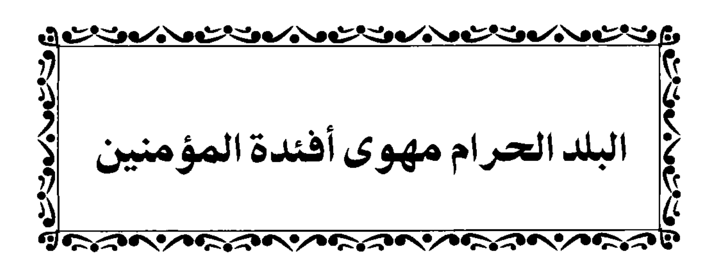
ولقد تحدث الشيخ الطنطاوي رحمه الله عن رحلاته في أكثر من موضع في كتبه الحافلة بالنفائس والفوائد، وأفرد حديثه عن الحج في كتاب خاص بعنوان «من نفحات الحرم»، وفيه يقول رحمه الله:

(من هذه الصحراء التي تفحُّ رمضاؤها ناراً، ومن الصخر الصلد القائم حول حراء، من هنا تفجر ينبوع الإسلام. . وعلى هذه الجبال نزلت دعوة الحق والخير على الأرض).

ثم يقول: (لقد صنع السعوديون للحرم في هذه السنين القلائل أكثر مما صنعه ملوك المسلمين جميعاً في ألف وثلاثمائة سنة).

أجل، ما أكبر الفارق بين معاناة الحجاج قديماً وما كان يعترض طريقهم من مخاطر، وبين ما يحظون به اليوم من رعاية واهتمام، وقد تيسَّرت لهم الطرق والمواصلات برّاً وبحراً وجوّاً، وتهيَّأت لهم سبل الراحة والطمأنينة بحمد الله تعالى، مما يشهد به القاصي والداني.





البلد الحرام مهوى أفئدة المؤمنين

اختص الله عز وجل مكة المكرمة وجعلها أشرف البقاع، وأوجب على عباده حج بيته الحرام، يأتون من كل فجٍ عميق، متذلِّلين متواضعين كاشفي رؤوسهم، متجردين عن لباس أهل الدنيا، راجين رحمة ربهم وغفران ذنوبهم.

روى البخاري ومسلم عن أبـي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من حجَّ هذا البيت، فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيومَ ولدَتهُ أمه**»[(١)].

وعنه رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاءٌ إلاَّ الجنَّة**»[(٢)].

وهذا هو البلد الأمين يستقبل كل عام ضيوف الرحمن، الَّذِين يفدون إليه وقلوبهم امتلأت شوقاً، ونفوسهم اطمأنت لتحقق أمنياتهم بحطِّ رحالهم في أشرف بقاع الأرض، ليؤدوا ركناً من أركان الإسلام، وينالوا فضل الصلاة في بيت الله الحرام، الَّذِي ينال المصلي فيه أجر مائة ألف صلاة.

---

(١) رواه البخاري، رقم ١٧٢٣، ومسلم، رقم ١٣٥٠.

(٢) رواه البخاري، رقم ١٦٨٣.

إنها أحب البلاد إلى الله عزَّ وجلّ، البلاد التي خاطبها الرسول ﷺ يوم هجرته فقال: «**والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنِّي أُخرجت منك ما خرجت**».

ولقد جعل الله سبحانه هذا البلد الحرام مهوى أفئدة المؤمنين، مثابة للناس وأمناً، يثوبون إليه على تعاقب الأعوام من جميع الأقطار كلما ازدادوا له شوقاً، يفارقون الأهل والأوطان وقلوبهم تحنُّ إلى بيت الله الحرام.

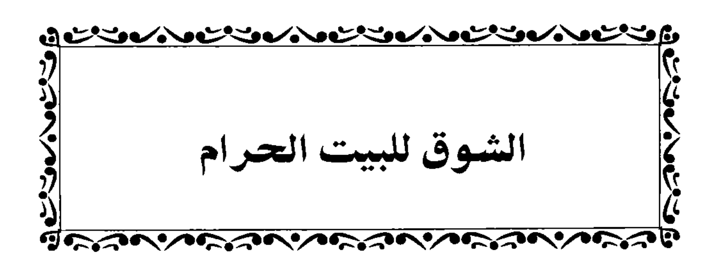
يقول الله عزَّ وجلّ: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾[1].

لقد استجاب الله دعاء إبراهيم عليه السلام في قوله سبحانه: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[2].

* * *

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٥.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٣٧.



الشوق للبيت الحرام

* قال الإمام ابن قيم الجوزية[1]:

أمـا والـذي حـجَّ المحبُّـون بيتَـه ... ولبُّوا لـه عنـد المهَـلِّ[2] وأحـرموا

وقد كشفوا تلك الرؤوس تواضعاً ... لعـزَّة مـن تعنـو الـوجـوه وتُسلـمُ

يهلُّـون بـالبيـداء لبيـك ربنـا ... لك الملك والحمد الَّذِي أنت تعلمُ

وقد فارقوا الأوطان والأهل رغبةً ... ولـم يُثنِهـمْ لـذَّاتُهـم والتَّنعـمُ

ولمـا رأت أبصـارهـم بيتـه الَّـذِي ... قلوب الورى شوقاً إليه تَضرَّمُ[3]

فللَّـهِ كَـم مِـن عَبـرةٍ مُهـراقـةٍ ... وأخـرى علـى آثـارهـا لا تَقَـدَّمُ

ولله ذاك المـوقـف الأعظـم الَّـذِي ... كموقف يوم العرض بل ذاك أعظمُ

ويـدنـو بـه الجبـار جـلَّ جـلالـه ... يبـاهـي بهـم أمـلاكُـه فهـو أكـرمُ

يقـول عبـادي قـد أَتـونـي محبـةً ... وإنـي بهـم بَـرٌّ أجـودُ وأرحـمُ

فـأُشهـدكـم أنـي غفـرتُ ذنـوبهـم ... وأعطيتُهـم مـا أمَّلـوه[4] وأَنعـمُ

---

(١) هذه الأبيات مختارات من القصيدة الميمية لابن القيم رحمه الله. وانظر شرح القصيدة الميمية، لسعد المزعل، ص ٢٦ وما بعدها.

(٢) المهلُّ: المكان الذي يهلُّ فيه الحاج أو المعتمر.

(٣) تضرَّم: تشتعل.

(٤) ما أمَّلوه: ما كانوا يرجونه ويتطلعون إليه.

فبشراكمُ يا أهل ذا الموقف الَّذِي ... بـه يغفـر الله الـذنـوب ويـرحـمُ
وما رُئِيَ الشيطان أغيظَ في الورى ... وأحقـرَ منـه عنـدهـا وهـو ألأمُ[1]
وراحـوا إلـى جمـع فبـاتـوا بمشعـرِ ... الحـرامِ وصلـوا الفجـر ثـمَّ تقـدَّمـوا
إلى الجمرة الكبرى يريدون رَميها ... لـوقـتِ صـلاةِ العيـد ثـمَّ تيمَّمـوا[2]
دعـاهـم إلـى البيـت العتيـق زيـارةً ... فيـا مـرحبـاً بـالـزائـريـن وأكـرمُ
فللَّـٰـهِ مـا أبهـى زيـارتهـم لـه ... وقد حُصِّلت تلك الجوائز تقسم
فلـو أبصـرت عينـاك مـوقفهـم بِهَـا ... وقد بسطو تلك الأكف ليُرحموا
ينـادونـه يـا رب يـا ربُّ إننـا ... عبيـدك لا نـدعـو سـواك وتعلـمُ
وها نحن نرجو منك ما أنت أهلُه ... فأنت الذي تعطي الجزيل وتُنعم
ولمـا تقضُّـوا مـن مِنـى كـلَّ حـاجـةٍ ... وسالت بهم تلك البطاح تقدموا
إلـى الكعبـة البيـتِ الحـرام عشيـةً ... وطافوا بها سبعاً وصلّوا وسلموا
ولمـا دنـا التـوديـع منهـم وأيقنـوا ... بـأن التـدانـي حبلُـه متصـرِّم[3]
ولـم يبـقَ إلاَّ وقفـةٌ لمـودعٍ ... فللَّـٰـهِ أجفـانٌ هنـاك تُسَجَّـمُ[4]
ولِلَّـٰـهِ أكبـادٌ هنـالـك أودعَ ... الغـرامُ بهـا فـالنـار فيهـا تضـرَّمُ
ولِلَّـٰـهِ أنفـاسٌ يكـاد بِحَـرِّهـا ... يذوبُ المحب المستهامُ المتيَّم[5]
رحلـتُ وأشـواقـي إليكـم مقيمـةٌ ... ونـارُ الأسـى منـي تشِـبُّ وتضـرمُ

---

(١) ألأمُ: اللئيم هو الدنيء الأصل الشحيح النفس.

(٢) تيمموا: قصدوا.

(٣) التداني: القرب. متصرم: متقطع. أي: أنهم أيقنوا حلول الوداع وانتهاء هذا القرب من البيت الحرام والمشاعر المقدسة.

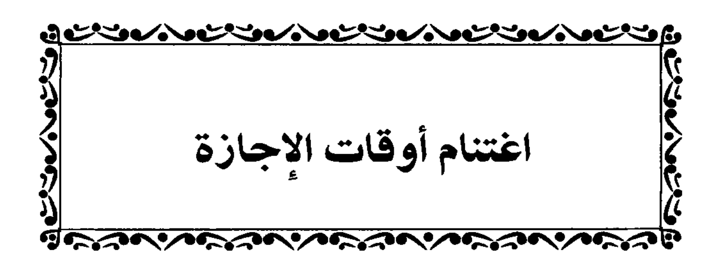
(٤) تُسجم: أي يسيل دمعها.

(٥) المستهام: الهائم الذي لا يدري أين يذهب. والمتيم: الذي صيَّره الحب عبداً ذليلاً.

أودعكـم والشـوق يثني أعنَّـتي[1] وقلبــيَ أمسـى في حمـاكـم مخيِّمُ
فيـا سـائقيـن العيـس بـالله ربكـم قفوا لي على تلك الربوع وسلِّموا
وقولوا محبٌّ قاده الشوق نحوكم قضى نحبَهُ[2] فيكم تعيشوا وتسلموا

❊ ❊ ❊

(١) أعنَّة: جمع عنان، وهو لجام الفرس.
(٢) قضى نحبه: أدرك ما تمنى، أو قضى نذره، أو هو الموت.



اغتنام أوقات الإجازة

الوقت أغلى من الذهب لأنه هو الحياة، والشاب المسلم لا يليق أن يضيع أوقاته في اللهو والعبث، لأن الأوقات التي تذهب لا تعود، ومن غفل عن أوقاته طالت حسراته، كما يتحسر المريض على أيام صحته ونشاطه.

وقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**نعمتانِ مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحة والفراغ**»(١).

فالمسلم الذي تجتمع عليه نعمتان، وهما: الصحة في البدن، والفراغ في الوقت، ينبغي عليه أن يؤدي حقهما من الشكر لله سبحانه، بالاستفادة منهما في طاعته ونيل مرضاته، فإذا فرَّط في هذا فهو المغبون الخاسر، لأن الصحة يعقبها السقم، والفراغ يعقبه الشغل. وكما أن التاجر يطلب الربح في عمله ولا يرضى الغبن والخسارة، فكذلك الشاب المسلم رأس ماله صحته وفراغه، لا يفرِّط بأي شيء منهما في غير طاعة الله التي هي التجارة الرابحة.

وقد قال بعض السلف: (إذا أتى عَليَّ يوم لا أزداد فيه علماً يقربني من الله فلا بورك لي في شمس ذلك اليوم).

---

(١) رواه البخاري في الرقاق، باب الصحة والفراغ ٧/ ١٧٠.

فلا تظنن أخي الشاب أن الإجازة تعني اللهو وضياع الأوقات وهدر الساعات، وإنما هي انتقال من مرحلة السنة الدراسية إلى مرحلة النشاط الهادف، بما يمتِّع النفس ويمنحها مزيداً من الفائدة، وبما يقوِّي صلتك بربك سبحانه ويغذِّي روحك.

ولهذا أوصي إخواني الشباب بالإقبال على المراكز الصيفية وحلقات تحفيظ القرآن الكريم في المساجد، وتنظيم أوقاتهم بإشراف الآباء والمربين، وشتان بين من يقضي إجازته في النوم والكسل واللهو، ومن يقضيها في العمل المثمر، والنشاط الهادف البنَّاء، وتنمية المواهب والطاقات والهوايات والقدرات، بما يصلح للفرد والمجتمع.

وأنتنَّ أيتها الفتيات بادرن إلى اغتنام الأوقات، فالعمر محدود، ووقت الشباب لا يعود، وستكبر الفتاة وتتزوج وتصبح أمّاً مسؤولة عن أسرة فلا تجد الوقت الكافي لتنمية مواهبها، والاستزادة من العلم النافع.

وكم من فتاةٍ ندمت بعد زواجها على ما ضاع من أوقات صباها، وهي ترى زميلاتها الأخريات قد بادرن إلى حفظ القرآن الكريم، والتزود من العلوم والمعارف والثقافة.

وليضع الشباب والشابات نصب أعينهم حديث رسول الله ﷺ: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**»[1].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٠٦)، وصححه ووافقه الذهبي.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:

(العارف ابن وقته، فإن أضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها، فجميع المصالح إنما تنشأ من الوقت، وإن ضيَّعه لا يستدركه أبداً.. ووقت الإنسان هو عمره في الحقيقة.. وهو يمر أسرع من السحاب)[1].

ومن الآفات التي يقع فيها كثير من المسلمين أنه إذا لمس من نفسه نشاطاً يؤهله لأعمال نافعة جاءه الشيطان يسوِّف له، ويذكِّره بمشاغل أخرى ليضيِّع وقته.

ولهذا قال الحسن البصري رحمه الله: (إياك والتسويف، فإنك بيومك ولستَ بِغَدك، فإن يكن غدٌ لك فكن في غدٍ كما كنت في اليوم، وإن لم يكن لك غدٌ لم تندم على ما فرَّطت في اليوم)[2].

وما أحسن قول الشاعر:

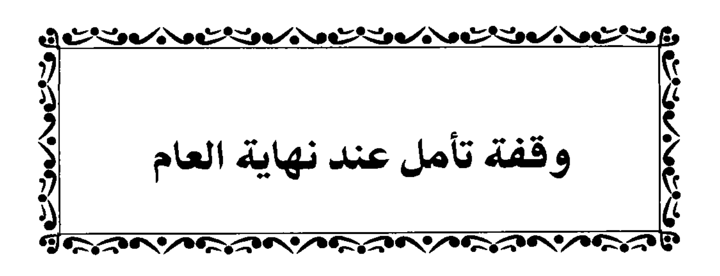
والوقت أنفسُ ما عنيتُ بحفظه ... وأراه أسهلَ ما عليكَ يضيع

فهل يبادر شبابنا إلى اغتنام أوقاتهم وأعمارهم أم يُشغلهم الشيطان ويسوِّل لهم حتى تضيع تلك الأوقات الثمينة باللهو والغفلة والفجور؟!

* * *

(١) الجواب الكافي، ص ٢٠١.

(٢) اقتضاء العلم العمل، للخطيب البغدادي ص ١١٣.



وقفة تأمل عند نهاية العام

ها هي أيام العام الهجري قد أزفت للرحيل، ونحن نودع عاماً ونستقبل عاماً جديداً ينبغي علينا أن نتوقف وقفة تأمل ومحاسبة للنفس، فالأيام تمضي والأعمار تنقضي، وفيها دروس وعبر، وكم من أناس نحبهم من أقرباء وأصدقاء وجيران استقبلوا معنا بداية العام الماضي ولكنهم ودَّعوا الحياة قبل أن ينتهي بهم العام، وصاروا تحت أطباق الثرى لا أنيس لهم ولا جليس إلاَّ عملهم الصالح، وانقطعت آمالهم التي طال انتظارهم لها، ولا يدري أحدنا أيطول به العمر فيستقبل عاماً بعد عام أم نلحق بمن سبقنا فتتصرَّم منّا الآمال وتنقطع الأعمال وينقضي الأجل المحتوم؟.

ولقد وردت آيات كثيرة في كتاب الله سبحانه في الحث على محاسبة النفس والتوقف وقفات تأمل؛ للنظر في أحوالها ومآلها والنظر فيما قدمت من أعمال، والعزم على الاستقامة والعزم الجديد في مستقبل الأيام.

وفي ذلك يقول الله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[1].

---

(١) سورة الحشر: الآية ١٨.

ويقول الرسول ﷺ: **«الكيِّس[1] من دان نفسه[2] وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله»**[3].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم. وتزينوا للعرض الأكبر)[4].

وقال ميمون: (لا يكون العبد تقيّاً حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه)[5].

فما أحوجنا ـ أخي القارئ ـ أن نقف وقفات لمحاسبة أنفسنا لحساب الربح والخسائر فيما عملنا من أعمال، مع النظر في النية والقصد، وليكون ذلك استعداداً لاستقبال عامنا القادم بعزم جديد على الاستقامة، وبهذا تشمل المحاسبة الماضي والحاضر والمستقبل.

يقول الحسن البصري يرحمه الله: (لا تلقى العبد المؤمن إلاَّ يعاتب نفسه، ماذا أردتِ بكلمتي؟ ماذا أردتِ بأكلتي؟ ماذا أردت بشربتي؟ والعاجز يمضي قُدماً لا يعاتب نفسه)[6].

---

(١) الكيِّس: هو العاقل.

(٢) دان نفسه: أي حاسبها في الدنيا قبل أن يحاسَب يوم القيامة.

(٣) رواه الترمذي، رقم (٢٤٥٩)، وقال: حديث حسن.

(٤) رواه الإمام أحمد في كتابه الزهد ص ١١٧، والترمذي في سننه ٤/ ٥٥٠.

(٥) محاسبة النفس لابن أبي الدنيا ص ٣٣، إغاثة اللهفان لابن القيم ١/ ٧٩.

(٦) محاسبة النفس ص ٣١.

وهكذا ينبغي التأكيد على محاسبة النفس والتدقيق عليها ليسلم المسلم من أخطارها وشرورها، ويقوي الواعظ الإيماني فيها، ويوقظها من غفلتها، ويذكِّرها بموقف الحساب العسير لمن أتبع نفسه هواها وتهاون في طاعة ربه سبحانه، ذلك اليوم الذي تنكشف فيه خفايا النفوس، وتُنشر صحف الأعمال، وتنطق الجوارح والأعضاء.

﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[1].

ومن أكرمه الله سبحانه بالنجاة والفوز يوم الدين، وآمنه من المخاوف، ومنَّ عليه بالمغفرة والرضوان فهو في سعادة عظمى.

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾[2].

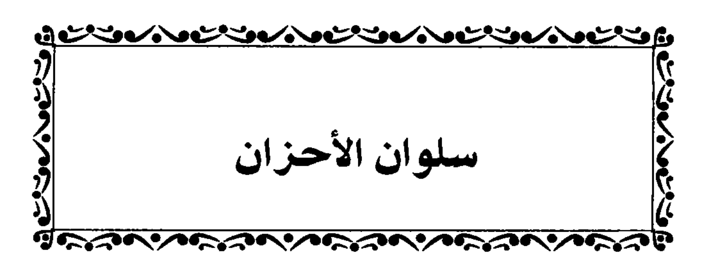
اللَّـهُمَّ اجعلنا منهم، وارزقنا عمراً مديداً مباركاً في طاعتك، وألهمنا رشدنا وأعذنا من شرور أنفسنا، يا أرحم الراحمين.

* * *

---

(١) سورة يس: الآية ٦٥.

(٢) سورة الحاقة: الآية ١٩ ــ ٢٤.



سلوان الأحزان

يشارك المؤمن إخوانه في الأفراح والأتراح، والسرور والأحزان، فالمؤمن للمؤمن كالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر، ويُستحب عند زيارة المبتلى أن نذكِّره بالصبر الجميل ونخفف عنه مصابه بما نقدر عليه من المؤازرة وطيب الكلام.

وإليك نموذجاً يمكن اتخاذه محوراً لحديثٍ في مجلس الأتراح وهو من بدائع التوجيهات النبوية:

روى البخاري عن عبد الله بن كعب عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «**مَثَلُ المؤمن كالخامة من الزرع: تُفيِّؤها الريح مرَّة، وتعدلها مرة، ومثل المنافق كالأرْزة لا تزال حتى يكون انجعافُها مرة واحدة**»[1].

وفي رواية: «**ومثلُ الكافر كمثل الأرزة، صمَّاء معتدلة، حتى يقصمها الله إذا شاء**»[2].

وفي رواية للإمام أحمد: «مثل المؤمن مثل السنبلة تستقيم مرة وتخرُّ أخرى».

---

(١) رواه البخاري، كتاب المرضى، رقم (٥٦٤٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب التوحيد، رقم (٧٠٢٨).

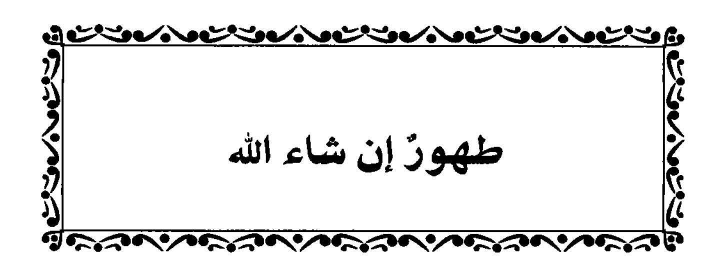
وفي هذه الروايات يضرب الرسول ﷺ مثلاً للبلاء الذي يصيب المؤمن، فلا يؤثر فيه إلاَّ كما تؤثر الريح في الشجرة الطرية الغضَّة، التي تتمايل ثم تعتدل إذا سكن الهواء، وأما المنافق والكافر فإنه كشجرة الأرز التي تظهر أنها ثابتة لا تهتز ولكنها عند الريح الشديد تنكسر من وسطها أو أسفلها، وقد تُقتلع، من جذورها.

فالمؤمن يتلقى البلاء فيصبر، ويرجو الخير من ربه عزَّ وجلّ، فإذا اندفع عنه اعتدل شاكراً، وأما ضعيف الإيمان وأهل الكفر والنفاق فإن الله يمهلهم ويمدُّ لهم في الدنيا، حتى إذا حلَّ بهم البلاء كانت القاصمة.

وفي ذلك يقول المولى سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾[1].

* * *

(١) سورة هود: الآية ١٠٢.



طهورٌ إن شاء الله

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ دخل على أعرابـي يعوده، فقال: «**لا بأس عليك، طَهور إن شاء الله**».

قال الأعرابـي: طَهور؟! بل هي حُمَّى تفور على شيخ كبير، تُزيرهُ[1] القبور.

فقال النبـي ﷺ: «**فنعم إذاً**»[2].

وهـذا الحـديث يتضمـن فـوائـد وعبـر مهمـة ينبغـي تدبرهـا، ومن أبرزها:

١ ــ **أهمية عيادة المريض والدعاء له، والتخفيف عنه**، وهذا ما كان الرسول ﷺ يحرص عليه ويعلِّمه لأصحابه الكرام.

٢ ــ **التحذير من تسخُّط قدر الله سبحانه والاعتراض على حكمته**، فالمرض ابتلاء منه عزَّ وجلّ، وفيه تطهير للمريض من الذنوب إذا صبر، وأما إذا سخط واعترض فإن مصيبته تُضاعف، وآلامه ستزداد بحسرات قلبه واضطرابه وجزعه.

---

(١) تُزيره القبور، أي: تحمله على زيارتها بغير اختياره.

(٢) رواه البخاري، رقم (٧٠٣٢)، ورقم (٣٤٢٠).

ولهذا علَّمنا رسول الله ﷺ أن ندعو للمريض فنقول: «**لا بأس عليك، طهور إن شاء الله**»، أي: أن هذا المرض يكفر الخطايا بإذن الله تعالى، ولا شك أن هذه الكلمات العذبة بلسمٌ يخفف آلام المريض وأحزانه.

٣ ـ **من علامات النبوة** استجابة دعاء النبي ﷺ على هذا المريض الشاكي والمعترض على قدر الله سبحانه، حيث أصبح الأعرابي ميتاً كما ذكر شرَّاح الحديث، فقال النبي ﷺ: «**ما قضى الله فهو كائن**»[(١)].

ولهذا ينبغي للمريض أن يرضى بقضاء الله، ويدعوه طالباً الشفاء والعافية، ولا تُخرجه آلامه عن صبره وثباته وإيمانه بربه سبحانه.

* قال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه «عِدة الصابرين»:

(كل أحدٍ لا بدَّ أن يصبر على بعض ما يكره، إما اختياراً وإما اضطراراً، فالكريم يصبر اختياراً لعلمه بحسنِ عاقبةِ الصبر، وأنه يُحمد عليه، ويُذمُّ على الجزع، وأنه إن لم يصبر لم يرد الجزع عليه فائتاً.. وإن كان الجزع لا ينفعه فإنه يجعل المصيبة مصيبتين.

وأما اللئيم فإنه يصبر اضطراراً، لأنه يحوم حول ساحة الجزع فلا يراها تجدي عليه شيئاً، فيصبر صبر الموثَقِ للضرب)[(٢)].

---

(١) ينظر: فتح الباري ١٠/ ١٢٣.

(٢) عدة الصابرين، ص ٤٥.

فما أحرانا أن نتحلى بالصبر عند المصائب والنكبات، لنحظى بعظيم الأجر من المولى سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[1]، ﴿ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[2]، ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[3].

* * *

(١) سورة الزمر: الآية ١٠.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٤٦.

(٣) سورة يوسف: الآية ٩٠.



الرضا بالقضاء

* قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى[1]:

دعِ الأيام تفعل ما تشاء ... وطبْ نفساً إذا حكم القضاء
ولا تجزع لحادثة الليالي ... فما لحوادث الدنيا بقاءُ
وكن رجلاً على الأهوال جَلداً ... وشيمتك السماحة والوفاء
وإن كَثُرتْ عيوبك في البرايا ... وسَرَّك أن يكون لها غطاء
تستَّر بالسخاء فكل عيبٍ ... يغطيه ـ كما قيل ـ السخاءُ
ولا تُرِ للأعادي قط ذلاًّ ... فإن شماتة الأعدا بلاء
ولا ترجُ السماحة من بخيلٍ ... فما في النار للظمآن ماءُ
ورزقُك ليس ينقصه التأني ... وليس يزيد في الرزق العناءُ
ولا حزنٌ يدوم ولا سرورٌ ... ولا بؤسٌ عليك ولا رخاء
إذا ما كنتَ ذا قلبٍ قنوعٍ ... فأنت ومالكُ الدنيا سواء

* * *

(١) ديوان الشافعي ص ٣٩.



بيت الحمد

روى الترمذي بسنده عن أبـي سِنان، قال: دفنتُ ابني سناناً، وأبو طلحة الخولاني جالسٌ على شفير القبر، فلما أردتُ الخروج أخذ بيدي، فقال: ألا أبشرك يا أبا سِنان؟، قلت: بلى، فقال: حدثني الضحاك بن عبد الرحمن، عن أبـي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات ولدُ العبد قال الله عزَّ وجلّ لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حَمِدك واسترجع[1]. فيقول: **ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة، وسمُّوه بيت الحمد**»[2].

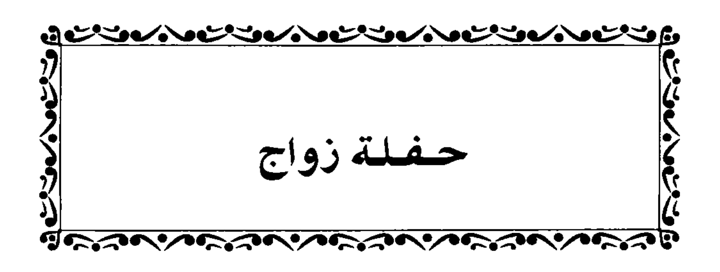
وروى البخاري عن أبـي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاءٌ إذا قبضتُ صفيَّهُ من أهل الدنيا ثم احتسبه إلاَّ الجنة**»[3].

* * *

(١) معنى استرجع، أي: قال: (إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون).

(٢) رواه الترمذي، رقم (١٠٢١) وحسَّنه.

(٣) رواه البخاري ١١/ ٢٠٧.



حفلة زواج

النجاشي يحتفل بزواج النبي ﷺ:

* كانت أم حبيبة رملة بنت سفيان رضي الله عنها قد تزوجت عبيد الله الأسدي، وخرج معها مهاجراً إلى الحبشة في الهجرة الثانية، ولكنه تنصَّر هناك حتى مات على النصرانية، وثبتت أم حبيبة على الإسلام، وقد رأت بعد ذلك في منامها رؤيا تحدُّثنا عنها فتقول:

(رأيتُ في النوم كأن آتياً يقول: يا أم المؤمنين، ففزعت، فأوَّلتُها أن رسول الله ﷺ يتزوجني، فلما انقضت عدتي، إذا برسول النجاشي على بابي يستأذن، فإذا جارية له يقال لها أبرهة، فدخلت عليَّ فقالت: إنَّ الملك يقول لكِ: إنَّ رسول الله ﷺ كتب إليَّ أن أزوجك، فقلت: بشَّركِ الله بخير . . .)[1].

* وقد كانت أم حبيبة تعيش في مهاجرَها بالحبشة محنةً قاسية جرَّاء ردَّةِ زوجها إلى النصرانية، ولكن إيمانها القوي بالله منحها الصبر والثبات، وتمثلت قوله تعالى:

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٩٧.

ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾[١] .

وبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي، فزوّجه إياها، وأجرى العقد خالد بن سعيد بن العاص، وأصدقها[٢] النجاشي عن رسول الله ﷺ أربعمائة دينار، وبعثها مع شرحبيل بن حسنة، وجهّزها من عنده.

فلما كان العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين، فحضروا، فخطب النجاشي، فقال: (الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار، أشهد أن لا إلـه إلاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأنه الذي بشّر به عيسى عليه السلام، أما بعد، فإن رسول الله ﷺ كتب إليّ أن أزوِّجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ، وقد أصدقتها أربعمائة دينار)، ثم سكب الدنانير بين يدي القوم.

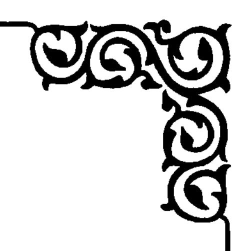
فقام خالد بن سعيد بن العاص وكيل أم حبيبة، فقال: (الحمد لله أحمده وأستعينه وأستنصره، وأشهد أن لا إلـه إلاّ الله، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، أما بعد: فقد أجبتُ إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ وزوّجته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فبارك الله لرسوله ﷺ)[٣].

* * *

(١) سورة الطلاق: الآيتان ٢، ٣.

(٢) أي: دفع لها الصداق، وهو المهر.

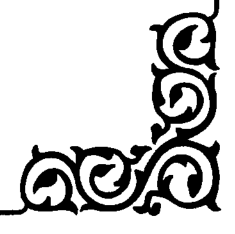
(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ٩٨.

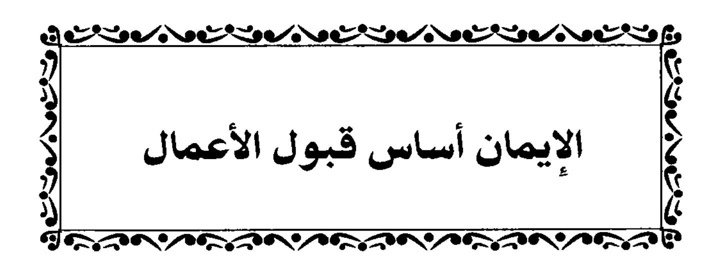


النجاة والهلاك

* الإيمان أساس قبول الأعمال.
* شاب تيقظت فطرته.
* إسلام أبـي قحافة والد أبـي بكر.
* كن حذراً من موقف الحساب العسير.
* الحساب اليسير.
* ترويض النفس.
* الإمام الشافعي على فراش الموت.
* يا ليتني كنت صاحب الحفرة.
* سبق إلى تربته.
* علاج نافع.
* صرعى الغفلة.
* حيلة شيطانية.
* حسن الظن واتباع الهوى.
* المعاصي تزرع أمثالها.
* الخشية من الجبار.
* توبة الفرزدق.
* ويل للأعقاب من النار.
* بماذا تفكر.
* العمل بالقرآن.
* مخالفة الهوى.
* رأس الطائر وجناحاه.
* احرص على ما ينفعك.
* آثار السجود.
* التمس لأخيك عذراً.
* الشفقة عند النصيحة.
* الفرق بين النصيحة والتأنيب.
* أغلى هدية.
* الخوف والرجاء.
* حصنوا بيوتكم بتلاوة القرآن.
* الرؤيا الصالحة.
* حسن البلاغة.
* عتاب النفس.







الإيمان أساس قبول الأعمال

التوحيد هو الأساس الذي يقوم عليه البناء، ولكن هذا الأساس لا يكفي في النجاة دون العمل الصالح، وتزكية النفس واستقامة السلوك، كما لا يكفي أساس البناء دون رفع الأعمدة والجدران ليتم الانتفاع من البناء، ولا تكفي جذور الأشجار دون أن تنبت الأغصان وتثمر الثمار.

أما كلمة الشرك فهي كالشجرة الخبيثة التي لا أصل لها ولا ثبات، وقد تهيج وتتعالى ويخيل إلى الناس أنها أقوى من الشجرة الطيبة، لكنها تظل هشة لا جذور لها تترسخ بها وما هي إلاَّ فترة ثم تجتث من فوق الأرض، فلا يبقى لها قرار، وهذا هو حال الشرك في اضطرابه وقلقه وعدم رسوخه، وهو مقطوع الأصل لا صلة له بالفطرة السليمة التي أوجدها الله في النفس.

والله سبحانه يثبت أهل التوحيد ليزدادوا رسوخاً ويزداد إيمانهم استقراراً ويثمر العمل الصالح، كما يزيد أهل الشرك ضلالاً واضطراباً لانحرافهم عن الحق وإعراضهم عن نداء الفطرة.

﴿ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ

﴿ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١﴾[1].

وفي هذا النص القرآني تصويرٌ لحال المشركين الذين زلَّت أقدامهم عن طريق التوحيد، وقد شبَّه الله سبحانه الإيمان بالسماء لعلوه، والشرك بالسقوط منها، فالمشرك ساقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر، فهو كمن سقط من السماء إلى الأرض فتمزقت أوصاله وصارت الطير تتخطفها، وتهوي بها الريح فتلقي بها في مكان سحيق، ومن كانت هذه صفته لا يُرجى له خلاص إذ يفقد القاعدة الثابتة، قاعدة التوحيد، والمستقَر الآمن الذي يثوبُ إليه، فتتخطفه الأهواء تخطُّف الجوارح، وتتقاذفه الأوهام تقاذف الرياح.

ولهذا كان الإيمان أساس قبول الأعمال، وفي ذلك يقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ٨٢﴾[2].

فلا يحظى بالأمن والنجاة يوم القيامة إلاَّ أهل الإيمان الصادق، وأما الكفار فهم الظالمون لأنفسهم، ومهما عملوا في الدنيا من أعمال الخير والبر والإحسان إلى الناس فهي هباء منثور وسراب خادع، وقد بيَّن الله عزَّ وجلّ ذلك في كتابه فقال سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٖ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾[3].

---

(١) سورة الحج: الآيتان ٣٠، ٣١.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٨٢.

(٣) سورة الفرقان: الآية ٢٣.

ولقد كان في الجاهلية أهل كرم وجود ولكنهم أصروا على كفرهم فلم ينفعهم جودهم، ومن هؤلاء عبد الله بن جدعان، وهو ابن عم والد أبـي بكر الصديق رضي الله عنه، الذي اشتُهر بالجود وكان يُطعم التمر والسويق، وجعل منادياً ينادي كل ليلة على ظهر الكعبة هلموا إلى جفنة ابن جدعان. ومع هذا كله فقد ورد في صحيح مسلم أن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله إن ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقري الضيف، فهل ينفعه ذلك يوم القيامة؟ فقال: «**لا، إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين**»[1].

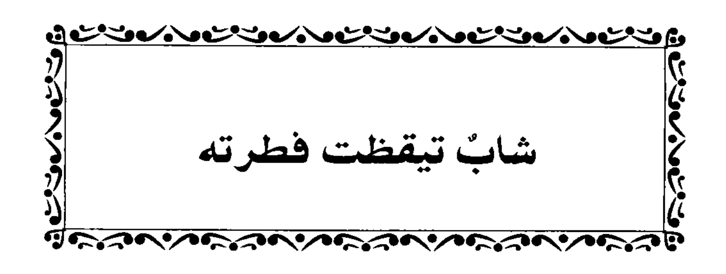
قال الإمام النووي رحمه الله: (إن معنى هذا الحديث أن ما كان يفعله من الصلة والإطعام ووجوه المكارم لا ينفعه في الآخرة لكونه كافراً، لم يقل رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين، أي: لم يكن مصدقاً بالبعث.. فالكفار لا تنفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب)[2].

نسأل المولى سبحانه أن يثبت الإيمان في قلوبنا، ويرزقنا الصدق والإخلاص في القول والعمل، إنه سميع مجيب.

*   *   *

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم (٢١٤).

(٢) شرح النووي على مسلم ٣/ ٨٦.



شابٌ تيقظت فطرته

روى البخاري ومسلم عن أبـي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: «**مـا مـن مـولـود إلاَّ يـولـد علـى الفطـرة، فـأبـواه يهـوِّدانـه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه**»[١].

أجل.. إن الإيمان جبلَّة في النفس، ولو تُرك الإنسان لفطرته لما انحرف عن الدين الحق، فالبيئة لها تأثير سيِّء في تغيير الفطرة وطمسها حتى ينشأ الطفل بعيداً عن الإيمان، متجهاً إلى الضلال والباطل.

وقد أرسل الله سبحانه الأنبياء والرسل لإرشاد الناس ودعوتهم إلى الإيمان بالله وتوحيده، وإيقاظ هذه الفطرة المتبلِّدة التي زاغت وعميت، وانساقت خلف التقليد الأعمى للآباء والأجداد وأهل الضلال.

ومهما يكن الأمر فلا بدَّ لأصحاب العقول الراجحة من اليقظة والانتباه، وهذا ما فعله كثير من الصحابة رضي الله عنهم الذين سارعوا إلى الإيمان، ونفضوا عن نفوسهم غبار الشرك والأوهام.

وإليك أخي القارىء قصة شاب أصرَّ قومه على الشرك، ولما سمعوا بقدوم النبـي ﷺ خرجوا هاربين إمعاناً في الضلال، ولكن هذا الشاب

---

(١) رواه البخاري ٢/ ٩٧، ومسلم رقم (٢٦٥٨).

تيقظت فطرته فسارع للإيمان، إنه أبو رجاء العطاردي الذي يحدثنا عن قومه فيقول: (أدركت النبي ﷺ وأنا شاب أمرد، ولم أرَ ناساً كانوا أضلَّ من العرب، كانوا يجيئون بالشاة البيضاء فيعبدونها، فيختلسها الذئب، فيأخذون أخرى مكانها يعبدونها، وإذا رأوا صخرة حسنة جاؤوا بها، وصلُّوا إليها، فإذا رأوا أحسن رموها. فبُعث رسول الله ﷺ وأنا أرعى الإبل على أهلي، فلما سمعنا بخروجه لحقنا بمسيلمة)[1].

* كما يحدثنا عن نفسه فيقول:

(بُعث النبي ﷺ، وكان لنا صنمٌ مدوَّر، فحملناه على قَتَب، وتحوَّلنا ففقدنا الحجر[2]، انسلَّ فوقع في رمل، فرجعنا في طلبه، فإذا هو في رملٍ قد غاب فيه، فاستخرجته، فكان ذلك أول إسلامي، فقلت: إنَّ إلـٰهاً لم يمتنع من تراب يغيبُ فيه لإلـٰهُ سوء!! فكان أول إسلامي، فرجعت إلى المدينة وقد توفي النبي ﷺ)[3].

وهكذا تيقَّظت فطرة هذا الشاب، وعاد إلى الإيمان الذي كان مخبوءاً في فطرته، وأدرك أنَّ هذا الإلـٰه المزيَّف والصنم الحجري لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً، فقد وقع عن الراحلة وغاب في الرمال لأنه حجر أصم، فكيف يكون إلـٰهاً؟!

إنَّ مشهد هذا الصنم المعفَّر في الرمال والناس يبحثون عنه كان كفيلاً

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٥٤.

(٢) أي: الصنم.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٥٦.

بيقظة فطرة أبـي رجاء، الذي سارع للإسلام ولحق بالرسول ﷺ في المدينة، لكنه لم يدركه حيّاً، وفاته شرف صحبته والجلوس إليه واستماع حديثه العذب الذي يهز النفوس.

ومع ذلك فقد اهتدى أبو رجاء للدين الحق، وجالس الصحابة الكرام وتعلَّم الإسلام على أيديهم حتى أصبح إماماً من كبار التابعين، وكان كما يقول عنه الإمام الذهبـي: (خير تلاَّءٍ لكتاب الله)(١).

وفي العصر الحديث رغم التشويه المتعمَّد لصورة الإسلام على يد الأعداء الحاقدين، ورغم حملات الغزو الفكري والثقافي، فإننا نجد كثيراً من المفكرين والعلماء في شتى مجالات العلم والمعرفة يعودون إلى الدين الحق، وقد تيقظت فطرتهم وشهدوا شهادة التوحيد.

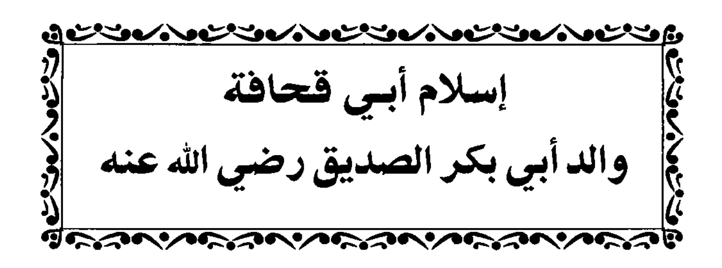
وصدق المولى سبحانه القائل: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾(٢).

* * *

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٥٤.

(٢) سورة فصلت: الآية ٥٣.



إسلام أبي قحافة
والد أبي بكر الصديق رضي الله عنه

قصة فيها درر من الفوائد الدعوية :

أخرج أبو إسحاق في «المغازي» وابن حبان في «صحيحه» عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها قالت :

(لما وقف رسول الله ﷺ بذي طوى ـ يوم فتح مكة ـ ، قال أبو قحافة لابنةٍ له من أصغر ولده : أي بُنيَّة ، ماذا ترين؟

قالت : أرى سواداً مجتمعاً .

قال : تلك الخيل .

ثم قالت : قد والله انتشر السواد .

فقال : قد والله دفعت الخيل فأسرعي بي إلى البيت .

فانحطت به فتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته .

قالت : فلما دخل رسول الله ﷺ ، ودخل المسجد أتاه أبو بكر رضي الله عنه بأبيه يقوده ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : **«هلاَّ تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه؟»** .

قال أبو بكر : يا رسول الله هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه .

فأجلسه بين يديه، ثمَّ مسح صدره، ثمَّ قال له: «أَسْلِم»، فأسلَمَ)[1].

وفي هذه القصة فوائد دعوية مهمة، منها:

١ ـ تودُّد الرسول ﷺ لوالد أبي بكر رضي الله عنه ومسحه على صدره، حتى أجلسه بين يديه مع أنه لا يزال كافراً، كل هذه الصور والمشاهد فعلها الرسول ﷺ المربي الحكيم قبل أن يعرض عليه الإسلام ليؤانسه ويزيل حاجز الرهبة والعناد السابق، ولذلك أسلم أبو قحافة بمجرد دعوته للإسلام.

٢ ـ إكرام الرسول ﷺ لصاحبه أبي بكر متمثلاً في تكريم والده والاهتمام به، وهذه لفتةٌ تبرز اهتمام الإسلام ببر الوالدين.

٣ ـ تواضع الداعية واستحباب أن يغشى مجالس الناس وبيوتهم ليدعوهم، وخاصة إن كانت لهم مكانة بين قومهم أو كانوا كباراً في السن.

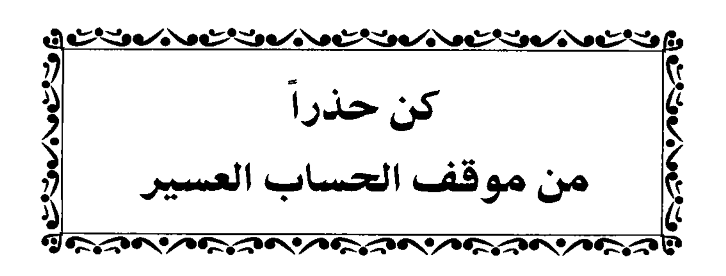
وهذا ما أشار إليه الرسول بقوله: «**هلا تركتَ الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه..**».

فليحرص الدعاة والمربون على هذه الفضائل والسجايا الكريمة وليقتدوا بهذا الهدي النبوي الحكيم.

❊ ❊ ❊

---

(١) صحيح ابن حبان، رقم (١٧٠٠)، وإسناده صحيح، كما قال الحافظ ابن حجر في (الإصابة) ٦/ ٣٨٩، وانظر: سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٧١.



كن حذراً من موقف الحساب العسير

عن عائشة رضي الله عنها أنَّ رجلاً قعد بين يدي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: إنَّ لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني، وأشتمهم وأضربهم فكيف أنا منهم؟.

فقال رسول الله ﷺ: «**يُحسبُ ما خانوك وعصَوْك وكذبوك وعقابك إياهم، فإن كان عقابُك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً، لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتُصَّ لهم منك الفضل**».

قال: فتنحى الرجل فجعل يبكي ويهتف[1]، فقال رسول الله ﷺ: «**أما تقرأ كتاب الله عزَّ وجلّ**: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧﴾»[2].

فقال الرجل: والله يا رسول الله، ما أجد لي ولهؤلاء شيئاً خيراً من مفارقتهم، أُشهدكم أنَّهم أحرار كلهم[3].

---

(١) يهتف بكسر التاء: أي يبكي ويصيح.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٤٧.

(٣) رواه الترمذي، رقم (٣١٦٥)، ورواه الإمام الطبري في تهذيب الآثار، رقم (٢٤٦٨)، والإمام أحمد في مسنده ٦/ ٢٨١.

❊ قال الإمام الطبري تعليقاً على هذا الحديث ما ملخصه:

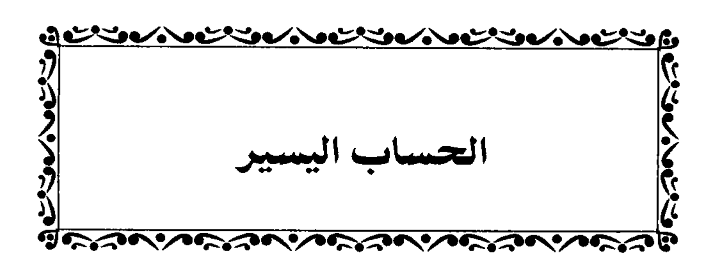
(إنَّ الرجل بتجاوزه ما أباحه الله تعالى وأطلقه له من القدر في أدب أهله مطالبٌ به يوم القيامة، وعنه مسؤول).

فالحساب عسير، وحقوق العباد مبنيَّة على التدقيق، وخيرٌ للعبد أن يكون خفيف الحمل من حقوق الآخرين فيسامح ويعفو ويصبر ويغفر، وإذا أدَّب عاملاً من عماله فليكن تأديبه برفق ولين، وليُعرض عن الجاهل الَّذي أساء إليه فلا يرد جهالته بجهالةٍ أشد: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة الشورى: الآية ٤٣.



الحساب اليسير

* قال الحسن البصري رحمه الله:

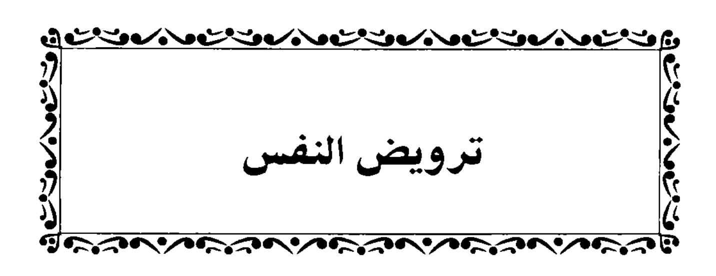
(أيسرُ الناس حساباً يوم القيامة الذين حاسبوا أنفسهم في الدنيا، فوقفوا عند همومهم وأعمالهم، فإن كان الذي همُّوا به لهم مضوا، وإن كان عليهم أمسكوا، وإنما يثقلُ الحساب يوم القيامة على الذين جازفوا الأمور في الدنيا، أخذوها من غير محاسبة، فوجدوا الله قد أحصى عليهم مثاقيل الذرِّ، ثم قرأ قول الله تعالى:

﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾[1])[2].

* * *

(١) سورة الكهف: الآية ٤٩.

(٢) محاسبة النفس، لابن أبي الدنيا، ص ٩٤.



ترويض النفس

* قال علي بن أبـي طالب رضي الله عنه:

(إياكم وتحكيم الشهوات على أنفسكم، فإنَّ عاجِلَها ذميمٌ، وآجلها وخيم، فإنْ لم ترها تنقاد بالتحذير والإرهاب فسوِّفها بالتأميل والإرغاب، فإن الرغبة والرهبة إذا اجتمعتا على النفس ذلَّت لهما وانقادت)[1].

فاحرص ـ أخي المسلم ـ على مجاهدة نفسك بالترغيب والترهيب، واعلم أنك إن شدَّدت عليها في بادىء الأمر سيرتقي إيمانك، وتحظى برضوان ربك، وتتذوق حلاوة الإيمان، فتكون نفسك عوناً لك على طريق الخير والسعادة والنجاح.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله:

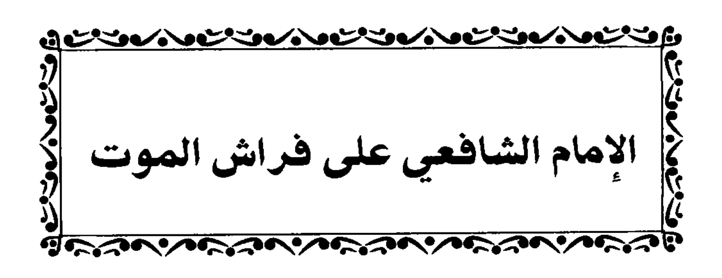
(بين العبد وبين السعادة والفلاح: قوة عزيمة، وصبر ساعة، وشجاعة نفس، وثبات قلب)[2].

* * *

---

(١) أدب الدنيا والدين، ص ٣٦.

(٢) مدارج السالكين ٢/٨.



الإمام الشافعي على فراش الموت

* قال الإمام المزني:

دخلت على الإمام الشافعي في مرضه الَّذي مات فيه فقلت له: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت من الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، ولكأس المنية شارباً، وعلى الله عزَّ وجلّ وارداً، ولا والله ما أدري روحي تصير إلى الجنة فأهنيها، أم إلى النار فأعزيها، ثم بكى وأنشأ يقول[1]:

ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلتُ الرجا مني لعفوك سُلَّما

تعاظَمني ذنبي فلما قرنتُه ... بعفوك ربي كان عفوُك أعظما

وما زلتَ ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو مِنَّةً وتكرُّما

فيا ليت شعري هل أصير لجنَّةٍ ... فأهنا، وإما للسعير فأندما

فإن تعفُ عني تعفُ عن متمرِّدٍ ... ظَلومٍ غشومٍ ما يزايلُ مأثما

ثم قال:

خَفِ الله وارجُه لِكُلِّ عظيمة ... ولا تطع النفس اللجوج فتندما

وكن بين هاتين من الخوف والرجا ... وأبشِرْ بعفو الله إن كنت مسلما

أَلستَ الَّذي غذَّيتني وكفلتني ... وما زلتَ منَّاناً عليَّ ومنعما

عسى مَنْ له الإحسان يغفر زلَّتي ... ويستر أوزاري وما قد تقدَّما

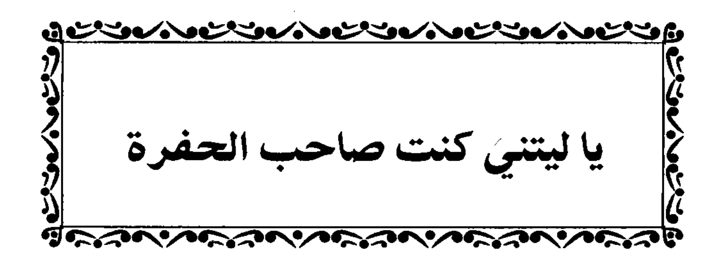
---

(١) ديوان الشافعي، تحقيق: د. مجاهد بهجت، ص ٩٥.

فماذا أعددتَ ــ أخي القارىء ــ لهذه الساعة العسيرة واللحظات المريرة؟

تلك الساعة التي تصبح مع هولها عند أهل الإيمان أَثيرة، لأن نفوسهم لم تكن للدنيا أسيرة.

❊ ❊ ❊



يا ليتنيَ كنت صاحب الحفرة

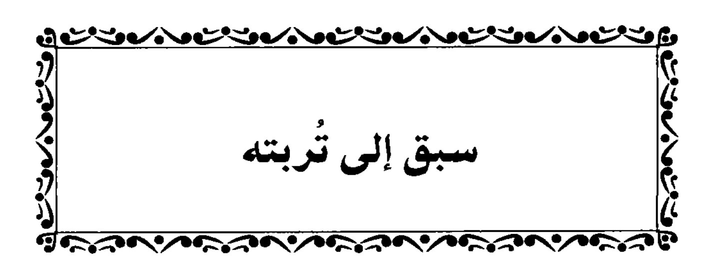
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: قمت من جوف الليل وأنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قال: فرأيتُ شُعلة من نار في ناحية العسكر، قال: فاتبعتها أنظر إليها، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وإذا عبد الله ذو البجادَيْن[1] المزني قد مات، وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله ﷺ في حفرته، وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما يدلِّيانه إليه، وهو يقول: «أَدنيا إليَّ أخاكما» فدلَّياه إليه، فلمَّا هيَّأه لشقِّه قال ﷺ: **«اللّـٰهُمَّ إنِّي أمسيت راضياً عنه، فارضَ عنه»**.

يقول عبد الله بن مسعود: **(يا ليتني كنت صاحب الحفرة)**[2].

* * *

(١) سُمِّيَ ذو البجادَين؛ لأنَّ أهله كانوا يمنعونه من الإسلام ويضيِّقون عليه، حتى تركوه في بِجاد ليس عليه غيره، والبِجاد: الكساء الغليظ، فهرب منهم إلى رسول الله ﷺ وشق بجاده باثنين، فاتزر بواحد واشتمل بالآخر، فسُمِّي ذو البجادين رضي الله عنه.

(٢) انظر: سيرة ابن هشام ٢/ ٥٢٧؛ والبداية والنهاية ٥/ ١٨.



سبق إلى تُربته

عن أبـي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (مرَّ النَّبـي ﷺ بجنازة عند قبر، فقال: «قبر مَنْ هذا؟»، فقالوا: فلانٌ الحبشي يا رسول الله.

فقال ﷺ: «**لا إلـه إلاَّ الله، لا إلـه إلاَّ الله، سَبَقَ مِن أرضه وسمائه إلى تربته الَّتي منها خُلق**»[1]).

وفي رواية عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ حبشيّاً دُفن بالمدينة، فقال رسول الله ﷺ: «**دُفِن في الطينة التي خُلق منها**»[2].

وهذا الحديث يدلُّ على أنَّ الإنسان يُدفن في التربة التي خلق منها.

وتدبَّر معي قوله المولى سبحانه: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾[3].

* * *

(١) رواه الحاكم في المستدرك ١/ ٣٦٧، وصححه وأقرّه الذهبي وقال: له شواهد صحيحة.

(٢) رواه أبو نعيم في أخبار أصبهان ٢/ ٣٠٤، وعزاه الهيثمي للطبراني في الكبير (مجمع الزوائد ٣/ ٤٢)؛ وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٤/ ٤٧٣، رقم (١٨٥٨).

(٣) سورة لقمان: الآية ٣٤.



علاج نافع

* قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:

(القلب يمرض كما يمرض البدن، وشفاؤه في التوبة والحمية.

ويصدأ كما تصدأ المرآة، وجلاؤه بالذكر.

ويعرى كما يعرى الجسم، وزينته: التقوى.

ويجوع ويظمأ كما يجوع البدن، وطعامه وشرابه: المعرفة والمحبة والتوكُّل والإنابة)[1].

فما أشقى الذين يُشغلون أوقاتهم بطعام الجسم ولباسه وزينته، ويتركون قلوبهم عارية من الإيمان، مظلمة بالفجور والعصيان، ظامئة إلى رضى الرحمن.

مضيعٌ لأمر الله قد غشَّ نفسه ... مُهينٌ لها أنَّى يُحَبُّ ويُكرم

فيا ساهياً في غمرة الجهل والهوى ... صريعَ الأماني، عن قريبٍ ستندم

أفِق قد دنا الوقت الذي ليس بعده ... سوى جنةٍ أو حرِّ نارٍ تَضرَّمُ

فإن كنتَ لا تدري فتلك مصيبة ... وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم[2]

---

(١) الفوائد، ص ١٢٩.

(٢) هذه الأبيات من القصيدة الميمية لابن القيم رحمه الله، انظر كتاب: نفائس الوصايا (للمؤلف).

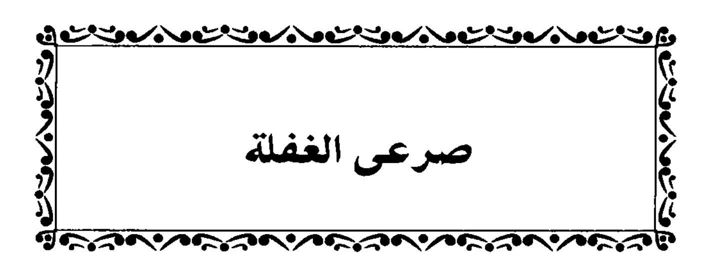
فالذنوب إذا تكاثرت تعمي القلب وتُميتهُ وتجعله منكوساً، قلَّما يتأثر بالمواعظ أو يخشع عند سماع القرآن أو تلاوته، ولا نجاة إلاَّ بالتوبة النصُوح والإقلاع عن المعاصي.

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله:

(المعاصي بمنزلة الأخلاط الرديئة في البدن، ومثل الدَغل في الزرع... والقلب إذا تاب من الذنوب كان استفراغاً من تخليطاته، فتخلصت قوة القلب وإراداته للأعمال الصالحة، واستراح القلب)[1].



(١) مجموع الفتاوى ١٠/٩٦.



صرعى الغفلة

* يقول الشيخ سعود الشريم حفظه الله:

(لو كلَّف كل واحد منا نفسه في أن يحرِّك جفنه ليرى يمنةً ويَسرةً مشاهد متكررة من صرعى الغفلة وقلةِ الذكر، أفلا ينظر إلى ظلمة البيوتات الخاوية من ذكر الله تعالى! أَوْكلهمُ الله إلى أنفسهم لمَّا نسوه، وازدادوا مرضاً إلى مرضهم! أولا ينظر إلى المسحورين والمسحورات وقد تسلَّلت إليهم أيدي السحرة والمشعوذين الدجاجلة الأفَّاكين، فانتشلوا منهم الهناء والصفاء، واقتلعوا أطناب الحياة الهادئة، فخرَّ عليهم سقف السعادة من فوقهم...

لو كلَّف كل واحد منكم نفسه بهذا، أفلا يسأل نفسه أين هؤلاء البؤساء من ذكر الله عزَّ وجلّ؟ أين هم جميعاً من تلك الحصون المكينة والحروز الأمينة التي تُعتقهم من عبودية الغفلة والأمراض الفتَّاكة؟

وفي حضارتنا المعاصرة كَثُر المثقفون، وشاعت المعارف الذكية، ومع ذلك كلِّه فإن اضطراب الأعصاب وانتشار الكآبة داء عام، إنه خواء القلوب من ذكر الله.

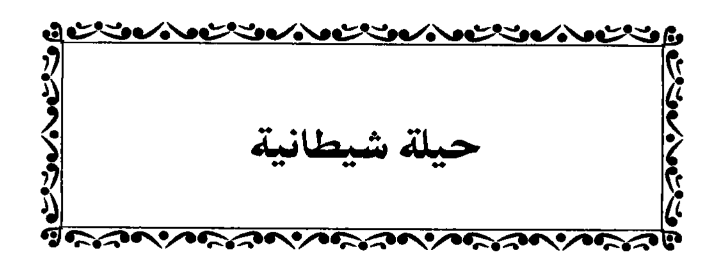
إنَّ الحضارة الحديثة والحياة المادية الجافة مقطوعةُ الصلةِ باللّٰه إلاَّ

من رحم الله، والإنسان مهما قويَ فهو ضعيف، ومهما عَلِم فعلمُه قاصر، وحاجته إلى ربه أشد من حاجته إلى الماء والهواء، وذكرُ الله في النوازل عزاء للمسلم ورجاء)[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) من كتاب «وميض من الحرم» للشيخ سعود الشريم، إمام وخطيب المسجد الحرام، ص ٨٧ ــ ٨٨ باختصار يسير.

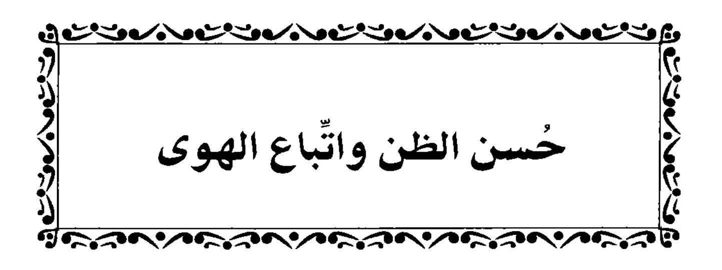


حيلة شيطانية

أوضح الإمام ابن الجوزي يرحمه الله خطر الرياء وأساليب الشيطان الماكرة في إيقاع العبد بهذه الآفة، حتى يضيِّع عليه أجر عبادته، وفي ذلك يقول رحمه الله: (وقد لبَّس إبليس على جماعة من قوَّام الليل فتحدَّثوا بذلك بالنهار، فربما قال أحدهم: فلانٌ المؤذن أذَّن بوقتٍ، ليعلم الناس أنه كان منتبهاً ــ أي صاحياً من نومه لقيام الليل ــ فأقلُّ ما في هذا إن سلم من الرياء أن يُنقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية، فيقلَّ ثوابه)[1].

* * *

(١) تلبيس إبليس، ص ١٤١.



حُسن الظن واتِّباع الهوى

كثير من الناس يظن أنه لو فعل ما فعل من الذنوب ثم قال بلسانه: (أستغفر الله) زال الذنب وتحققت التوبة، هذا النوع من الناس يتعلق بنصوص الرجاء ويتكلُ عليها ويتشبَّثُ بها، وينسى نصوص الوعيد الشديد، وقد أوضح الإمام ابن القيم رحمه الله ذلك، فقال:

(ومن تأمل هذا الموضع حق التأمل علم أنَّ حسن الظن بالله هو حسن العمل، فإنَّ العبد يحمله على حسن العمل حسنُ ظنّه بربه أنَّه يجازيه على أعماله، وإلاَّ فإنَّ حسن الظن مع اتباع الهوى عجز، كما جاء في الحديث عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبـيِّ ﷺ قال: «**الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنَّى على الله الأماني**»[1]. وبالجملة فحسن الظن إنما يكون مع انعقاد أسباب النجاة، وأما مع انعقاد أسباب الهلاك فلا يأتي إحسان الظن)[2].

ثم قال رحمه الله: (وكثير من الجهَّال اعتمدوا على رحمة الله وعفوه وكرمه فضيَّعوا أمره ونهيه، ونسوا أنه شديد العقاب، وأنه لا يُرَدُّ بأسه عن القوم المجرمين؛ ومن اعتمد على العفو مع الإصرار على الذنب فهو كالمعاند).

---

(١) رواه الترمذي، رقم (٢٤٥٩)، وقال: حديث حسن.

(٢) الجواب الكافي، ص ٢٨.

ثم تحدَّث رحمه الله عن دعوى أخرى لبعض الجهال، فقال: (وربما اتكل بعض المغترين على ما يرى من نعم الله عليه في الدنيا، ويظن أنَّ ذلك من محبة الله له، وأنه يعطيه في الآخرة أفضل من ذلك، وهذا من الغرور).

وقد روى الإمام أحمد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إذا رأيت الله عزَّ وجلّ يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج، ثم تلا قوله عزَّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾**»[1].

وقد ردَّ الله سبحانه على من يظن هذا الظن بقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾[2]، أي: ليس من وسَّعتُ عليه رزقه أكون قد أكرمته، ولا كلُّ من ابتليتُه وضيَّقتُ عليه رزقه أكون قد أهنته، بل ابتلي هذا بالنعم، وأُكرم هذا بالابتلاء.

وقد روى الإمام أحمد والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ اللّهَ يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلَّا من يحب**»[3].

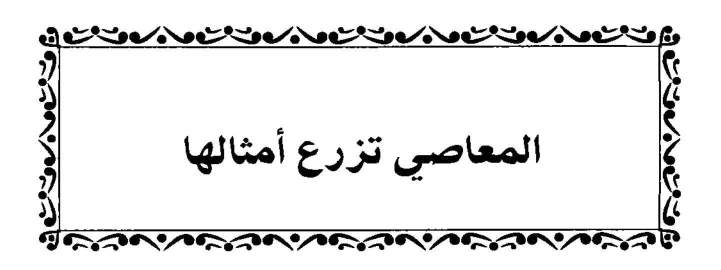
فهنيئاً لأهل الإيمان بمحبة الرحيم الرحمن.

* * *

(١) سورة الأنعام: الآية ٤٤.

(٢) سورة الفجر: الآيات ١٥ ــ ١٧.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٣٨٧، والحاكم ١/ ٨٨ وصححه.



المعاصي تزرع أمثالها

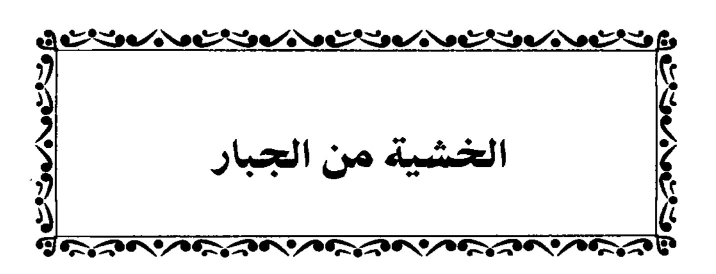
* يقول الإمام ابن القيِّم رحمه الله:

(إنَّ المعاصي تزرع أمثالها، ويولِّد بعضها بعضاً حتى يعز على العبد مفارقتها والخروج منها، فإن من عقوبة السيئة السيئةُ بعدها، ومن ثواب الحسنةِ الحسنةُ بعدها، حتى تصير هيئات راسخة وصفات لازمة وملكات ثابتة.. ولو عطَّل المجرم المعصية وأقبل على الطاعة لضاقت عليه نفسه، وضاق صدره حتى يعاودها، حتى إنَّ كثيراً من الفسَّاق ليواقع المعصية من غير لذَّة يجدها ولا داعية إليها، إلاَّ لما يجده من الألم بمفارقتها.

ولا يزال يألف المعاصي ويحبها ويؤثرها حتى يرسل الله عليه الشياطين فتؤزُّه إليها أزّاً)[1].

* * *

(١) الجواب الكافي، ص ٧٨.

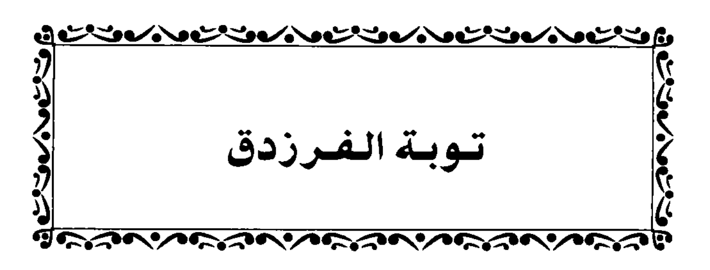


الخشية من الجبار

فيا من بات يخلو بالمعاصي ... وعينُ الله شاهدةٌ تراهُ
أما تخشى من الديَّان طرداً ... وتُحرم دائماً أبداً تراه
تبارز بالمعاصي منك مولى ... على جهلٍ يراك ولا تراه
أتعصي الله وهو يراك جهراً ... وتنسى في غدٍ حقّاً لقاه!!
وتخلو بالمعاصي وهو دانٍ ... إليك ولستَ تخشى من سَطَاه
وتنكر فعلها وله شهودٌ ... على الإنسان تكتب ما حواه
فويل العبد من صحف وفيها ... مساويه إذا وافى مساه
ويا حزن المسيء لشؤم ذنبٍ ... وبعد الحزن يكفيه جواه
ويندمُ حسرةً من بعد فوتٍ ... ويبكي حيث لا يُجزي بكاه
يعضُّ يديه من ندمٍ وحزنٍ ... ويندم حسرة ما قد عراه[1]

* * *

(١) المغني عن مجالس السوء ١/ ٢٢١.



توبة الفرزدق

بعض الشعراء اتخذوا الشعر طريقاً إلى السخرية بالآخرين، والقذف والهجاء اللاذع، وقد كان الفرزدق من هؤلاء، لكنه تاب ورجع إلى الحق.

والفرزدق هو الشاعر همام بن غالب التميمي البصري، توفي سنة (١١٠هـ)، وجدّهُ صحابـي، ووالده عاش في زمان علي رضي الله عنه.

ولما ماتت زوجة الفرزدق شهد جنازتها الحسن البصري، فقال الحسن للفرزدق: ما يقول الناس؟ قال: يقولون: شهد هذه الجنازة اليوم خير الناس وشر الناس، فقال له: يا أبا فراس، لستُ بخير الناس، ولستَ أنت بشرِّ الناس.

ثم قال له الحسن: ما أعددتَ لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إلـه إلاَّ الله منذ ثمانين سنة، فلما صلَّى عليها الحسن أنشأ الفرزدق يقول:

أخـافُ وراء القبـر إن لـم يعـافنـي ... أشـدُّ مـن القبـر التهـابـاً وأضيقـا

إذا جـاءنـي يـوم القيـامـة قـائـدٌ ... عنيـفٌ وسـوَّاق يسـوق الفـرزدقـا

لقد خاب مِن أولادِ آدمَ من مشى ... إلـى النـار مغلـولَ القـلادة أزرقـا

يُسـاق إلـى نـار الجحيـم مُسَـربـلاً ... سـرابيـلَ قطـرانٍ لبـاسـاً مخـرقـا

إذا شـربـوا فيهـا الصـديـد رأيتهـم ... يـذوبـون مـن حـرِّ الصـديـد تمـزُّقـا

فبكى الحسن البصري حتى بلَّ الثرى، ثم التزم الفرزدق، وقال:

لقد كنتَ من أبغض الناس إليَّ، وإنك اليوم من أحب الناس إليَّ[1].

وقد روى الأشعث عن الفرزدق أنه قال: نظر أبو هريرة إلى قدمي فقال: يا فرزدق، إني أرى قدميك صغيرين، فاطلب لهما موضعاً في الجنة.

قلت: إنَّ ذنوبي كثيرة.

فقال: لا بأس، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ بالمغرب باباً مفتوحاً للتوبة لا يُغلق حتى تطلع الشمس من مغربها**»[2].

وروي أنه تعلق بأستار الكعبة، وعاهد الله على ترك الهجاء والقذف، وقال:

ألم ترني عاهدتُ ربي وإنني لبينَ رتاجٍ قائم ومقام
على حلفةٍ لا أشتمُ الدهر مسلماً ولا خارجاً مِنْ فيَّ[3] زورَ كلامِ
فزعتُ إلى ربي وأيقنتُ أنَّني ملاقٍ لأيام الحتوف حِمامي[4]

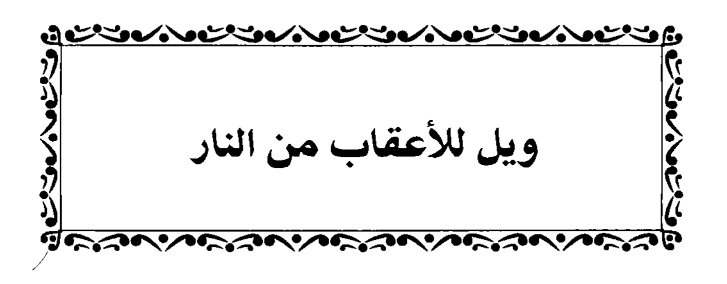
* * *

(١) البداية والنهاية ٩/ ٢٦٥؛ وانظر: المجالسة للدينوري ٥/ ٧٢.

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى ١/ ٢٨١، والدارقطني ١/ ١٩٦، وابن خزيمة ١/ ٩٧.

(٣) أي: من فمي.

(٤) القلائد للسباعي ص ٢٣، والحِمام ــ بكسر الحاء ــ هو الموت.



ويل للأعقاب من النار

إسباغُ الوضوء أمرٌ لا بدَّ منه، لأنَّ الوضوء شرط لصحة الصلاة، فمن ترك جزءاً من أحد الأعضاء الواجب غسلها في الوضوء فهو آثم.

وكثيراً ما يتساهل الناس في ذلك، فيغسلون اليد ويتركون المرفق، ويغسلون الرجل ويتساهلون في غسل العقب، أو بعض الأصابع أو الكعبين.

ولقد حذَّر الرسول ﷺ من ذلك في أحاديث كثيرة، منها ما رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال:

(رجعنا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة، حتى إذا كنا بماءٍ بالطريق تعجَّل قوم عند العصر، فتوضَّؤوا وهم عِجال، فانتهينا إليهم، وأعقابهم تلوح لم يمسها الماء، فقال رسول الله ﷺ: «**ويلٌ للأعقاب من النار، أسبغوا الوضوء**»[1]).

وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ رأى رجلاً لم يغسل عقبيه فقال: «**ويلٌ للأعقاب من النار**»[2].

---

(١) رواه البخاري، رقم (٦٠)؛ ومسلم، رقم (٢٤١).

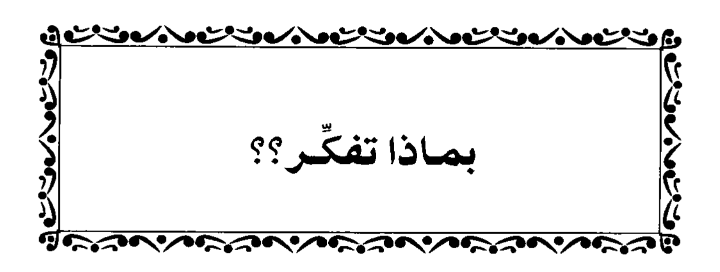
(٢) رواه مسلم، رقم (٢٤٢).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّ رجلاً توضأ فترك موضع ظُفْرٍ على قدمه، فأبصره النبي ﷺ فقال: «**ارجع فأحسن وضوءك**»، فرجع ثم صلَّى[1].

وهذا دليل على وجوب استيعاب غسل الأعضاء المفروضة في الوضوء، وأنَّ من ترك شيئاً منها فهو آثم يُعرِّض نفسه لعذاب الله عزَّ وجلّ، **وكلمة (ويل) وعيد شديد بالعذاب والهلاك**، وقيل: هو واد في جهنم، فكيف يرضى الإنسان لنفسه هذا العقاب من أجل تهاونه بشيء يسير لا يكلِّفه الاهتمام به والحرص عليه صعوبة ولا مشقة؟!



(١) رواه مسلم، رقم (٢٤٣).



بماذا تفكّر؟؟

العاقل تنحصر أفكاره وخطراته وهمومه فيما يستجلب به مصالح دنياه وآخرته، وإذا تزاحمت عليه الأفكار قدَّم الأهم فالأهم الذي يخشى فوته، وأعلى مراتب الفكر وأجلِّها وأنفعها ما كان لله والدار الآخرة.

وقد ذكر الإمام ابن القيِّم رحمه الله مجالات التفكير التي ينبغي للعبد أن يحرص عليها، وهي[1]:

١ ـ التفكير في آيات الله المنزلة وفهم معناها، فالله سبحانه لم ينزل آياته لمجرَّد تلاوتها وإنما ليُعمل بها.

٢ ـ التفكير في آياته المشهودة في الكون والاعتبار بها، والاستدلال بها على أسمائه وصفاته وحكمته وإحسانه سبحانه وتعالى.

٣ ـ التفكير في آلائه ونعمه على خلقه وسعة رحمته ومغفرته وحلمه.

٤ ـ التفكير في عيوب النفس وآفاتها، وفي عيوب العمل، وهذا التفكير عظيم النفع، وهو بابٌ لكل خير، وطريقٌ لكسر النفس الأمَّارة بالسوء وإحياءُ النفسِ المطمئنة.

---

(١) الجواب الكافي ص ٢٠٠.

٥ ــ التفكير في واجب الوقت ووظيفته، فالعارف ابن وقته، فإن أضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها.

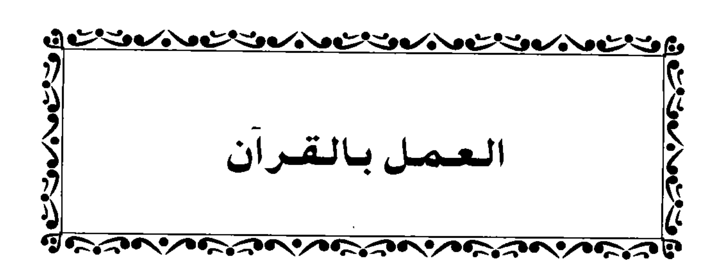
وما عدا هذه الأقسام من الخطرات والفكر، فإما وساوس شيطانية، وإما أماني باطلة وخداع كاذب.

ثم قال رحمه الله: (وقد ركَّب الله سبحانه في الإنسان نفسين: نفساً أمَّارة، ونفساً مطمئنة، وهما متعاديتان، فكل ما خفَّ على هذه ثَقُلَ على هذه، وكل ما التذَّت به هذه تألَّمت به الأخرى، فليس على النفس الأمَّارة أشقُّ من العمل لله، وإيثار رضاه على هواها، وليس لها أنفع منه...

وإذا لم يفرَّغ القلب من الخواطر الرديَّة لم تستقر فيه الخواطر النافعة)[1].

❊ ❊ ❊

(١) الجواب الكافي ص ٢٠٢.



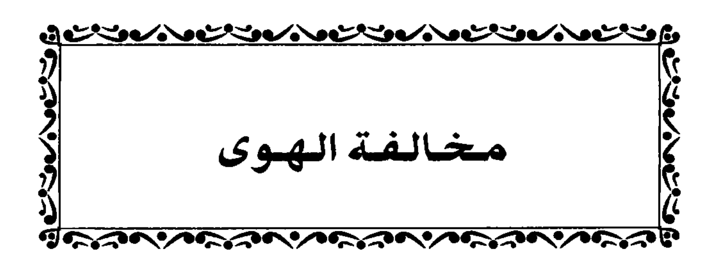
العمل بالقرآن

من بدائع شعر الإمام الشاطبي سيِّد القرَّاء في عصره، والمتوفَّى سنة (٥٩٠هـ)، قوله يرحمه الله:

ألم تر أنَّ الدين يندبُ أهله — غريباً شريداً واحداً دون صاحب
إذا عُدَّ القرآن تتلا حروفُه — ويُنسى حدوداً كلَّ أفق وجانب
يقول: ألستم تؤمنونَ بربكم — منزِّل آيات الكتاب العجائب
فما لكم عنها عروضاً فما لكم؟ — ولا بدَّ من عرضٍ على الله حاسب
لمن يترك القراء وردَ فراتِه — وروداً من الدنيا أجاج المشارب
ولو سمع القراءُ حين اقترائهم — لفي آل عمران كنوز المطالب[1]

* * *

(١) مختصر فتح المواهبي في مناقب الإمام الشاطبي، ص ٦٩.



مخالفة الهوى

الهوى يأسر النفس، ويوردها موارد الهلكة، وقد حذَّر المولى سبحانه من اتِّباع الهوى وطغيان النفس، فقال عزَّ وجلّ:

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[١].

وفي ذلك يقول الشاعر:

إذا ما دعتك النفس يوماً لشهوة ... وكان عليها للخلاف طريقُ

فخالف هواها ما استطعت فإنَّما ... هواك عدوٌّ والخلاف صديق[٢]

ويقول أحمد شوقي:

صلاحُ أمرك للأخلاقِ مرجعه ... فقوِّم النفس بالأخلاق تستقمِ

والنفسُ في خيرها في خير عاقبةٍ ... والنفس في شرها في مرتع وَخمِ

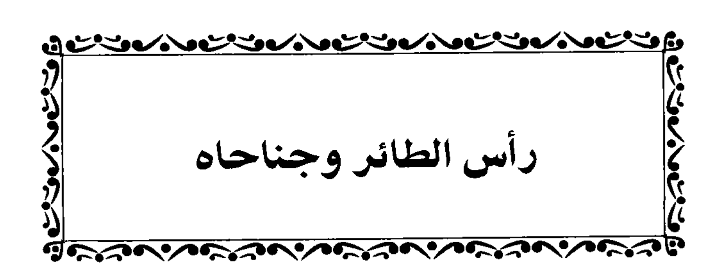
تطغى إذا مُكِّنت من لذَّةٍ وهوًى ... طغي الجياد إذا عضتْ على اللجم[٣]

* * *

(١) سورة النازعات: الآيات ٣٧ ــ ٤١.

(٢) حكم وأخلاق عربية، محمد المكي بن الحسين، ص ٢٠٢.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٠٢.



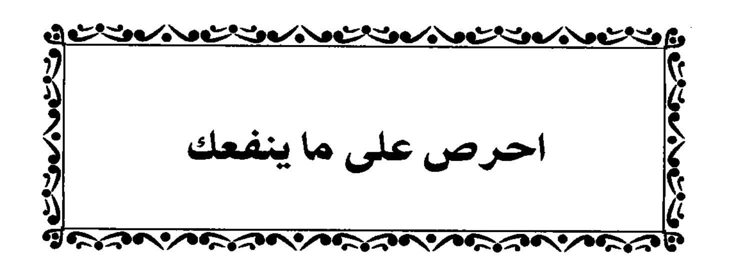
رأس الطائر وجناحاه

* قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

(القلب في سيره إلى الله عزَّ وجلّ بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسُه، والخوف والرجاء جناحاه. فمتى سَلِم الرأسُ والجناحان فالطائر جيِّد الطيران، ومتى قُطع الرأس مات الطائر، ومتى فُقِد الجناحان فهو عُرضة لكل صائدٍ وكاسرٍ. ولكن السلف استحبوا أن يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء على جناح الخوف)[1].

* * *

(١) مدارج السالكين ١/ ٥١٤.



احرص على ما ينفعك

* روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلاَّ من ثلاثة: إلاَّ من صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له**»[1].

وروى ابن ماجه بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته: علماً علَّمه ونشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورَّثه، أو مسجداً بناه، أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته، يلحقه من بعد موته**»[2].

وهكذا يستمر عمل المؤمن، وتلحقه حسناته بعد موته، وتكون له بإذن الله نوراً في قبره، وتثقيلاً لميزانه، ورفعاً لدرجاته يوم القيامة.

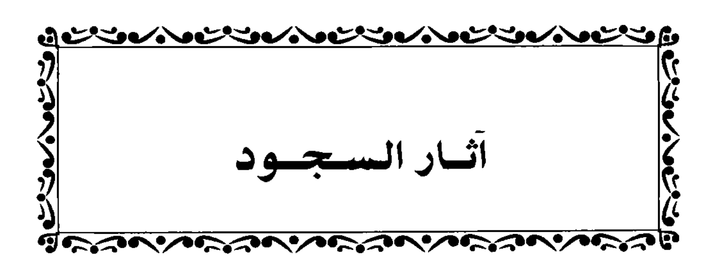
فهنيئاً لمن ظفر بالولد الصالح، وبذل من علمه وماله فكانت خيراتها كنوزاً له يوم الدِّين، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلاَّ مَن أتى الله بقلب سليم.

* * *

---

(١) رواه مسلم، رقم ١٦٣١.

(٢) رواه ابن ماجه، رقم ٢٤٢.



آثار السجود

إذا دخل أهل النار النار فإن الله سبحانه يخلِّد فيها الكفار والمنافقين، وأما عصاة المؤمنين فإنهم يخرجون برحمة الله سبحانه فلا يخلدون.

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أن يُخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يُخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً، ممن أراد أن يرحمه، ممن يشهد أن لا إلـه إلاَّ الله، فيعرفونهم في النار بأثر السجود، تأكل النار ابن آدم إلاَّ أثر السجود، حرَّم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتشحوا**»[1]، أي: احترقوا.

ولهذا قال القاضي عياض رحمه الله: (في هذا الحديث دليل على أن عذاب المؤمنين المذنبين مخالف لعذاب الكفار، وأن النار لا تأتي على جميع أعضائهم إكراماً لمواضع السجود)[2].

ومواضع السجود هي: الجبهة واليدان والركبتان والقدمان.

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري، رقم (٧٠٠٠).

(٢) فتح الباري ١١/ ٤٥٦.

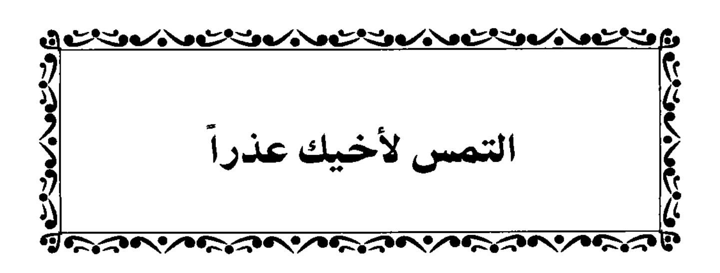
ومن بديع الشعر ما قاله أحد العلماء في هذا المجال:

يـا ربِ أعضـاءُ السجـود عتقتهـا   مـن عبـدك الجـانـي وأنـت الـواقـي
والعتـق يسـري بـالغنـى يـاذا الغنـى   فامنُنْ على الفاني بعتق الباقي[1]

نسأل الله أن يعتق رقابنا من النار، وأن يرزقنا الجنة مع الأبرار.

* * *

(١) فتح الباري ١١/ ٤٥٧.



التمس لأخيك عذراً

الواجب على المسلم أن يحسن الظن بإخوانه وأصحابه، ولا يتتبَّع عثراتهم، ولا يدع للشيطان فرصة للإفساد وسوء الظنون.

عن أبـي قلابة أنه قال: (إذا بلغك عن أخيك شيئاً تكرهه فالتمس له عذراً، فإن لم تجد له عذراً فقل: لعل له عذراً لا أعلمه)[1].

وإذا جاءك يعتذر إليك فاقبل عذره وأقِلْ عثرتَه، ولا تكثر من عتابه.

إذا اعتــذر الصـديـق إليـك يـومـاً ... مــن التقصيــر عـــذرَ أخٍ مُقــرِّ
فصُنْـه عـن جفـائِك، واعـفُ عنـه ... فــإن الصفــحَ شيمـــةُ كـــل حــرِّ

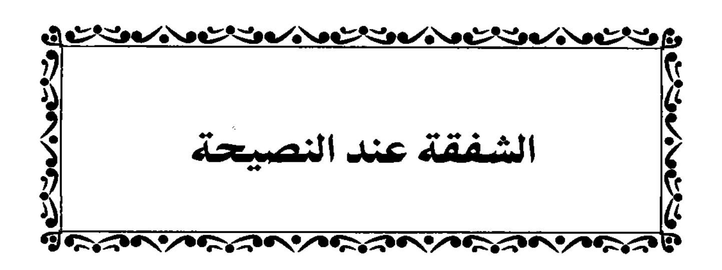
وقد جاء أخ يعتذر إلى أخيه فلم يقبل عذره، فقال له مستعطفاً ومعاتباً:

هبنـــي أســـأتُ كمـــا زعمــ ... ـــتَ فــأيــن عــاطفــةُ الأخــوة؟
أو إن أســـأتُ كمـــا أســـأ ... ت فـــأيـــن فضلـــك والمـــروَّة؟

فاحرص على دوام العشرة وصفاء النفس وسماحة الخلق ونقاء السريرة، فهي زادُك في الدعوة إلى الله عزَّ وجلّ، والتحبب إلى عباده والتأثير في نفوسهم.

* * *

(١) المغني عن مجالس السوء ٢/ ٢١٧، نقلاً عن كتاب الحدائق لابن الجوزي ٣/ ١١٦.



الشفقة عند النصيحة

يقول المولى سبحانه في بيان المنهج الأمثل للدعوة إلى الله عزَّ وجلّ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[1].

وقد أرشد المربي الحكيم ﷺ أصحابَه إلى الرفق بمن وقع في المعصية والتلطف بنصحه، وحذَّر من الغلظة والقطيعة، لأن ذلك قد يكون منفِّراً له ودافعاً إلى مزيد من العصيان، فقال عليه الصلاة والسلام: «**لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم**»[2].

ومما ورد عن السلف الصالح رحمهم الله تعالى في هذا المجال أن رجلاً كان على حال حسنةٍ فأذنب ذنباً فرفَضهُ أصحابه ونبذوه، فبلغ ذلك إبراهيم النخعي رحمه الله، فقال لهم: (**مَهْ تَداركوهُ وعِظوهُ ولا تَدَعُوه**)[3].

ولذلك ينبغي لمن اتخذ الصحبة الصالحة، وبذل جهده حتى ظفر بهم ألا يسارع إلى الإعراض عنهم لمجرد هفوة أو خطأ حصل من أحدهم، فليس ذلك من الوفاء في شيء، فالصحبة لها حقوق من أهمها التناصح

---

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٢) رواه البخاري ٨/ ١٥.

(٣) صفة الصفوة ٣/ ٨٩.

والنصرة، فهل تترك أخاك أسيراً في يد أعدائه الشياطين والنفس الأمارة أم تأخذ بيده وتبادر إلى نجدته؟!

وقد مرَّ أبو الدرداء رضي الله عنه على رجلٍ قد أصاب ذنباً والناس يسبُّونه، فقال: أرأيتم لو وجدتموه في بئرٍ ألم تكونوا مُستخرجيه؟ قالوا: بلى.

قال: فلا تسبوا أخاكم، واحمدوا الله الذي عافاكم.

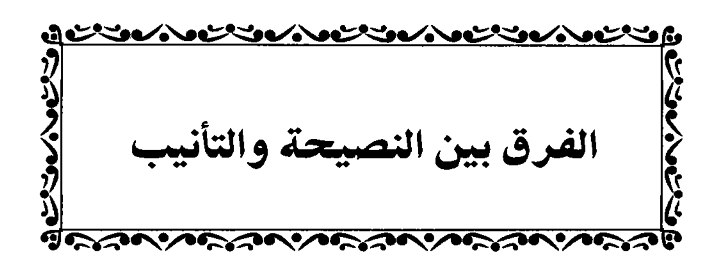
فقالوا: أفلا تبغضه؟

فقال: إنما أبغض عمله، فإذا تركه فهو أخي[١].

فاحرص أخي الكريم على محبة إخوانك، ولا تنظر إلى أحدهم بعين السخط إذا أخطأ أو وقعت منه هفوة، وإنما انظر إليه بعين الشفقة والرحمة، والتمس له المعاذير، وتلطَّف في نصحه وإرشاده، ولو أنك تركتَهُ وهجرتَه بسبب هذا الخطأ الذي وقع منه، فإنك بذلك تتركُه صيداً للشيطان، أفترضى أن يغلبك إبليس في هذه الجولة؟!

* * *

(١) مختصر منهاج القاصدين، للمقدسي، ص ١٢١.



الفرق بين النصيحة والتأنيب

المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً، ولا يتحقق ذلك إلاَّ بالمحبة والتعاطف والتناصح، وأن يحب المؤمن لأخيه ما يحبه لنفسه، فإن رأى أخاه على خطأ أشفق عليه وبادر إلى نصحه بالحكمة والموعظة الحسنة وتمنى له دوام الخير، ولم يفعل كما يفعل بعض الجهال من استغلال هذا الخطأ في التشهير والتأنيب.

* يقول الإمام ابن القيم رحمه الله:

والفرق بين النصيحة والتأنيب: أن النصيحة إحسانٌ إلى من تنصحه، بصورة الرحمة له، والشفقة عليه، والغَيْرة له وعليه، فهو إحسانٌ محضٌ يصدر عن رحمةٍ ورقةٍ، ومرادُ الناصح بها: وجه الله ورضاه، والإحسان إلى خلقه، فيتلطف في بذلها غاية التلطف، ويحتمل أذى المنصوح ولائمتَهُ، ويعاملهُ معاملةَ الطبيب العالم المشفق على المريض المشبعِ مرضاً، وهو يحتمل سوء خلقه وشراسته ونفرتِه، ويتلطَّفُ في وصول الدواء إليه بكل ممكن، فهذا شأن الناصح.

وأما المؤنِّبُ فهو رجلٌ قصدُهُ التعيير والإهانة، وذمُّ من أنَّبه، وشتمه في صورة النصح، فهو يقول له: يا فاعل كذا وكذا، يا مستحقاً للذم والإهانة، في صورة ناصح مشفق.

وعلامة **هذا** أنه لو رأى من يحبُّه ويحسنُ إليه على مثلِ عملٍ هذا أو شرٍّ منه، لم يعرض له، ولم يقل له شيئاً، ويطلبُ له وجوهَ المعاذير، فإن غلب قال: وإني ضمنتُ له العصمة؟ والإنسانُ عُرضةٌ للخطأ، ومحاسنُه أكثر من مساويه، والله غفور رحيم، ونحو ذلك)[1].

ولو التزم الناس أسلوب النصح بالحكمة والشفقة لتغيَّرت أحوالهم وأصبح لسان حال كلٍّ منهم يقول: (رحم الله امرءاً أهدى إليَّ عيوبي).

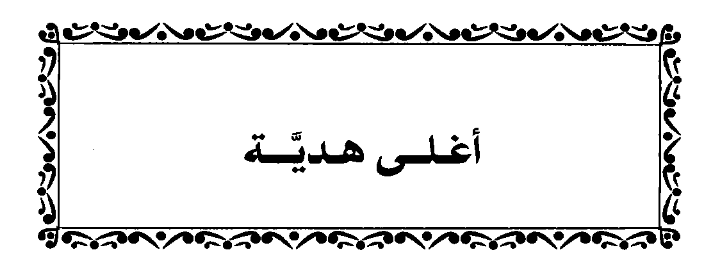
* ومن لطائف شعر الإمام الشافعي في بيان الأسلوب الأمثل في النصيحة، قوله يرحمه الله:

تعمَّدْني بنصحكَ في انفرادي ... وجنِّبْني النصيحة في الجماعهْ
فإنَّ النصح بين الناس نوعٌ ... من التوبيخ لا أرضى استماعهْ
وإن خالفتني وعصيتَ قولي ... فلا تجزع إذا لم تُعطَ طاعهْ[2]

* * *

(١) كتاب الروح ص ٢٤٧.

(٢) ديوان الشافعي، ص ٩٦.



أغلى هديَّة

* قال بلال بن سعد:

(أخٌ لك كلما لقيك أخبرك بعيبٍ فيك خيرٌ لك من أخٍ كلما لقيك وضع في كفك ديناراً)[1].

* وهذه الهدية تزداد قيمتها إذا التزم الناصح بآداب النصيحة من الشفقة والحكمة والموعظة الحسنة ولين القول، وكانت النصيحة سرّاً وليست علانية، بألطف أسلوب وأرقّ عبارة.

وينبغي قبول هذه النصيحة حتى لو كان الناصح مقصِّراً في بعض ما ينصح به؛ ولهذا كان علماء السلف يقولون: (يا معشر الناس! لا يمنعنكم سوء ما تعلمون منّا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون).

* وقال الخليل:

اعملْ بعلمي ولا تنظر إلى عملي ينفعك علمي ولا يضررك تقصيري[2]

ولكن إذا أصرَّ الناصح على هذا التقصير، ولم يكن تقصيره مجرد

---

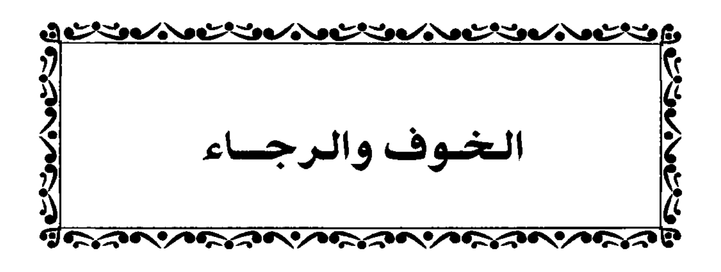
(١) المجالسة وجواهر العلم ٤/ ٢٧٠.

(٢) المجالسة ٤/ ٢٤٠.

غفلة أو هفوة، وإنما كان سلوكاً دائماً أو غالباً، فلن ينتفع الناس بنصحه، ولن يستجيبوا لقوله، وقد حذَّر المولى سبحانه من ذلك فقال عزَّ وجلّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ ﴾[1].

❊ ❊ ❊

(١) سورة الصف: الآية ٢، ٣.



الخوف والرجاء

أورد البخاري في صحيحه أنَّ العلاء بن زياد كان يعظ الناس ويذكر النار، فقال له رجل: لم تقنِّط الناس؟!

فقال: (وأنا أقدر أن أقنِّط الناس؟ والله عزَّ وجلّ يقول: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾[1]، ويقول: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ ﴾[2].

ولكنكم تحبُّون أن تُبشَّروا بالجنة على مساوىء أعمالكم، وإنما بعث الله محمدًا ﷺ مبشِّراً بالجنة لمن أطاعه ومنذراً بالنار لمن عصاه).

وفي هذا تنبيه للمؤمن أن يكون حاله بين الخوف من عذاب الله والرجاء في رحمته، وألا يغترَّ بالرجاء فيدعوه ذلكَ إلى التكاسل عن الطاعات، واقتراف المعاصي والمنكرات، والله سبحانه بشَّر أهل الخشية بالجنات، فقال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾[3].

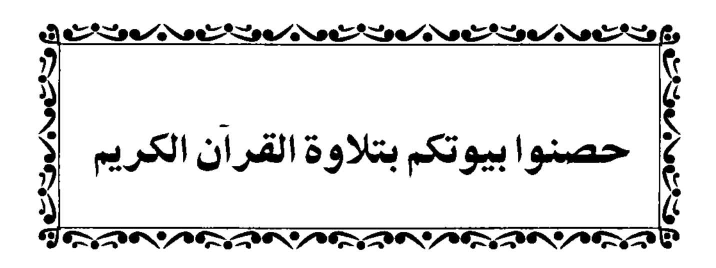
* * *

---

(١) سورة الزمر: الآية ٥٣.

(٢) سورة غافر: الآية ٤٣.

(٣) سورة الرحمن: الآية ٤٦.



حصنوا بيوتكم بتلاوة القرآن الكريم

* القرآن الكريم كتاب الله تعالى، فيه الهداية والنجاة، من تمسك به نال السعادة، وأَمِنَ الشرور والمخاوف، وابتعدت عنه الشياطين.

قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾[1].

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان يفرُّ من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة**»[2].

فالبيوت العامرة بتلاوة القرآن محصَّنة من الشرور، والبيوت التي لا يعمرها أصحابها بالصلاة والتلاوة وذكر الله تعالى تصبح كالمقابر وتُعدُّ مأوى للشياطين.

* عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:

(إن هذا القرآن مأدبة الله، فخذوا منه ما استطعتم، فإني لا أعلم شيئاً أصغر من بيتٍ ليس فيه كتاب الله، وإنَّ القلب الذي ليس فيه من كتاب الله

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٢.

(٢) رواه مسلم، رقم ٧٨٠.

شيء خَرِبٌ، كخراب البيت الذي لا ساكن له)[1].

* وعن أبـي هريرة رضي الله عنه قال:

(إن البيت ليتسعُ على أهله، وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين، ويكثر خيره.. أن يُقرأ فيه القرآن.

وإن البيـت ليضيـق علـى أهلـه، وتهجـره المـلائكـة، وتحضـره الشياطين، ويقلُّ خيره.. أن لا يُقرأ فيه القرآن)[2].

* * *

(١) رواه الدارمي، رقم ٣٣٠٧.

(٢) رواه الدارمي، رقم ٣٣٠٩.



الرؤيا الصالحة

* روى الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[1]، قال: ما سألني عنها أحد منذ سألت رسول الله ﷺ عنها، فقال: «**هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له**»[2].

* وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لم يبقَ من النبوة إلاَّ المبشِّرات**»، قالوا: وما المبشرات؟ قال: «**الرؤيا الصالحة**»[3].

* وعنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة**»[4].

* وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها، فإنما هي من الله تعالى، فليحمد الله**

---

(1) سورة يونس: الآية ٦٤.

(2) رواه الترمذي، رقم (٢٢٧٣).

(3) رواه البخاري، رقم (٦٩٩٠).

(4) رواه البخاري، رقم (٧٠١٧)، ومسلم، رقم (٢٢٦٣).

عليها، وليحدِّثْ بها، وإذا رأى غير ذلك مما يكره، فإنما هي من الشيطان، فليستعذ من شرِّها، ولا يذكرها لأحد، فإنها لا تضرُّه»(١).

* وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«الرؤيا الصالحة من الله، والحُلم من الشيطان، فمن رأى شيئاً يكرهه فلينفُثْ عن شماله ثلاثاً، وليتعوذ من الشيطان، فإنها لا تضره»**(٢).

والنفث: نفخ لطيف لا ريق معه.

وفي رواية: **«وليتحوَّل عن جنبه الذي كان عليه»**(٣).

* قال هشام بن حسان: كان ابن سيرين يُسأل عن مائة رؤيا فلا يجيب فيها بشيء إلَّا أنه يقول:

(اتق الله وأحسِنْ في اليقظة، فإنه لا يضرك ما رأيتَ في النوم).

وكان يجيب في خلال ذلك، ويقول: (وإنما أجيب بالظن، والظن يخطىء ويصيب)(٤).

فلهذا ينبغي على المسلم ألا يصدِّق هؤلاء الذين يتصدرون اليوم لتفسير الأحلام، ويُلقون الذعر والخوف في قلوب الناس بتفسيراتهم المتوهَّمة التي تزعزع يقين المسلم بالقَدَر، وتثير في نفسه الشكوك والقلق.

* * *

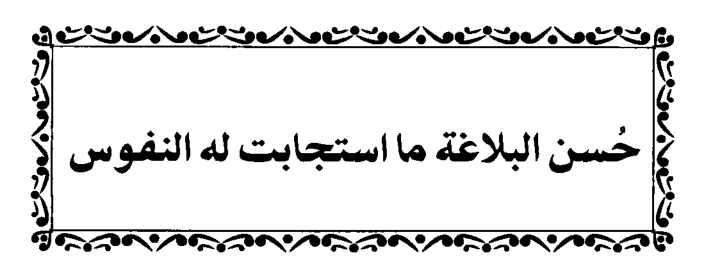
---

(١) رواه البخاري، رقم (٦٩٨٥)، ومسلم، رقم (٢٢٦٢).

(٢) رواه البخاري، رقم (٦٩٨٤)، ومسلم، رقم (٢٢٦١).

(٣) رواه مسلم (٢٢٦٢).

(٤) بهجة المجالس، لابن عبد البر، ٢/١٤٨.



حُسن البلاغة ما استجابت له النفوس

قيل لعمرو بن عُبيد: ما البلاغة؟

قال: ما بلَّغك الجنة، وعَدَل بك عن النار.

قال السائل: ليس هذا أريد.

قال: فما بصَّرك مواقع رشدك وعواقب غيِّك.

قال السائل: ليس هذا أريد.

قال: كان السلف الصالح يخافون من فتنة القول ومن سقطات الكلام ما لا يخافون من فتنة السكوت ومن سقطات الصمت.

قال: ليس هذا أريد.

قال: فكأنما إنما تريد تخيُّر اللفظ في حسن إفهام؟

قال: نعم.

قال: إنك إن أردتَ تقرير حجة الله في عقول المكلَّفين، بالألفاظ المستحسنة في الآذان، المقبولة في الأذهان، رغبةً في سرعة استجابتهم، ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة من الكتاب والسنة، كنتَ قد

أوتيت فصل الخطاب واستوجبت على الله جزيل الثواب[1].

وفي هذا الحوار البديع درس بليغ لكل واعظ وخطيب، فليست البلاغة في اختيار الألفاظ فحسب، وإنما هي في اختيار أسلوب التأثير في النفوس واستجلاب القلوب.

* * *

(١) عيون الأخبار، لابن قتيبة ٢/ ١٨٧.



عتاب النفس

للشاعر: عمر بهاء الدين الأميري

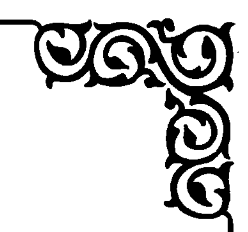
غضبي على نفسي لأني ... لا أُوَفِّي القلب حقَّهْ
أرضى الخمول له، وأهملُ ... شوقهُ، وأعقُّ ذوقهْ
فلو انطلقتُ به لحلَّقَ ... بي، وحلَّق دون رِبقهْ
لكنْ غلَلَتُ خُطا حياتي ... واسترحتُ إلى المشقهْ
وربطتُ نفسي بالرحىٰ ... ودققتُ قلبي شرَّ دقَّهْ
وزعمتُ أنَّ الدهر أوثقني ... لأحمل عنه، وِسْقهْ
وا حُسرتي، نفسي على.. ... نفسي جنَتْ، فالعمر حُرقهْ
يا عبدَ خلّاق العوالم.. ... أنتَ أنتَ الحر، فافقَهْ
والقلبُ عافيةُ الكيانِ ... وليس يرضىٰ العقل خنقهْ
طهِّرْهُ بالتقوىٰ، ودَعْه.. ... لوجده، ليبرَّ عشقهْ
والقلبُ، إنْ حرَّرتَه.. ... لله، تنجُ من المَعقَّهْ
هو مضغةٌ، لكنْ صلاحك.. ... فيه، إنْ أدركتَ عُمقهْ
دقَّاته ذكرٌ صَموتٌ ... ناطقٌ في كل دقَّهْ
بالحمد.. بالتقديس لله ... الذي قد حفَّ خلقَهْ
وأنِبْ لربك، والتزم ... حرّاً به، ما عشتَ رِقَّهْ

فـالكـون كـونـك، بـاسمـه ... مُلَّكتَـه، وحُبيـتَ رزقـهْ
وبـدونـه، لا شـيء أنـت ... ولا تسـاوي وزن بقّـهْ
فـاعـرفْ لنفسـك قـدرهـا ... حقّـاً، ووَفِّ القـدر حقـهْ
بيـن المنيَّـة والمُنـى سَبَـقٌ ... فلـو بـادرتَ سبقـهْ
فـالأمـر مـا بيـن المنيَّـة . . ... والمنـى نَفَـسٌ شهقـهْ[1]

* * *

(١) ديوان/ سبحات ونفحات ص ٢١ .



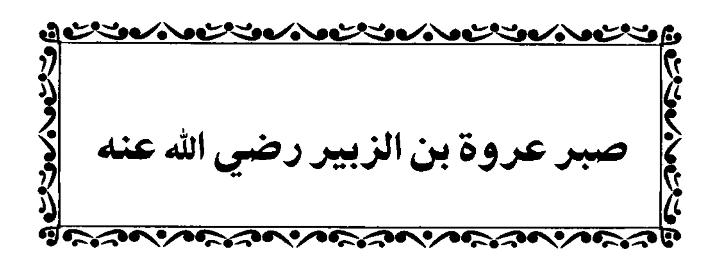


طبائـع الأخـلاق

ومهما تكن عند امرىءٍ من خليقةٍ ... وإن خالها تخفى على الناس تُعلمِ

* صبر عروة بن الزبير.
* شؤم النميمة.
* الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون.
* احذروا الرياء.
* التنكُّر للجميل.
* العيناء والعوراء.
* أخلاق الأبرار وأخلاق الفجار.
* مكارم الأخلاق.
* رجاحة العقل نعمة كبيرة.
* ثلاثة احذر صحبتهم.
* كيف تعرف الناس؟
* البحث عن الصديق الصدوق.
* عتاب صديق.
* ظلم ذوي القربـى.
* حفظ أسرار البيوت.
* حقوق الجيران أين هي الآن.
* أقوال وحِكَم.
* الحياء كله خير.
* إذا وعد أخلف.
* الظلم ظلمات يوم القيامة





صبر عروة بن الزبير رضي الله عنه

قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك حين دويت[١] رجله، فقيل لعروة: اقطعها، فقال: إني لأكره أن أقطع منِّي طائفة؛ فارتفع الداء إلى الركبة، فقيل له: إن وقعت في ركبتك قتلتك؛ فقطعها.

فلما كان بعد أيام قام ابنه محمد بن عروة ليلاً فسقط من أحد الأسطح في اصطبل دواب الوليد، فضربته بقوائمها حتى قَتَلَتْه، فأتى رجل عروة يعزِّيه، فقال له عروة: إن كنت جئت تعزِّي برجلي فقد احتسبتها.

فقال: بل أعزِّيك في محمد ابنك. قال: وما له؟ فخبَّر بشأنه فأنشد:

وكنتُ إذا الأيام أحدَثْن نكبةً ... أقول شوىً[٢]، ما لم يصبن صميمي

ثم رفع يديه يدعو ويقول: (اللَّهُمَّ أخذت عضواً وتركت أعضاء، وأخذت ابناً وتركت أبناء، ولئن كنت أخذت لقد أبقيت، وإن كنت ابتليت فقد عافيت).

ولما نزل المدينة نزل مسكنه بالعقيق، فأتاه محمد بن المنكدر، فقال له: كيف كنت؟ قال: لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً.

---

(١) دويت: أي أصابها الداء.

(٢) شوىً: أي هيِّن حقير.

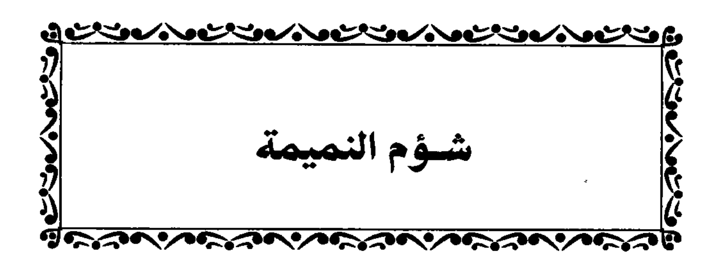
وتمثَّل بأبيات معن بن أوس:

لعمرك ما أهديت كفي لريبة ولا حملتني فوق فاحشة رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها ولا دلَّني رأيي عليها ولا عقلي
وأعلم أني لم تصبني مصيبة من الدهر إلاَّ قد أصابت فتىً قبلي[1]

فما أعظم قوَّة الإيمان، وما أبدع الرضا والسكينة التي يتحلَّى بها المؤمنون الصادقون. اللَّهُمَّ ارزقنا الرضى بقضائك، يا ربّ العالمين.

* * *

(١) بهجة المجالس، لابن عبد البر ٢/ ٣٥٦.



شؤم النميمة

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾[1].

وروى البخاري ومسلم عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة نمّام**».

* والنميمة نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد، وهي كبيرة من الكبائر، وآفة خطيرة من آفات اللسان، كم أثارت من عداوات! وكم أوغرت من صدور! وكم سفكت من دماء بريئة!

* روي أنَّ رجلاً رأى غلاماً يباع وليس له عيب إلاَّ أنَّه نمَّام فقط، فاستخفَّ بالعيب واشتراه.

فمكث عنده أيَّاماً، ثمَّ قال لزوجة سيِّده: إنَّ سيِّدي يريد أن يتزوَّج عليك، وقال: إنَّه لا يحبك، فإن أردت أن يعطف عليك ويترك ما عزم عليه فإذا نام خُذي الموسى واحلقي شعرات من تحت لحيته، واتركي الشعرات معك حتى أسحره عليها فيحبكِ. فقالت في نفسها: نعم، وعزمت على ذلك إذا نام زوجها.

ثمَّ جاءَ زوجَها وقال له: إنَّ سيدتي زوجتك قد اتَّخذت لها صديقاً ومُحبّاً غيرك، وتريد أن تتخلَّص منك، وقد عزمت على ذبحك الليلة، وإن

(١) سورة القلم: الآيتان ١٠، ١١.

لم تصدِّقني فتظاهر بالنوم الليلة، وانظر كيف تجيء إليك وفي يدها شيء تريد أن تذبحك به. وصدَّقه سيِّده.

فلما جاء الليل جاءت المرأة بالموسى لتحلق الشعرات من تحت لحيته، والرجل يتظاهر بالنوم، فقال في نفسه: والله صدق الغلام. فلمَّا أهوت الموسى إلى حلقه قام وأخذه منها وذبحها به، فجاء أهلها فوجدوها مقتولة فقتلوه، فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد النمَّام[1].

* * *

* فالنمَّام لا يُطاع ولا يُسمع لقوله ولا يُلتفت لحديثه؛ لأنَّه لو كان صادقاً في نصحه لبادر للإصلاح ولم يتصدَّر للإفساد وزرع الضغائن.

قال الإمام الثوري: (إذا أتاك إنسان فأخبرك أنَّ فلاناً قد فعل بك كذا وكذا، وقال فيك كذا وكذا، فإنه يجب عليك ستة أشياء:

أولها: ألَّا تصدِّقه؛ لأنَّ النمَّام فاسق مردود الشهادة.

ثانيها: أن تنهاه عن ذلك وتنصحه؛ لأنَّ النهي عن المنكر واجب.

ثالثها: أن تبغضه في الله تعالى فإنه عاص مفسد، والله لا يحب المفسدين.

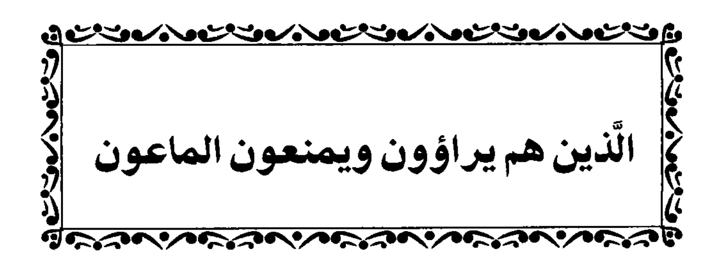
رابعها: أن لا تظن بأخيك الذي نقل النمَّام عنه الحديث ظن السوء.

خامسها: أن لا يحملك ما حكى لك على التجسُّس عن أمره.

سادسها: لا تعمل أنت عمل النمَّام فتخبر الناس بما أتاك به هذا النمَّام فتصير مثله.

* * *

(١) ينظر: إحياء علوم الدين ٣/ ١٥٨.



الَّذين هم يراؤون ويمنعون الماعون

صنف من الناس استهوتهم المطامع، وطغت لديهم شهوة حب النفس والأنانية حتى سيطرت على سلوكهم وتصرُّفاتهم وأعمالهم، فهم في عبادتهم يراؤون، ويتظاهرون بالصلاح ليحظوا بالقَبول عند الناس، وفي صِلاتهم مع الآخرين ومساعدتهم لهم تتحكَّم بهم الأنانية والمصالح الشخصية. . إنها المادية إذا طغت أفسدت صاحبها.

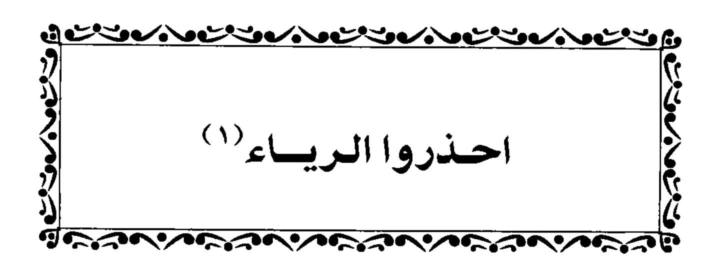
يقول الإمام ابن كثير في تفسيره لسورة الماعون، وهو يصف هذا الصنف من الناس: (لا أحسنوا عبادة ربهم، ولا أحسنوا إلى خلقه حتى ولا بإعارة ما يُنتفع به ويُستعان به مع بقاء عينه ورجوعه إليهم، فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القربات أولى وأولى).

قال الحسن البصري: (إنْ صلَّى راءى، وإن فاتته لم يأس عليها، ويمنع زكاة ماله)[1]، ثم ذكر أقوالاً في تفسير (الماعون) مجملها: القِدر والدلو والميزان والفأس، ونحو ذلك مما يحتاجه الناس لأعمالهم.

* * *

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٥٩٤.



احذروا الرياء[1]

* قال الشاعر:

كم من مُصَلٍّ لا يُطيـ ـلُ صلاتَهُ لِسوَى الطَّمَعْ
متلهِّياً إمَّا خَلاَ وإذا بَصُرْتَ به رَكَعْ
يَدْعو وجُلُّ دعائِه: ما للفريسةِ لا تَقَعْ

* وقال الغَزال:

ومُراءٍ أخَذَ النَّا سَ بسَمْتٍ وقُطُوبِ
وخُشوعٍ يُشْبِه السُّقْـ ـمَ وضَعْفٍ في الدَّبيبِ
قلتُ: هل تألم شيئاً قال: أثقالَ الذنوبِ
قلت: لا تُعْنَ بشيءٍ أنت في قالَبِ ذِيبِ
إنما تنبي عن الوثْـ ـبة في حال الوثوبِ
ليس من يخفى عَلَيْهِ منك هذا بِلَبيبِ

* وقال محمود الوراق:

أَيُّها المغرورُ مَهْلاَ فلقد أُوتيت جَهْلاَ
كم إلى كَمْ تحسن القَوْ لَ وَلاَ تُحْسِنُ فِعْلاَ

(١) بهجة المجالس وأُنس المجالس، للإمام ابن عبد البر ٢/ ٢٠٦.

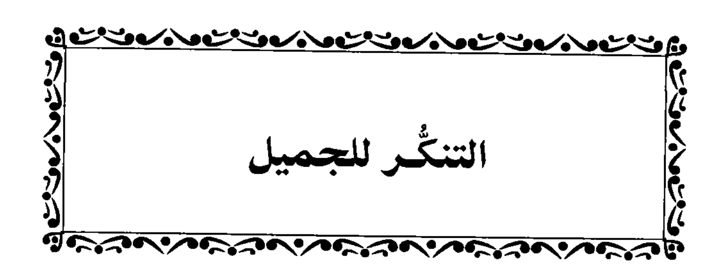
ظـــاهــرٌ يجمــل والبـــاطـــن لا يَخْفَـــى عَلَـــى رَبِّـــكَ كـــلَّا

* وقال أيضاً:

تَصَنَّـــعَ كـــي يُقَـــالَ لـــه أميـــنٌ وما يغنـــي التصنُّـــع لِـــلأَمَـــانَـــهْ

ولـــم يُـــردِ الإلـــهَ بـــه ولكـــنْ أرادَ بـــه الطَّـــريـــقَ إلـــى الخيـــانَـــهْ

* * *



التنكُّر للجميل

من أسوأ الطباع أن يتنكَّر المرء لمن أسدى إليه معروفاً، فيقابل معروفه بالإساءة والجحود، وأسوأ من ذلك أن يتنكَّر الإنسان لوالديه ومعلِّميه، ويتعالى عليهم وينسى أفضالهم.

وفي ذلك يقول الشاعر:

فيا عجباً لمن ربَّيتُ طفلاً ... أُلقِّمُهُ بأطراف البنان

أعلِّمُهُ الرِّماية كلَّ يومٍ ... فلمَّا اشتدَّ ساعدُهُ رماني

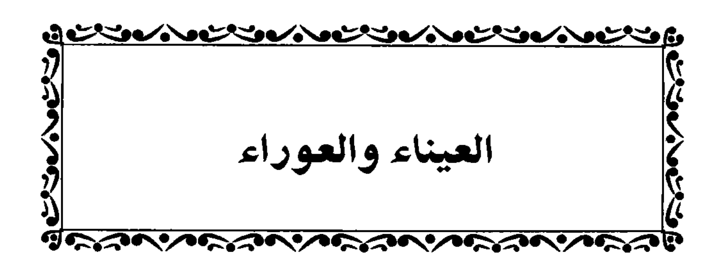
أعلِّمُه الفتوَّة كلَّ حينٍ ... فلمَّا طرَّ شاربه[1] جفاني

أعلِّمُهُ الرواية كلَّ وقتٍ ... فلمَّا صارَ شاعرها هجاني[2]

* * *

(١) طرَّ شاربه: نبت شعر شاربه.

(٢) المحاسن والأضداد للجاحظ، ص ٦٨.



العيناء والعوراء

من بدائع تشبيهات العرب إطلاقهم على الكلمة الحسنة لقب (العيناء)، والكلمة القبيحة لقب (العوراء).

* وفي ذلك يقول الشاعر:

وعوراءُ جاءت مع أخ فرددتُها بسالمةِ العينين طالبةً عُذراً

أي: رددتُ الكلمة القبيحة العوراء بكلمةٍ حسنة سالمة العين ليس فيها عَوَر.

* وقال الشاعر كعب بن سعد الغنوي:

وعوراءُ قد قيلت فلم ألتفت لها وما الكلمُ العُورَانُ لي بقبولِ

* وقال آخر:

فتًى مثل صفو الماء ليس بباخلٍ بشيءٍ ولا مُهدٍ ملاماً لباخلِ

ولا قائلٍ (عوراءَ) تؤذي جليسهُ ولا رافعٍ رأساً بعوراء قائل

* وقال ابن عنقاء الفزاري يمدح ابن عمه:

إذا قيلت العوراء أغضى كأنَّه ذليلٌ بلا ذلٍّ ولو شاء لانتصر[1]

---

(١) انظر هذه الشواهد في كتاب: حِكم وأخلاق عربية، للشيخ محمد المكي بن الحسين، ص ٢٨٦.

وهذه هي أخلاق الأفاضل، لا يردون السيِّئة بالسيِّئة، ولا يجارون السفهاء، وإنما يلتزمون الوقار، ويحرصون على الكلمة الطيبة في مجالسهم وأحاديثهم.

وقد وصف المولى سبحانه عباد الرحمن بأوصاف كثيرة فكان أول هذه الأوصاف قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾[1].

وقال عزَّ وجلّ في بيان منزلة الكلمة الطيبة وشرفها وفضلها:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾[2].

وهذه الآية الكريمة تتحدَّث عن أعظم كلمة طيبة يقولها المسلم وهي شهادة التوحيد، ومنزلتُها كمنزلة الأساس في البنيان، والأصل الثابت للشجرة التي لا تحيا إلاَّ بها، كما لا ينفع عملٌ للإنسان بدون كلمة التوحيد، ومن حَرِص على هذه الكلمة الطيِّبة طاب لسانه وحسُنت أقواله.

وقد بيَّن الرسول ﷺ أهمية الحرص على الكلمة الطيبة في جميع مجالات الحياة، فقال عليه الصلاة والسلام: «**مَن كان يؤمن بالله واليوم**

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٦٣.

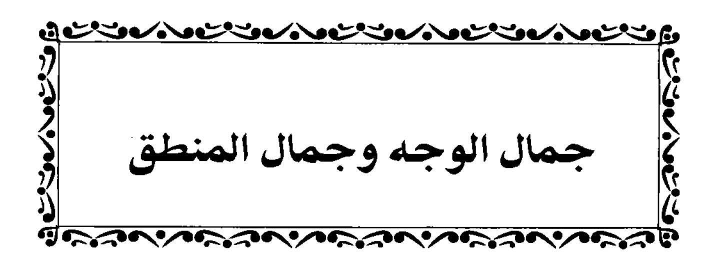
(٢) سورة إبراهيم: الآيتان ٢٤، ٢٥.

الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[1].

فزيِّنوا مجالسكم بالكلام الطيِّب، وعطِّروا أفواهكم بالحديث الحسن الذي يرضي الله سبحانه، ولتحذروا من الكلمة العوراء التي تشوِّه النفوس، وقبحُها أشدُّ من قبح الأعور الذي ليس له إلَّا عين واحدة.

* * *

(1) رواه البخاري، رقم (٦٠١٨)؛ ومسلم، رقم (٤٧).



جمال الوجه وجمال المنطق

من رزقه الله جمال الصورة وحُسن الوجه فهذه نعمة ومنحة، ولكن الأعظم منها أن يُرزق جمال المنطق وحُسن البيان وعذوبة الكلام حتى يشد انتباه السامعين إليه، وتجتمع القلوب حوله وتُسَرَّ لحديثه، وأما الذي لا يجيدُ الكلام الحسن فلن يرفع قدره عند الناس جمالُ صورته وشكله.

* وقد قال الشاعر:

كفى بالمرء عيباً أن تراهُ ... له وجهٌ وليس له لسانُ

وما حسنُ الرجالِ لها بزينٍ ... إذا لم يُسعِدِ الحُسنَ البيانُ[1]

ولكنَّ اللسان له آفاتُه، وقد يستغل الإنسان ما أُوتيَ من حُسن البيان فيسخِّر تلك النعمة في إيذاء الآخرين وهجائهم والتشهير بهم وتجريحهم فيكون ذلك وبالاً عليه في الدنيا والآخرة.

وقد قال بعض الحكماء: (إياك أن يضربَ لسانُك عنقَك)[2].

* وقال الشاعر:

رأيتُ اللسان على أهلهِ ... إذا سَاسَهُ الجهل ليثاً مُغيراً

(١) المجالسة وجواهر العلم ٨/ ١١٥.

(٢) المرجع نفسه ٨/ ١٢١.

فاللسان الفصيح العذب من أجلِّ النعم، ومَنْ أحسن استخدام هذه النعمة في الخير زاده الله من فضله، وآتاه الحكمة والقبول لدى الناس، ووفَّقه لإحسان الكلام واختيار أطايب القول.

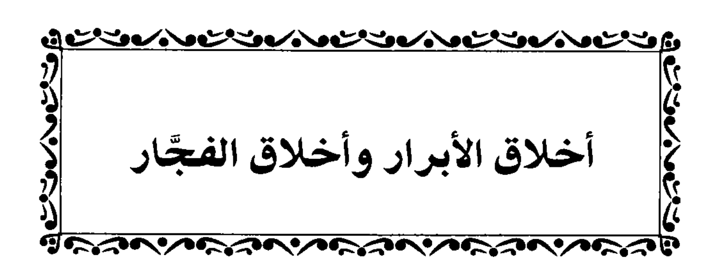
وقد ذكر عند سليمان بن عبد الملك أهمية الكلام ونُبله والصمت وحسنُه، فقال سليمان:

(مَن قَدِر أن يُحسن الكلام قَدِر أن يُحسن الصمت، وليس كل من قدِر أن يُحسن الصمت قَدِر أن يحسن الكلام)[1].

* * *

---

(١) نفس المرجع ٨/ ١٢٧.



أخلاق الأبرار وأخلاق الفجَّار

* قال الحسن البصري:

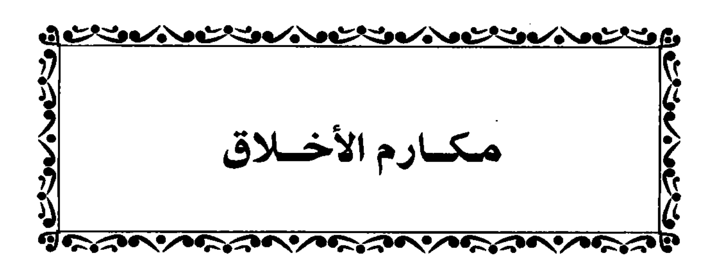
(**من علامات المسلم**: قوةٌ في دين، وحزمٌ في لين، وإيمان في يقين، وحكم في علم، وإعطاءٌ في حق، وقصدٌ في غنى، وتحمُّلٌ في فاقة، وإحسانٌ في قدرة، وتعفُّف وصبرٌ في شدَّة..

ولا ترديه رغبتُه، ولا يبدرهُ لسانه، ولا يسبقه بصره، ولا يغلبه فَرجه، ولا يميل به هواه، ولا يفضحه لسانه، ولا يسخفه حرصه، ولا تُقَصِّر به نيَّته).

* وقال حكيم:

(**خمسٌ تورث الهلاك**: شهوة عارمة، وعلم لا يُقصد به وجه الله، ومالٌ يورثُ الشحَّ والطمع، وفراغٌ يحمل على ارتكاب المآثم، وعقلٌ يحتال به صاحبه على الناس).

* * *



مكـارم الأخـلاق

* قال الشاعر:

أحـبُّ مكـارم الأخـلاق جهـدي ... وأكـره أن أَعيـبَ وأن أُعـابـا
وأصفـحُ عـن سبـاب النـاس حلمـاً ... وشـرُّ النـاس مـن يهـوىٰ السُّبـابـا
ومـن هـاب الـرجـال تهيَّبـوه ... ومـن حقـر الـرجـالَ فلـن يُهـابـا

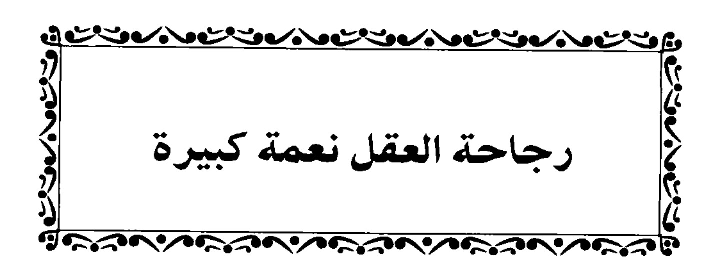
وقال الشاعر العباسي دِعبل بن علي:

وإنَّ أولـى البـرايـا أنْ تـواسِيَـهُ ... عنـد السـرور لَمَن آساك في الحَـزن
إنَّ الكـرام إذا مـا أسهلـوا[1] ذكـروا ... مَن كان يألفهم في المنزل الخشن[2]

* * *

(١) أسهلوا: أصبحوا في حالةٍ من اليُسر.

(٢) عيون الأخيار ٣/ ٢٦.



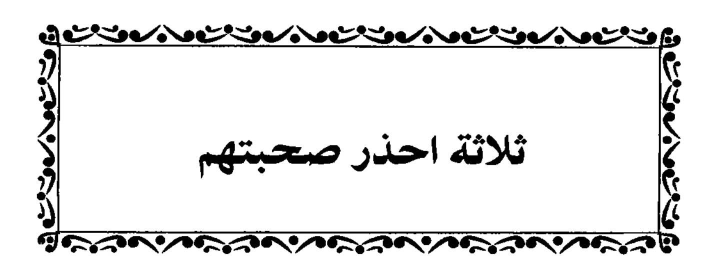
رجاحة العقل نعمة كبيرة

* قال الشاعر إبراهيم بن حسان:

يَزينُ الفتى في الناس صحةُ عقله ... وإنْ كان محظوراً عليه مكاسبُهْ
يشينُ الفتى في الناس قِلَّةُ عقلهِ ... وإن كَرُمتْ أعراقه ومَناسبُهْ
يعيش الفتى بالعقل في الناس إنه ... على العقل يجري علمُهُ وتجاربه
وأفضل قَسْمِ اللّه للمرءِ عقلُه ... فليس من الأشياء شيءٌ يقاربُه
إذا أكمل الرحمن للمرء عقلَه ... فقد كَمُلتْ أخلاقُه ومآربُه(1)

* * *

(1) أدب الدنيا والدين، ص ٢٠.



ثلاثة احذر صحبتهم

* قال علي رضي الله عنه:

(**لا تؤاخِ الفاجر**؛ فإنه يزيِّن لك فعله، ويحبُّ لو أنكَ مثله، ويزيِّن لك أسوأ خصاله، ومَدْخله عليك ومَخْرجه من عندك شَيْنٌ[1] وعار.

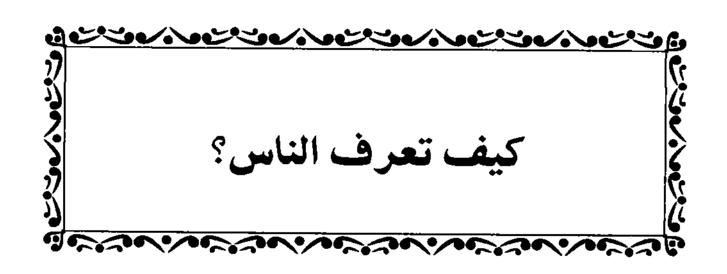
ولا الأحمقَ؛ فإنه يجتهد بنفسه لك ولا ينفعُكَ، وربما أراد أن ينفعَكَ فيضرك؛ فسكوتُه خيرٌ من نُطقه، وبُعدهُ خيرٌ من قُربه، وموتُه خيرٌ من حياته.

ولا الكذابَ؛ فإنه لا ينفعك معه عيشٌ؛ ينقل حديثَكَ، وينقل الحديث إليك، حتى إنه ليحدث بالصدق فما يُصدَّق)[2].

* * *

(١) الشَّين: العيب والنقص.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٣/ ٩٠.



كيف تعرف الناس؟

❋ قال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنَّ فلاناً رجلُ صِدْقٍ.

فقال له عمر: هل سافرتَ معه؟ قال: لا.

قال: فهل كان بينكَ وبينه معاملة؟ قال: لا.

قال: فهل ائتمنتَهُ على شيء؟ قال: لا.

قال: فأنتَ الذي لا عِلم لك به، أراك رأيتَهُ يرفع رأسَه ويخفضه في المسجد؟![1].

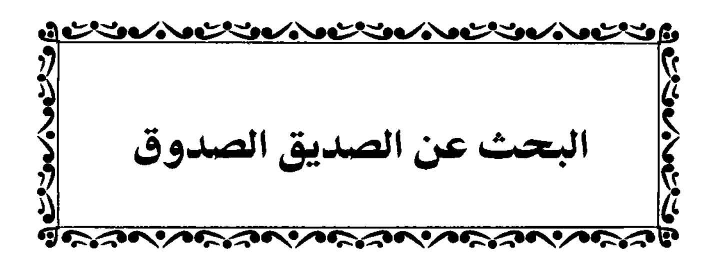
❋ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

(إني لأرى الرجل فيعجبني، فأقول: هل له حرفة؟ فإن قالوا: لا، سقط من عيني)[2].

❋ ❋ ❋

(١) مواعظ الصحابة، للشيخ صالح الشامي، ص ٦٥.

(٢) المجالسة وجواهر العلم ٧/ ١١٧.



البحث عن الصديق الصدوق

* قيل لأعرابي: من أكرم الناس عِشرة؟

قال: (مَنْ إنْ قرُب مَنح، وإن بَعُدَ مَدَح، وإن ظُلِمَ صفح، وإن ضُويق فَسح، فمن ظفر به فقد أفلح ونجح).

* وكتب آخر إلى صديق له: (مثلي هفا، ومثلُك عفا).

فأجابه: (مثلُك اعتذر، ومثلي اغتفر).

* وقال أبو حاتم السجستاني: (إذا مات لي صديق سقط مني عضو).

* وقال ميمون بن مهران: (صديقٌ لا تنفعك حياته، لا يضرُّكَ موته).

* وقال أحد الشعراء:

ومِن نكدِ الدنيا على الحرِّ أن يرى ... عدوّاً له ما مِن صَدَاقَتِه بُدُّ

* وقيل لعبد الله بن المبارك: إنَّ قوماً يلتقون بالبِشر والسلام، فإذا تفرقوا طعنَ بعضهم على بعض.

فقال: أعداءُ غيبٍ، إخوةُ تلاقٍ، تَبّاً لهذه الأخلاق، كأنَّما شُقَّت من النفاق.

* وقيل لأحدهم: مَن الصديق؟

قال: من شهد طرفُه لكَ عن ضميره بالوفاء والود، فإنَّ العين أَنطقُ من اللسان، وأَوقدُ من النِّيران.

* وقال الشاعر:

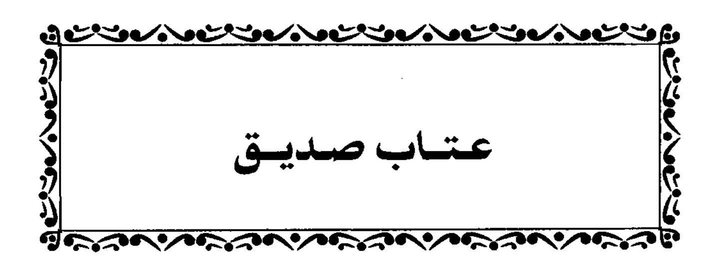
مَــنْ لــم يكــن ذا صــديــقٍ ... يفضــــي إليـــه بِســــرِّهْ

ويستــــريــــحُ إليــــه ... فــــي خيــر أمــرٍ وشــرِّه

فليــــس يعــــرف طعمـــاً ... لحلــــوِ عيــــشٍ ومُـــرِّه[1]

* * *

(١) هذه النصوص مقتبسة من كتاب: الصداقة والصديق، لأبي حيان.



عتاب صديق

مقتطفات من قصيدة بديعة للشاعر ابن الرومي يعاتب فيها صديقه الَّذي تأمَّل منه الوفاء، فلم يلق منه إلاَّ الجفاء عندما ألمَّت به الحاجة، وهكذا يكون صديق المنفعة، لا يُرجى منه خير إلاَّ من خلال ما يتحقق له من مصلحة دنيوية.

ومع ذلك يتأدَّب ابن الرومي في عتابه ويُحسن الظنَّ به، وهذه أبيات مختارة من قصيدته:

يا أخي أين ريعُ ذاك اللقاء ... أين ما كان بيننا من صفاء؟

أين مصداق شاهد كان يحكي ... أنك المخلص الصحيح الإخاء

كشفتْ منك حاجتي هَنَواتٍ ... غُطيت برهة بحسن اللقاء

تركتني ــ ولم أكن سيِّء الظن ــ ... أُسيءُ الظنون بالأصدقاء

يا أخي! هبك لم تهب ليَ من سعـ ... ـيك حظّاً كسائر البخلاء

أفلا كان منك ردٌّ جميل ... فيه للنفس راحة من عناء؟

يا أبا القاسم الَّذي كنت أرجو ... ه لدهري قطعتَ متن الرجاء

أنت عيني، وليس من حق عيني ... غض أجفانها على الأقذاء

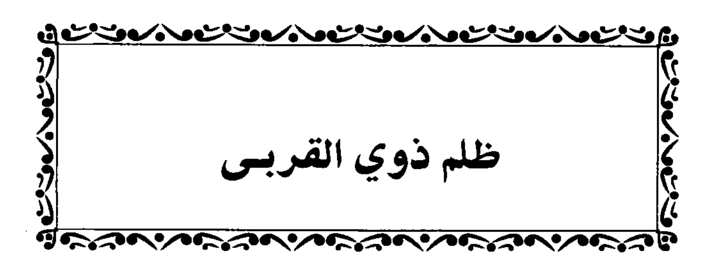
ثقلت حاجتي عليك فأضحت ... وهي عبء من فادح الأعباء

أنت أدويتَ صدر خلِّك فاعذر ... ه على النفث، إنه كالدواء

إن تكن لفحة أصابتك من عذ ... لي، فعمَّا قدحتَ في الأحشاء

وأنا المرء لا أسوم عتابي ... صاحباً غير صفوة الأصفياء

* * *



ظلم ذوي القربى

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إنَّ لي قرابةً أصلُهم ويقطعونني، وأُحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلُم عنهم ويجهلون عليَّ، فقال ﷺ: «**لئن كنتَ كما قلتَ، فكأنما تُسِفُّهم المَلَّ، ولا يزال معك من الله ظهير ما دمتَ على ذلك**»(١).

إنها شكوى تدل على معاناة كبيرة نالها هذا الرجل بسبب ظلم أقربائه، فهو يصلهم ويحسن إليهم ولكنهم يقابلون ذلك بالقطيعة والإساءة والقول المنكر، فماذا يفعل؟ هل يستمر في صلتهم ويصبر على أذاهم؟ أم يقطع العلاقة بهم ويتخلَّص من شرورهم؟

وجاءه الجواب من المربي الحكيم ﷺ يؤكِّد على ضرورة الصِّلة مهما كانت المعاناة، وستكون هذه الصلة حجةً عليهم، فكأنما يسفهم المَلَّ، أي: يُطعمهم الرماد الحار الذي يحرق اللسان ويُلهب الجوف، عندما يصرون على الظلم والقطيعة، فهؤلاء يُعرِّضون أنفسهم لعذاب الله تعالى، وأما الرجل المصرُّ على صلتهم فهو في حفظ الله وعونه وتأييده لحرصه على مرضاة ربه، وصبره على ظلم أقربائه.

---

(١) رواه مسلم، رقم (٢٥٥٧).

وقد أجاد عدد من الشعراء في وصف مرارة ظلم الأقارب وشدتها على النفس[1].

* فقال طرفة بن العبد:

وظلمُ ذوي القربى أشدُّ مضاضةً ... على المرء من وقع الحسام المهنَّد

* وقال أبو فراس الحمداني:

وهل أنا مسرور بقرب أقاربي ... إذا كان لي منهم قلوب الأباعد

* وقال آخر:

إني بلوتُ الناس في أحوالهم ... وخَبَرتُ ما وصفوا من الأسباب

فإذا القرابة لا تقرّب قاطعاً ... وإذا المودَّة أقربُ الأنساب

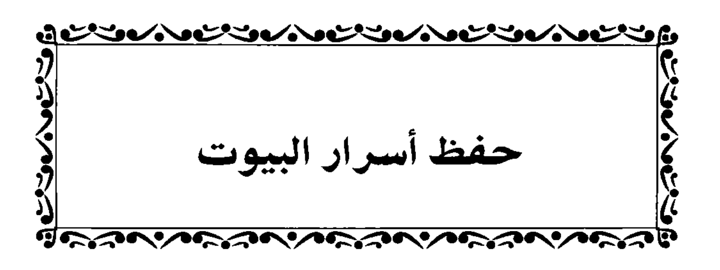
وكم مِن الأصحاب أكثر مودة وحفظاً للحقوق من الأقارب، وفي أمثال هؤلاء يقول الشاعر:

ورُب أخ لم يُدْنِه منك والدٌ ... أبرُّ من ابن الأم عند النوائب

ورُب بعيدٍ حاضرٍ لك نفعُه ... ورُبَّ قريبٍ شاهد مثلُ غائب

* * *

(١) ينظر: بهجة المجالس ١/ ٧٧٧ وما بعدها.



حفظ أسرار البيوت

الحياة الزوجية بناءٌ قائم على المودَّة والرحمة، وعهدٌ بين الزوجين على الوفاء والبذل، وأول شرخ يصيب هذا البناء نشر الأسرار التي تخصُّ الزوجين وما يكون بينهما من أحاديث وأمور.

روى مسلم عن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ مِن أشرِّ الناس عند اللّٰهِ منزلةً يوم القيامةِ الرَّجل يُفضي إلى المرأة وتُفضي إليه ثمَّ ينشر سرَّها»**[1].

ومما ينبغي ستره أيضاً خطبة الرجل للفتاة في أول الأمر لأنَّ عدم موافقة أحد الطرفين يجعل الناس يسيؤون الظن ويكثرون الكلام الفاسد. ولنتأمَّل هذه القصة التي حصلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه:

روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ عمر رضي الله عنه حين تأيَّمَتْ بِنْتُه حفصة قال: لقيت عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، فعرضتُ عليه حفصةَ فقلتُ: إن شئتَ أنكحتُك حفصة بنت عمر؟ قال: سأنظرُ في أمري. فلبثت ليالي، ثمَّ لقيني، فقال: قد بدا لي أن لا أتزوَّج يومي هذا. فلقيتُ أبا بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه: فقلتُ: إن شئتَ

---

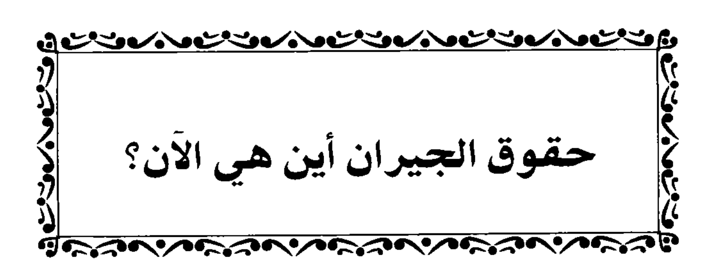
(١) رواه مسلم، رقم (١٤٣٧).

أنكحتُك حفصة بنت عمر، فَصَمَتَ أبو بكرٍ رضي الله عنه، فلم يَرجِع إليَّ شيئاً، فكنتُ عليه أوجد منِّي على عثمان، فَلَبِثْتُ لياليَ، ثمَّ خَطبَها النَّبيُّ ﷺ، فأَنْكَحْتُها إيَّاهُ.

فلَقِيَني أبو بكرٍ فقالَ: لعلَّكَ وَجَدْتَ عليَّ حين عَرَضْتَ عليَّ حفصةَ فلم أَرْجِع إليكَ شيئاً؟ فقلت: نعم. قال: فإنَّه لم يمنعني أن أَرْجعَ إليك فيما عَرَضْتَ علي إلاَّ أنِّي كنتُ عَلِمتُ أنَّ النبيَّ ﷺ ذَكرها، فلم أكن لِأُفْشيَ سرَّ رسول الله ﷺ، ولو تَركها النَّبيُّ ﷺ لَقَبِلْتُها[1].

* * *

(١) رواه البخاري، رقم (٣٧٨٣).



حقوق الجيران أين هي الآن؟

في زحمة الحياة المعاصرة، وانشغال الناس في أعمالهم، نسيَ كثير منهم حقوق جيرانهم، وما حثَّنا عليه ديننا الحنيف من رعاية الجيران وتفقد أحوالهم والإحسان إليهم والحذر من إيذائهم.

وقد قال المولى سبحانه: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ ﴾[1]، فالجار ذو القربى هو الذي تربطك به صلة القرابة، والجار الجنب الذي ليس بينك وبينه قرابة، ومع ذلك يجب أن تخصَّه بالرعاية، فالمسلم أخو المسلم، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

* روى الإمام أحمد أنَّ الرسول ﷺ قال:

«أتدرون ما حق الجار؟ إن استعان بك أعنته، وإن استقرضك أقرضته، وإن افتقر عُدتَ عليه، وإن مرض عُدَّته، وإن مات اتبعت جنازته، وإن أصابه خير هنَّأته، وإن أصابته مصيبة عزَّيته، ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عليه الريح إلاَّ بإذنه، وإن اشتريت فاكهة فأهدِ له، فإن لم تفعل فأدخلها سرّاً، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده، ولا تؤذه بقتار قِدرك

---

(١) سورة النساء: الآية ٢٦.

ـ أي: برائحة طعامك ـ إلَّا أن تغرف له منها»[1].

فما أعظم رعاية الإسلام لمشاعر الجيران وحرصه على تكريمهم، وما أكثر تهاون الناس بهذه الأمور المهمة والأخلاق الفاضلة!!

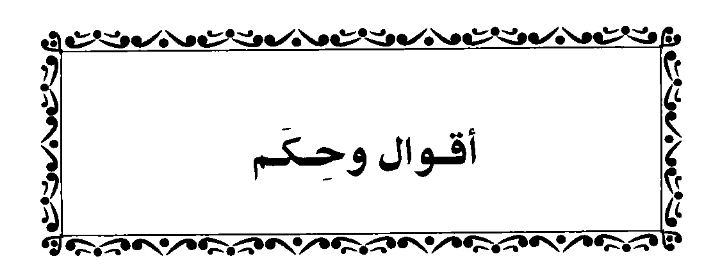
يقول الإمام الشافعي رحمه الله:

ومَن يقضِ حق الجار بعد ابن عمه   وصاحبِه الأدنى على القُرب والبُعد
يعشْ سيداً يستعذبُ الناس ذكرَهُ   وإن نابَهُ حقٌّ أَتوْهُ على قصدِ[2]

* * *

(١) رواه الإمام أحمد في الزهد (١٩)؛ والطبراني في المعجم الكبير ١٩/ ٤١٩.

(٢) ديوان الشافعي، ص ٧١.



أقـوال وحِـكَـم

* قال أبو سليمان الداراني:

(إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزحمها، وإذا كانت الدنيا في القلب لم تزحمها الآخرة، إنَّ الآخرة كريمة، وإنَّ الدنيا لئيمة)[1].

* وقال الشعبـي:

(تَعاشر الناس زماناً بالدِّين والتقوى ثم رُفع ذلك، فتعاشروا بالحياء والتذمم ثم رفع ذلك، فما يُتعاشر إلَّا بالرغبة والرهبة، وأظنُّه سيجيء ما هو شرٌّ من هذا)[2].

* وقال بعض الحكماء:

(الدنيا وقتك الذي يرجع إليك فيه طرفُك؛ لأنَّ ما مضى عنك فقد فاتك إدراكه، وما لم يأتك لا علم لك به)[3].

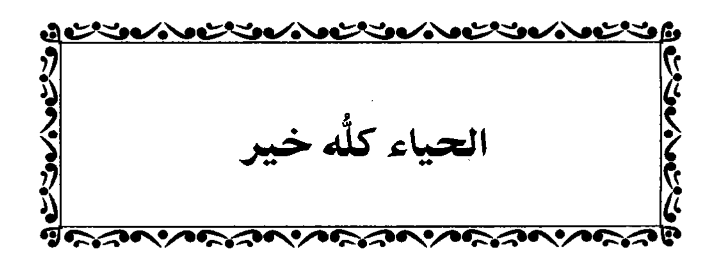
* * *

---

(١) المجالسة وجواهر العلم ٥/ ٢٤٣.

(٢) المرجع السابق ٥/ ٢٧٣.

(٣) المرجع نفسه ٥/ ٢٨٣.



الحياء كلُّه خير

الحياء منزلة كبيرة، وهو حليةُ المؤمن، والتهاون فيه جرم كبير، وقد وردت أحاديث نبوية كثيرة في بيان أهمِّيته:

منها: ما رواه الشيخان أنَّ الرسول ﷺ قال: «**الحياء لا يأتي إلاَّ بخير**». وفي رواية لمسلم: «**الحياء خير كله**»[1].

وحقيقة الحياء خُلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق. ومَنْ نُزِع منه الحياء سيصل إلى حالٍ لا يبالي فيه باطِّلاع الناس على أفعاله القبيحة مهما كانت.

ولهذا قال الإمام ابن القيِّم رحمه الله:

(الحياء مادة القلب، وهو أصل كل خير، وذهابه ذهاب الخير أجمعه، وهو مشتق من الحياة، فمن لا حياء فيه فهو ميت في الدنيا، شقيٌّ في الآخرة)[2].

* * *

(١) رواه البخاري ٧/ ١٠٠؛ ومسلم رقم ٣٧.

(٢) الجواب الكافي، ص ٥٩.



إذا وَعد أخلف

* قال الشاعر مخاطباً أحد المخادعين الذين تعوَّدوا إخلاف الوعود:

لسانُك أحلى من جنى النحل موعداً ... وكفُّك بالمعروف أضيق من قفلِ
تُمنِّي الذي يأتيك حتى إذا انتهى ... إلى أمدٍ ناولتَه طرف الحبل(1)

* وقال آخر واصفاً من يتباهى بالجود بلسانه دون أفعاله:

يا جواد اللسان من غير فعلٍ ... ليت جود اللسان في راحتيكَ(2)

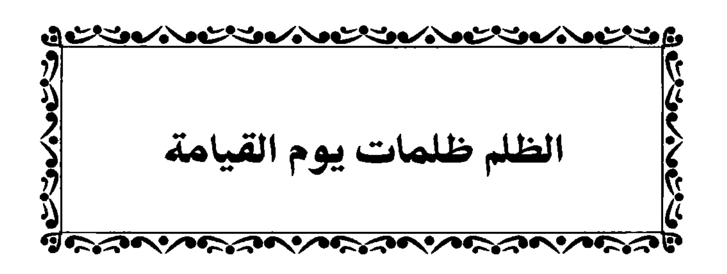
* وفي المثل يقال لمن أخلف الوعد: (مواعيد عُرقوب)، وقصة هذا المثل أنَّ رجلاً يقال له: عُرقوب، أتاه أخٌ له يسأله شيئاً فقال: إذا طلع النخل فلكَ طلعها. فلما أطلعت أتاه، فقال: دعها حتى تصير زهواً. فلما أزهت، قال: دعها حتى تصير رُطباً. فلما أرطبت قال: دعها حتى تصير تمراً. فلما أتمرت عَمد إليها بالليل فجدَّها ولم يُعط أخاه شيئاً منها. فصار مثلاً في إخلاف الوعد.

* وفيه يقول الأشجعي الشاعر:

وعدتَ وكان الخُلف منك سجيةً ... مواعيدُ عُرقوبٍ أخاه بيثرب(3)

* * *

(1) المجالسة وجواهر العلم ٧/ ١٦٨.
(2) المرجع نفسه ٧/ ١٤٨.
(3) المرجع نفسه ٣/ ٢١٥.



الظلم ظلمات يوم القيامة

من تعدَّى على أخيه المسلم أو ظلمهُ فليترقَّب سوء المصير، فقد قال تعالى: ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾[1]، وقال عزَّ وجلّ: ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾[2].

* روى مسلم عن جابر رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**اتقوا الظلم، فإنَّ الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشحَّ فإنَّ الشحَّ أَهلَكَ مَن كان قبلَكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلُّوا محارمهم**»[3].

* وروى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من ظلم قِيد شبر من الأرض طُوِّقهُ من سبع أَرَضين**»[4].

وفي رواية: «**من أخذ شبراً من الأرض بغير حق طوَّقه الله في سبع أرضين يوم القيامة**»، أي: جُعل له كالطوق في عنقه.

* وعن معاذ رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال له: «**اتَّقِ دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»[5].

---

(١) سورة الحج: الآية ٧١.

(٢) سورة غافر: الآية ١٨.

(٣) رواه مسلم، رقم (٢٥٧٨).

(٤) رواه البخاري، رقم (٢٤٥٢)؛ ومسلم، رقم (١٦١٢).

(٥) رواه البخاري، رقم (١٣٩٥)؛ ومسلم، رقم (١٩).

* وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من كانت عنده مَظلمةٌ لأخيه، من عِرضه أو من شيءٍ، فليتحلَّله منه اليوم قبل أن لا يكون دينارٌ ولا درهم، إنْ كان له عملٌ صالح أُخذ منه بقدر مَظْلمتِه، وإن لم يكن له حسنات أُخذ منه سيئات صاحبه فحُمل عليه**»[1].

* وروى مسلم عن أبي أمامةَ الحارثي رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**من اقتطع حق امرىءٍ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرَّم عليه الجنة**»، فقال رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟، فقال: «**وإنْ قضيباً من أراك**»[2].

* وعن الفُضيل بن عياض أنه قال: (بئس الزاد إلى المعاد العُدوان على العباد)[3].

* وعن يوسف بن أسباط أنه قال: (من دعا لظالمٍ بطول البقاء فقد أحبَّ أن يُعصى الله)[4].

* * *

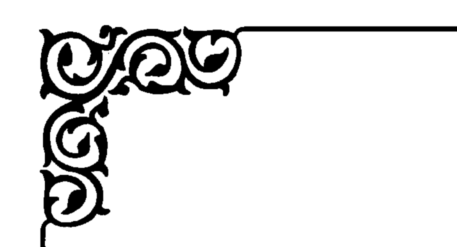
---

(١) رواه البخاري، رقم (٢٤٤٩).

(٢) رواه مسلم، رقم (١٣٧).

(٣) المجالسة وجواهر العلم ٦/ ٥١.

(٤) المرجع نفسه ٦/ ٦١.

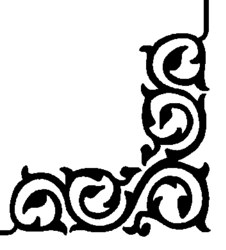



قطوف وشذرات
ومواقف ساطعات

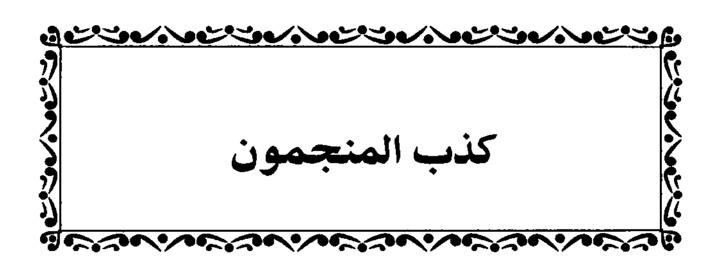
إذا هجع النوَّام أسبلتُ عَبرتي ... وأنشدتُ بيتاً وهو من ألطف الشعر

أليس من الخسران أن لياليا ... تمرُّ بلا عِلم وتُحسب من عمري؟

«الإمام الشافعي»





كذب المنجمون

* روى الإمام عبد البر في كتابه (بهجة المجالس) بسنده أنَّ أحمد ابن محمد بن عبد ربه قال:

(دخلت على الوزير جَهْوَر بن الضيف، وكان القحط قد ألحَّ، والغيث قد احتبس، واغتمَّ النَّاس لذلك، وتحدَّث المنجمون بتأخُّرِ الغيث مدَّة طويلة، فوجدتُ عنده ابن عزرا المنجِّم وجماعة من أصحابه، وقد أقاموا الطَّالع وعدلوا، وقضوا بتأخير الماء شهراً. فقلت للوزير: إنَّ هذا من أمور الله المغيَّبة، وأرجو أن يكذبهم الله بفضله.

ثمَّ خرجتُ عنه وأتيتُ داري، فجاء أوَّل الليل والسماء قد تغيَّمت، ونمتُ ساعةً، فما أيقظني إلاَّ نزول الماء، فقمت وقرَّبت مني المصباح، ودعوتُ بالدَّواة والقلم، فما رفعتُ يدي حتى نسخت هذه الأبيات، ثمَّ صابحتُ بِهَا الوزير، فسرَّ بِهَا واستحسنها.

فكان مما قال:

مـا قـدَّر الله هـو الغالـبُ ... ليس الَّـذي يحسِبُـه الحاسـبُ

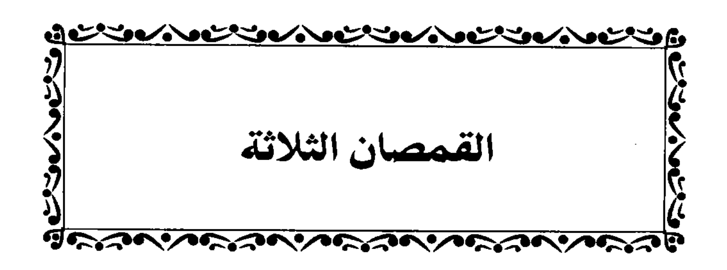
قـد صـدَّقَ الله رجـاء الـورى ... ومـا رجـاءٌ عنـدهُ خـائـبُ

وأنـزلَ الغيـث علـى راغـبٍ ... رَحمَتـهُ إذ قنـط الـراغـبُ

قـل لابـن عـزرا السخيـف الحجـا زرَّى عليـك الكـوكـبُ الثـاقـبُ
مـا يعلـمُ الشـاهـدَ مـن حكمنـا كيـف بـأمـرٍ حكمُـه غـائـبُ
فكلُّكـم يكـذب فـي علمـه وعلمُكـم فـي أصلـه كـاذبُ
مـا أنتـمُ شـيءٌ ولا علمكـم قـد ضَعُـفَ المطلـوبُ والطـالـبُ
تغـالبـون الله فـي حكمِـهِ واللّٰـهُ لا يغلبـه غـالـبُ[1]

* * *

(١) بهجة المجالس ٢/ ١١٩، ١٢٠.



القمصان الثلاثة

* ورد في قصة يوسف عليه السلام ذكر ثلاثة قمصان، وهي:

١ ـ القميص المضرَّج بدم كذب:

قال تعالى: ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[1].

٢ ـ القميص الَّذي قُدَّ من دُبر:

أي تمزَّق لما لحقت به امرأة العزيز وأمسكت به عند الباب، وهي تراوده عن نفسه.

قال تعالى: ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ... ﴾[2].

وقد شهد شاهد من أهلها بسبب هذا القميص على صدق سيدنا يوسف وكذب امرأة العزيز لأن القميص تمزق من دبره وليس من صدره.

٣ ـ القميص الَّذي أُلقي على وجه أبيه فارتدَّ بصيراً.

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٨.

(٢) سورة يوسف: الآية ٢٥.

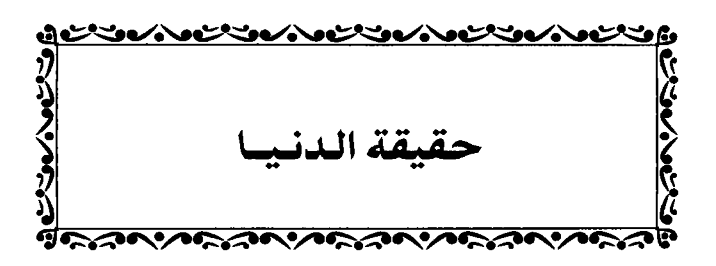
قال تعالى مخبراً عن قول يوسف عليه السلام لإخوته: ﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾[1].

وفي قصة سيدنا يوسف عليه السلام دروس كثيرة وعِبَرٌ غزيرة ومواقف ومشاهد عجيبة تتطلب التدبر والتأمل: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾[2].

❊ ❊ ❊

(١) سورة يوسف: الآية ٩٣.

(٢) سورة يوسف: الآية ١١١.



حقيقة الدنيا

* قال الشاعر أبو الحسن التهامي في رثاء ولده:

حكم المنية في البرية جار   ما هذه الدنيا بدار قرارِ
بينا يُرى الإنسان فيها مخبِراً   حتى يُرى خبراً من الأخبارِ
طُبعتْ على كدرٍ وأنت تريدُها   صفواً من الأقذاء والأكدارِ
ومُكلِّفُ الأيام ضد طباعها   متطلِّبٌ في الماء جذوةَ نارِ
فالعيش نومٌ والمنيةُ يقظةٌ   والمرء بينهما خيالٌ سارِ

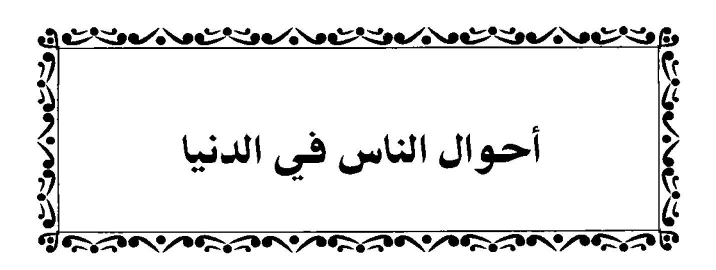
* وقال الإمام الشافعي:

ومن يذق الدنيا فإني طعمتُها   وسيقَ إلينا عذبُها وعذابها
فلم أرها إلَّا غروراً وباطلاً   كما لاح في ظَهر الفَلاة سرابها
فإن تجتنبها كنتَ سِلماً لأهلها   وإن تجتذبها نازعَتْك كلابها[١]

* * *

---

(١) ديوان الإمام الشافعي، ص ٥٢.



أحوال الناس في الدنيا

الدنيا محمودة: لمن جعلها مزرعة للآخرة، واغتنمها لفعل الخير والنجاة من الشر.

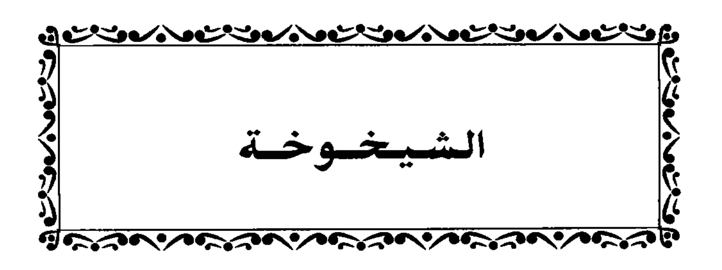
والدنيا مباحة: لمن أخذ بالمباح فيها، ولم يقع في ترك مأمور ولا فعل محظور.

والدنيا مذمومة: لمن شُغل بِهَا عن الآخرة، وتهافت على حطامها حتى وقع في المعاصي وترك الطاعات.

يقول الله عزَّ وجلّ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾[1].



(١) سورة فاطر: الآية ٥.



الشيخوخة

* روى سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير قال:

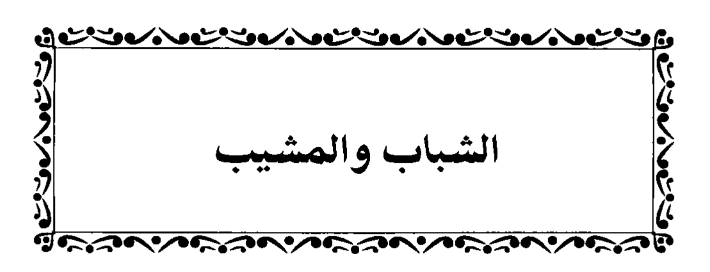
دخل عمرو بن حُريث على أبي العريان الهيثم بن الأسود النخعي يعوده ويزوره، فقال: كيف تجدك يا أبا العريان؟

قال: (أجدني قد ابيضَّ ما كنتُ أحب أن يسودّ، واسوَّد مني ما كنت أحب أن يبيضَّ، وأنسى الحديث، وأذكر القديم، وأنعس في الملأ، وأسهر في الخلاء).

* وأنشد أحدهم في ذلِكَ شعراً، فقال:

فاسمع أنبئك بآيات الكِبر
تقارب الخطو وضعف في البصر
وقلة الطعم إذا الزاد حضر
وكثرة النسيان ما بي مدَّكر
وقلة النوم إذا الليل اعتكر
أوله نوم وثلثاه سهر
وسعلة تعتادني مع السحر
وحذراً أزداده إلى حذر
والناس يبلَوْنَ كما يبلى الشجر

* * *



الشباب والمشيب

* قال الشاعر أسامة بن منقذ، المتوفى سنة (٥٨٤هـ) يصف انتقال الإنسان من مرحلة الشباب إلى المشيب:

يقولون: جار عليك المشيب ... ومَنْ ذا يجير إذا الشيب جارا
وما كنت مغتبطاً بالشباب ... وهل كان إلَّا رداءً معاراً
ولكنني ساءني فقده ... فواهاً له، أيَّ همٍ أثاراً
وما ساءني أن أحال الزمان ... ليلي نهاراً، وجهلي وقارا
ولكن: يقولون عصر الشباب ... يكون لِكُلِّ سرورٍ قرارا
وما زلت منذ ترديته ... كخابط ليلٍ أعاني العثارا
أكابد دهراً يشيب الوليد ... وهمّاً يشبُّ بأحشايَ نارا[١]

الشيب لفراق الأحبة:

* وقال الشيخ القاضي أبو البقاء خالد بن عيسى البلوي، المتوفى سنة (٧٥٩هـ):

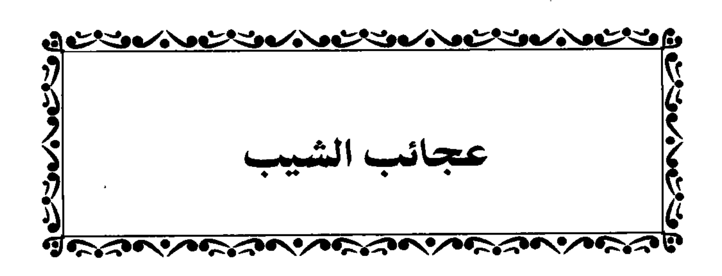
ومُستنكِرٌ شيبي وما ذهب الصِّبا ... ولا جفَّ إيناع الشبيبة من غصني
فقلت: فراقي للأحبة مُؤْذِنٌ ... بشيبي، وإن كنت ابن عشرين في سني[٢]

* * *

---

(١) ديوان أسامة بن منقذ، ص ٣١٨.

(٢) الإفادات والإنشادات للشاطبي، ص ١٦٨.



عجائب الشيب

نظر حكيم إلى رجلين أحدهما قد شاب رأسه قبل لحيته، والآخر قد شابت لحيته قبل رأسه، فأراد أن يعرف جواب كل واحدٍ منهما عن حاله تلك.

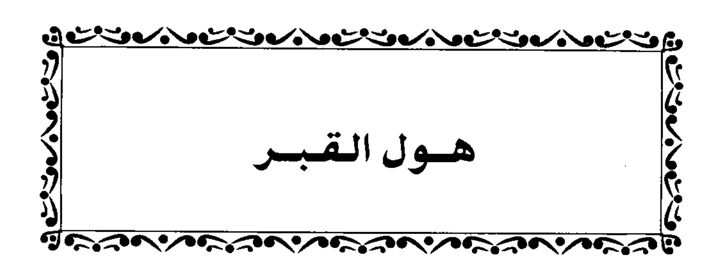
فقال لأحدهما: لمَ شاب رأسك قبل لحيتك؟

قال: لأنَّ شعر رأسي خُلق قبل شعر لحيتي، والكبير يشيب قبل الصغير.

وقال للآخر: لم شابت لحيتك قبل رأسك؟

قال: لأنها أقرب إلى الصدر موضع الهمِّ والغمِّ.

❋ ❋ ❋



هـول القبـر

رأى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز قوماً في جنازة، وقد هربوا من الشمس إلى الظل، وهم يتوقَّون الغبار، فبكى ثمَّ أنشد يقول:

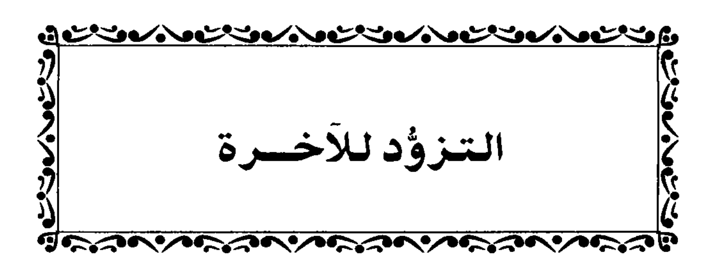
مَن كان حين تصيب الشمس جبهته ... أو الغبار يخاف الشَّين والشعثا

ويألف الظل كي تبقى بشاشته ... فسوف يسكن يوماً راغماً جدثا

في ظل مقبرة غبراء مظلمة ... يطيل تحت الثرا في غمِّها اللَّبثا

تجهَّزي بجهاز تبلغين به يا ... نفس قبل الردى، لم تُخلقي عَبثا





التزوُّد للآخـرة

قال الشاعر:

تـزوَّد مـن الـدنيـا فـإنَّـك لا تـدري ... إذا جنَّ ليلٌ هل تعيش إلى الفجر

فكم من فتًى يمسي ويصبح لاهياً ... وقد نُسجت أكفانه وهو لا يدري

وكم من عروس زيَّنوها لزوجها ... وقـد قُبضـت أرواحهـم ليلـة القـدر

وكم من صغار يُرَّتجى طول عمرهم ... وقد أُدخلت أجسادهم ظلمة القبر

وكم من صحيح مات من غير علَّةٍ ... وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر

وقال آخر:

تــزوَّد مــن حيــاتــك للمعــاد ... وقــم للَّــهِ واجمــع خيــر زاد

ولا تــركــن إلــى الـدنيـا قليـلاً ... فــإن المــال يُجمــع للنفــاد

أتــرضــى أن تكــون رفيــق قــومٍ ... لهــم زادٌ وأنــت بغيــر زاد؟

وقال الإمام الشافعي:

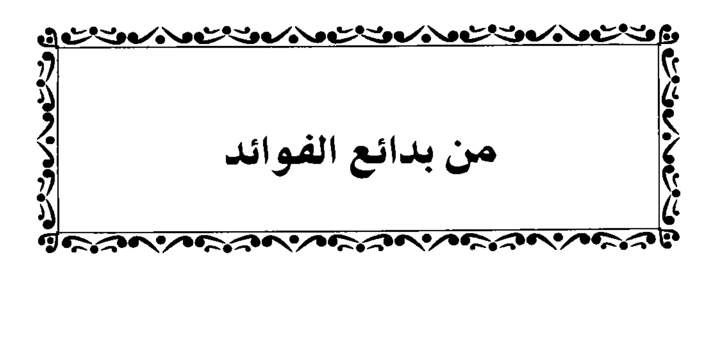
يـا مـن تعـزَّز بـالـدنيـا وزينتهـا ... الدهرُ يأتي على المبنيِّ والباني

ومـن يكـن عـزُّه الـدنيـا وزينتهـا ... فعـزُّه عـن قليـلٍ زائـلٌ فـانـي

واعلم بأن كنوز الأرض من ذهبٍ ... فـاجعـل كنـوزك مـن بـرٍّ وإيمـان[1]

* * *

(١) ديوان الشافعي، ص ١٦٩.



من بدائع الفوائد

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه (الفوائد):

* للعبد ستر بينه وبين الله وستر بينه وبين الناس، فمن هتك الستر الَّذي بينه وبين الله هتك الله الستر الَّذي بينه وبين الناس.

* للعبد ربٌّ هو ملاقيه، وبيتٌ هو ساكنه؛ فينبغي أن يسترضي ربه قبل لقائه، ويُعمِّر بيته قبل انتقاله إليه.

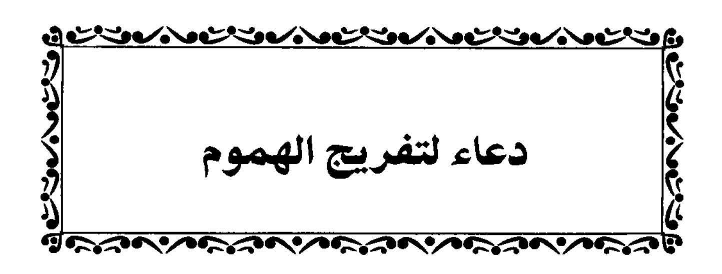
* إضاعة الوقت أشد من الموت؛ لأنَّ إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة، والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها.

* كيف يكون عاقلاً من باع الجنة بما فيها بشهوة ساعة؟!

* العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملاً يثقله ولا ينفعه.

* من تلمَّح حلاوة العافية هانت عليه مرارة الصبر.

* * *



دعاء لتفريج الهموم

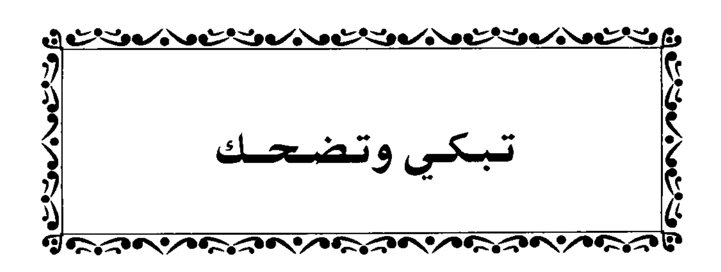
روى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«ما أصاب عبداً همٌّ ولا حزنٌ فقال: **اللَّـٰهُمَّ إنِّي عبدك، وابن عبدك، وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمك، عدلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سمَّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علَّمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همِّي وغمِّي**؛ إلَّا أذهب الله همَّه وغمَّه، وأبدله مكانه فرحاً». قالوا: يا رسول الله، أفلا نتعلَّمهن؟ قال: «بلى، ينبغي لمن سمعهنَّ أن يتعلَّمهنَّ»[1].

* * *

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٣٩١، والحاكم ١/ ٥٠٩، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ١/ ٣٨٣، رقم ١٩٩.



تبكي وتضحك

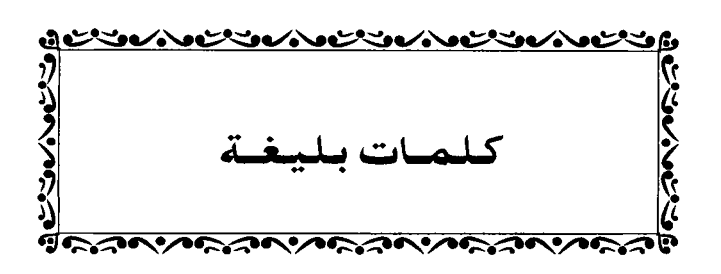
في سنة ١٥٨هـ توفي المنصور وبويع لولده المهدي، فلمَّا جلس المهدي للتعزية والتهنئة دخل عليه أبو دلامة، فأنشده:

عينان واحدة ترى مسرورة ... بإمامها جذلى وأخرى تذرف
تبكي وتضحك مرة ويسوؤها ... ما أنكرت ويسرُّها ما تعرف
فيسوؤها موتُ الخليفة محرِماً ... ويسرُّها أن قام هذه الأرأف

وذلك أنَّ أبا جعفر المنصور مات وهو محرم يريد الحج، فلما وصل قرب الكعبة توفَّاه الله سبحانه[1].

* * *

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي ٨/ ٢٠٩.



كلمات بليغة

* يُذكر أنَّ عثمان بن عفَّان رضي الله عنه صعد المنبر يوماً فارْتُجَّ عليه ولم يدرِ ماذا يقول، فتوقَّف قليلاً ثمَّ قال: (أنتم إلى إمام فعَّال، أحوج منكم إلى إمام قوَّال)، فكانت أبلغ خطبة[1].

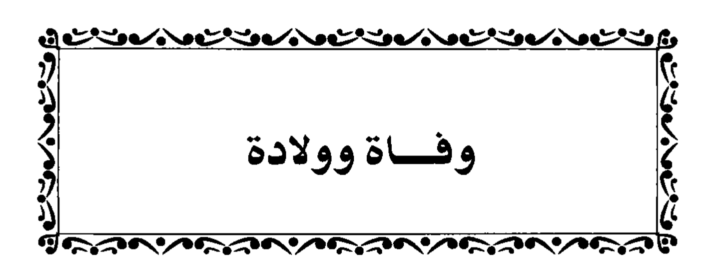
* سُئِل الإمام الشافعي رحمه الله عن ثمانية أمور: واجب وأوجب، وعجيب وأعجب، وصعب وأصعب، وقريب وأقرب.

فأجاب بقوله:

مِن واجب الناس أن يتوبوا ... لكنَّ ترك الذنوب أوجب
والدهر في صرفه عجيبٌ ... وغفلة الناس عنه أعجب
والصبر في النائبات صعبٌ ... لكنْ فواتُ الثواب أصعب
وكلُّ ما ترتجي قريبٌ ... والوقت من دون ذاك أقرب

* * *

(١) بهجة المجالس ١/ ٧٣.



وفـــاة وولادة

الموت أجلٌ محتوم، وعبرة وعظة لكلِّ حيّ، والحياة بين الولادة والموت أمدُها قصير مهما طالت، ونحن في هذه الدنيا نستقبل ونودِّع، ففي كل يوم يولد أناس ويموت آخرون، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولكن العجيب ولادةٌ ووفاةٌ في ليلة واحدة بل وفي ساعة واحدة، وهذا ما حدث للشاعر أحمد شوقي حيث كانت ولادة ابنته (أمينة) ووفاة والده في ساعة واحدة، فقال في ذلك شعراً مؤثِّراً بديعاً، فلنستمع إلى تلك الأبيات ولنقرأها بتدبُّر وتفكُّر:

يـــا ليلـــةً سميتُهـــا ليلتـــي ... لأنهـــا بـــالنـــاس مـــا مـــرَّتِ

أذكـرهـا، والمـوت فـي ذكـرهـا ... علـــى سبيـــل البـــثّ والعِبـــرة

ليعلـــم الغـــافـــل مـــا أمسُـــه؟ ... مـــا يـــومُـــه؟ مـــا منتهـــى العِيشـــة؟

نبَّهنـــي المقـــدور فـــي جُنحهـــا ... وكنـــتُ بيـــن النـــوم واليقظـــة

المـــوت عجـــلانٌ إلـــى والـــدي ... والـوضـع مستعـصٍ علـى زوجتـي

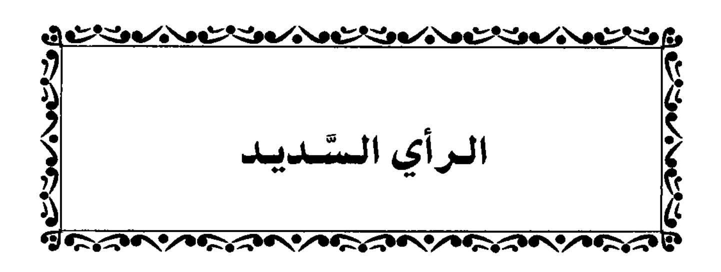
هـــذا فتـــىً يُبكـــى علـــى مثلـــه ... وهـــــذه فـــــي أول النشـــــأة

والقلـــب مـــا بينهمـــا حـــائـــرُ ... مـــن بلـــدةٍ أســـري إلـــى بلـــدةِ

حتـــى بـــدا الصبـــح فـــولَّـــى أبـــي ... وأقبلـــت بعـــد العنـــاء ابنتـــي[1]

* * *

(١) الشوقيات ٤/٩٧.



الرأي السَّديد

مَن رزقه الله رأياً سديداً وحكمة صائبة ونظراً ثاقباً، فهذه من أعظم النعم وأجلِّ الهبات.

وقد امتدح الله سبحانه عبده ونبيّه داود عليه السلام، فقال عزَّ وجلّ: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾[1].

والرأي السديد مقدَّم على الشجاعة وقوَّة الجسد؛ لأنَّ الشجاعة إذا لم تصدر عن عقل وحكمة أهلكت صاحبها وجعلته يتصرف بطيشٍ وحماقة فيؤذي نفسه وغيره، وفي ذلك يقول المتنبي:

الرأيُ قبل شجاعة الشجعان ... هو أولٌ وهي المحلُّ الثاني

* * *

(١) سورة ص: الآية ٢٠.



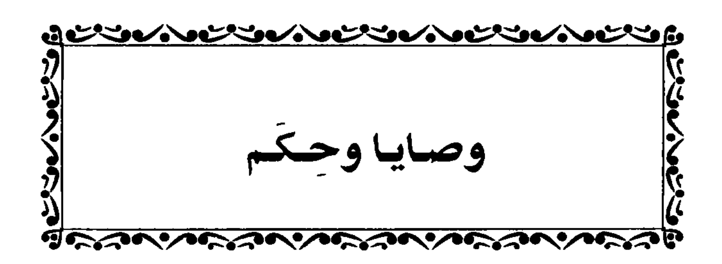
الصبر الجميل

❊ قال الشاعر أسامة بن منقذ يرحمه الله:

يـا نفـسُ أيـن جميـل صبـركِ حيـن تَطـرقـكِ الخطـوبُ؟
أيـن احتمـالـكِ مـا تكـا دُ الـراسيـات لـه تـذوبُ؟
مـاذا دهـاكِ إلـى متـى هـذا التـأسـفُ والنحيـبُ؟
كيـف استـزلَّـكِ بعـد صد قِ يقينـكِ الأمـلُ الكـذوبُ؟
أرجـوتِ أنْ سيُـردُّ مَـن غـال الـردى دمـعٌ سكـوبُ؟
هيهـات، كـل الخلـق مِـن نكبـاتهـا لهـمُ نصيـبُ
مـن ذا الَّـذي يبقـى علـى مـرِّ الـزمـان لـه حبيـبُ
لكـنْ يُسلِّـي النفـس أنَّ لحـاقَنـا بهـم قـريـبُ
وإليهـمُ، مـن بعـد غيبتهـم وإن طـالـت نُـؤوبُ[1]

❊ ❊ ❊

(١) ديوان أسامة بن منقذ، ص ٣٤٥.



وصايا وحِكَم

* قال الشاعر:

إذا جاريتَ في خُلقٍ دنيئاً ... فأنت ومن تجاريه سواءُ

رأيتُ الحر يجتنب المخازي ... ويحميه عن الغدر الوفاءُ

وما من شدة إلاَّ سيأتي ... لها من بعد شدتها الرخاءُ

لقد جرَّبتُ هذا الدهر حتى ... أفادتني التجارب والعناء

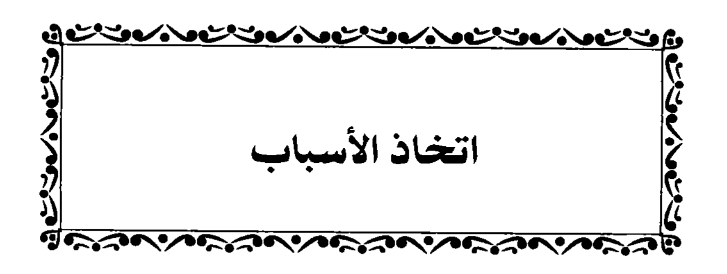
إذا ما رأس أهل البيت ولَّى ... بدا لهمُ من الناس الجفاء

يعيش المرء ما استحيا بخير ... ويبقى العود ما بقيَ اللِّحاء

فلا والله ما في العيش خيرٌ ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

إذا لم تخش عاقبة الليالي ... ولم تستحْيِ فاصنع ما تشاء

* * *



اتخاذ الأسباب

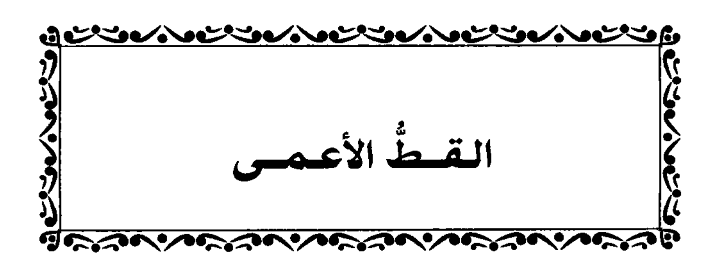
أمرنا الله سبحانه باتخاذ الأسباب في طلب الرزق، وجَعَلَ لكلٍّ رزق سبباً، ومن الخطأ الجسيم أن يتقاعس العبد عن العمل ويترك السعي لطلب الرزق، وهذا هو التواكل المذموم.

ومن أبدعِ ما يُذكر في هذا المجال أنَّ السيِّدة مريم وهي في شدة المخاض أمرها الله سبحانه أن تهز جذع النخلة ليتساقط عليها الرُّطَب الجَنِيّ فتأكله، ولو شاء الله سبحانه لأنزل عليها الرُّطب دون أن تهزّ الجذع.

* وفي ذلك يقول الشاعر:

ألــم تــر أنَّ الله أوحـــى لمــريــم	وهزِّي إليك الجِذع يُسَّاقَط الرطبْ
ولــو شــاء أن تجنيــه مــن غيــر هــزِّهِ	جَنَتْــهُ، ولكــنْ كــلُّ رزقٍ لــه سبــبْ

* * *



القطُّ الأعمى

* ذكر ابن خلِّكان في ترجمة ابن بابْشاذ النحوي، المتوفى سنة ٤٦٩ رحمه الله تعالى قصةً عجيبة مؤثرة، وإليك هذه القصة[١]:

(يُحكى أنَّ ابن بابشاذ النحوي كان يوماً في سطح جامع مصر، وهو يأكل شيئاً وعنده ناس، فحضرهم قطٌّ، فرموا له لقمة، فأخذها في فيه (أي فمه) وغاب عنهم، ثم عاد إليهم، فرموا له شيئاً آخر ففعل كذلك، وتردَّد مراراً كثيرة، وهم يرمون له، وهو يأخذه ويغيب به، ثم يعود من فوره، حتى عجبوا منه، وعجبوا أنَّ مثل هذا الطعام لا يأكله وحده لكثرته، فلمَّا استرابوا حاله تبعوه، فوجدوه يرقى إلى حائط في سطح الجامع، ثم ينزل إلى موضع خالٍ صورة بيت خراب، وفيه قطٌّ آخر أعمى، وكلُّ ما يأخذه من الطعام يحمله إلى ذلك القط ويضعه بين يديه، وهو يأكله، فعجبوا من تلك الحال، فقال ابن بابشاذ معلِّقاً على هذا المشهد.

إذا كان هذا حيواناً أخرس قد سخَّر الله سبحانه وتعالى له

---

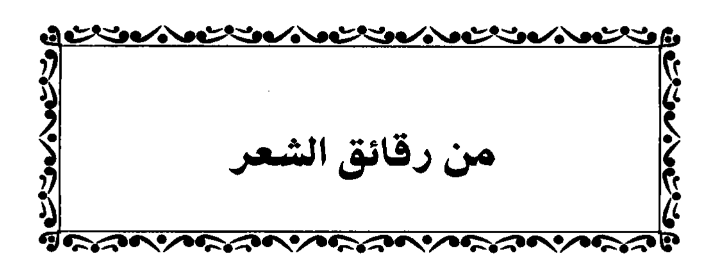
(١) وفيات الأعيان ٢/٥١٦.

هـذا القـط، وهـو يقـوم بكفـايتـه، ولـم يحـرمـه الـرزق، فكيـف يضيِّـع مثلـي؟

فتـأمَّـل أخـي القـارىء هــذه القصــة، وانظــر كيــف يسخِّـر الله سبحانه وتعالـى الـرزق لمخلوقاته، وهذا مصداق قوله سبحانه: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٦﴾[1].

* * *

(١) سورة هود: الآية ٦.



من رقائق الشعر

أسير الخطايا :

أسيـر الخطـايـا عنـد بـابـك واقـف   بــه وجــلٌ ممَّــا بــه أنــت عــارفُ
يخاف ذنوباً لم يَغب عنك غيبها   ويـرجـوك فيهـا فهـو راجٍ وخـائـفُ

يا صاحب الهمّ :

يـا صـاحـب الهـم إنَّ الهـم منفـرج   أبشِــرْ بخيــر فــإنَّ الفــارج الله
اليــأس يقطـع أحيـانـاً بصـاحبـه   لا تيــأســنَّ فــإنَّ الكــافــي الله
إذا بُليــت فثــق بــالله وارض بــه   إنَّ الَّــذي يكشــف البلــوى هــو الله
واللَّــهِ مـا لـك غيـر الله مـن أحـدٍ   فحسبــك الله فــي كــلٍّ لــك الله

حسن الخاتمة :

يــــا ثقتــــي يــــا أملــــي   أنــت الــرجـا أنــت الــولــي
اختــــم بخيــــرٍ عملــــي   وحقِّــق التــوبــة لـــي
قبــــل حلــــول أجلــــي   وكــن لــي يــا ربِّ ولــي[1]

---

(١) بحر الدموع، لابن الجوزي، ص ٢٨ .

الحج المبرور:

إذا حججتَ بمالٍ أصلهُ سُحتٌ ... فما حجَجْتَ ولكنْ حجَّتِ العيرُ
لا يقبل الله إلاَّ كلَّ خالصةٍ ... ما كلُّ من حجَّ بيتَ الله مبرورُ

مناجاة:

* قال أحد الشعراء:

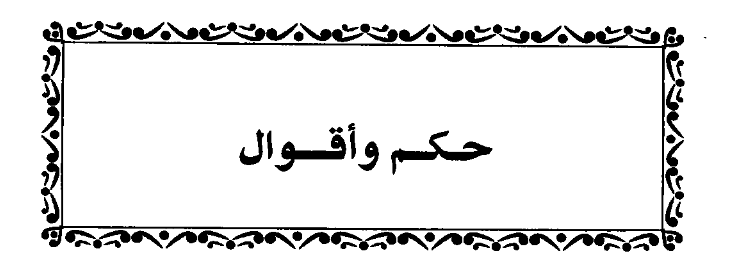
يا رب أنتَ رجائي ... وفيكَ حسَّنتُ ظني
يا رب فاغفر ذنوبي ... وعافني واعفُ عني
العفو منك إلٰهي ... والذنب قد جاء مني
والظنُّ فيك جميلٌ ... حقِّق بحقك ظني[1]

* وقال آخر:

يا رب عبدك قد أتا ... كَ وقد أساءَ وقد هَفا
يكفيك منه حياؤه ... مِن سوءِ ما قد أسلفا
حَمَلَ الذنوبَ على الذنو ... بِ الموبقات وأَسرفا
وقد استجار بذيل عفو ... كَ من عقابك مُلْحِفا
يا رب فاعف وعافِهِ ... فلأَنتَ أولى من عفا[2]

* * *

(١) لطائف المعارف ص ٥٩.
(٢) المرجع السابق ص ٣٧١.



حكم وأقوال

* كفى بالنجاة من النار مثوبة، وكفى بحرمان الجنة عقوبة.

* من مَدحكَ عند رضائه عنك بما ليس فيك، ذمَّك عند غضبه عليك بما ليس فيك.

* من أرضاكَ بما يضرُّك في دينك فهو لك عدو، ومن أسخطك بما ينفعك في دينك فهو لك صديق، وإن كانت نفسك لا تحبه، فهو كالدواء المرِّ للمريض.

* من حَفظ الفؤاد حُفظ من الفساد، ومن حَفظ الجوارح أَمِنَ الجوارح[1].

* العلم حجةٌ عليك حتى تعمل به، فإذا عملتَ به كان حجةً لك.

* إذا أردتَ أن تُطاع فاطلب ما يُستطاع.

* * *

(١) أي: من حفظ أعضاءه عن المعاصي حفظه الله من الشرور.



من بدائع الحكم

❊ قال الشاعر:

خـذ مـا صفـا لـك فـالحيـاة غـرورُ والـدهـر يعـدل تـارة ويجـورُ
بـادر فـإن الـوقـت سيـف قـاطـعٌ والعمـر جيـشٌ، والشبـاب أميـرُ

❊ وقال ابن الوردي:

مـواعـظُ الـدهـر لأبنـائـه مـا بيـن مفهـومٍ ومنطـوقِ
كـم طـامـعٍ فـي دهـره بـالصفـا والـدهـرُ لا يصفـو لمخلـوقِ[1]

❊ وقال ابن المعتز:

خَـلِّ الـذنـوب صغيـرهـا وكبيـرهـا ذاك التقـى
واصنـع كمـاشٍ فـوق أرضِ الشـوك يحـذر مـا يـرى
لا تحقـرنَّ صغيـرة إنَّ الجبـال مـن الحصـى

❊ وقال عدي بن زيد:

عن المرء لا تسأل وسَلْ عن قرينه فكـلُّ قـريـنٍ بـالمقـارنِ يقتـدي
إذا كنتَ في قوم فصاحبْ خيارهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

❊ وقال أحد الشعراء:

إذا المـرء عـوفـيَ فـي جسمـه وملَّكـه الله قلبـاً قنـوعـاً

---

(١) تاريخ ابن الوردي ١/ ٢٩٤.

وألقـــى المطـــامـــع عـــن نفســـه فـــذاك الغنـي وإن مـات جـوعـاً[1]

* وقال أبو الطيب المتنبـي:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصـــدَّق مـا يعتـاده مــن تــوهُّــم

وعــادى محبيــه بقــول عِــداتــهِ وأصبح في ليلٍ من الشك مظلم[2]

* وقال أحد الشعراء:

لعمــرُك مــا ودُّ اللســان بنــافــعٍ إذا لم يكن أصل المودة في القلب[3]

* * *

---

(١) شذرات الذهب ٨/ ٣.

(٢) ديوان المتنبـي، ص ٤٥٩.

(٣) عيون الأخبار ٣/ ٨٩.



شذرات نافعة

العقل نعمة عظمى:

قال الأصمعي لغلام من أبناء العرب: أيسرُّك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنت أحمق؟

فقال الغلام: لا والله.

قال الأصمعي: لمَ؟

فقال: أخاف أن يجني عليَّ حمقي جناية تذهب بمالي، ويبقى لي حمقي!!

التلطف في حياة الزوجين:

قال رجل لزوجته لكي تتجنب إثارته عند الغضب، وتتلطف به لتكسب مودته:

خذي العفو مني تستديمي مودَّتي ... ولا تنطقي في سَوْرتي حين أغضبُ

فإني رأيت الحب في القلب والأذى ... إذا اجتمعا، لم يلبثِ الحبُ يذهبُ

الوجه الحسن والقبيح:

قال الحسن البصري: (ينبغي للوجه الحسن ألا يَشين وجهه بقبيح فعله، وينبغي لقبيح الوجه ألا يجمع بين قبيحين).

حسن الأدب :

سأل رجل العباس عم النبي ﷺ فقال: أنت أكبر أم رسول الله؟ فقال: رسول الله أكبر، وأنا ولدت قبله.

الجود والسخاء :

قال الشاعر:

إذا جادت الدنيا عليك فجدْ بِهَا ... على الناس طُرّاً قبل أن تتفلَّت
فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت ... ولا البخل يبقيها إذا ما تولَّت

نيل المعالي :

قال المتنبي مخاطباً نفسه:

ذريني أَنَلْ ما لا ينال من العُلا ... فصعب العلا في الصعب والسهل في السهلِ
تريدين إدراك المعالي رخيصة ... ولا بد دون الشهد من إبر النحلِ

لستُ راضياً :

قيل للربيع من خيثم: ما نراك تغتاب أحداً؟

فقال: لستُ عن حالي راضياً حتى أتفرغ لذمِ الناس.

مجانبة السفهاء :

* قال الشاعر:

إذا نطق السفيه فلا تجبهُ ... فخيرٌ من إجابته السكوتُ
فإن كلَّمته فرَّجت عنه ... وإن خلَّيته كمداً يموت

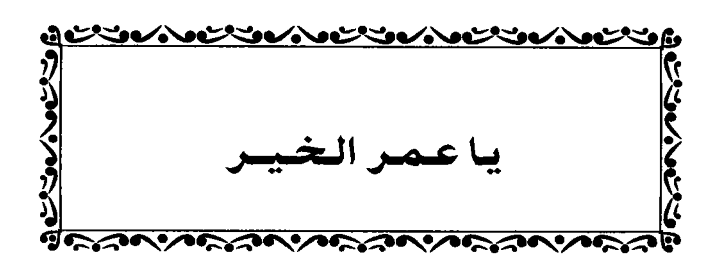
الحسنة والسيئة:

قال ابن عباس رضي الله عنه: (إنَّ للحسنة ضياءً في الوجه، ونوراً في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإنَّ للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القلب، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضاً في قلوب الخلق)[1].



---

(١) الداء والدواء، لابن القيم، ص ٦٣.



يا عمر الخير

أورد الإمام ابن الجوزي في كتابه (تاريخ عمر بن الخطاب)[1] أن أعرابياً وقف على عمر رضي الله عنه فقال:

يـا عمـر الخيـر جُـزيـتَ الجنـة　　　أُكـسُ بُنيـاتـي وأُمهنَّـه

أقسمـتُ بـالله لتفعلنـه

قال: فإن لم أفعل يكون ماذا؟

قال: إذا أبا حفص لأمضينَّه.

قال: فإن مضيتَ يكون ماذا؟

قال:

يكـون عـن حـالـي لتُسـألنَّـه　　　يـوم تكـون الأُعطيـات مِنَّـهْ

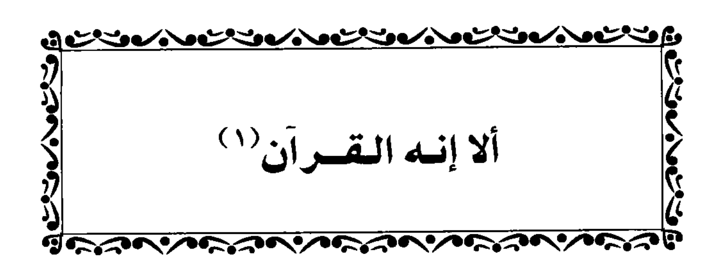
فـالـواقـف المسـؤول ينتهِنَّـه　　　إمـا إلـى نـار وإمـا جنَّـه

فبكى عمر رضي الله عنه حتى اخضلَّت لحيته، وقال لغلامه:

يا غلام أعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لِشعره.

* * *

(١) تاريخ عمر، ص ٢١٥.



ألا إنه القرآن[1]

ألا إنه القرآن ــ فاعلم ــ ملاذُنا … فما دونه خيرٌ ولا عنه مَنْزَعُ

فآياته مرآة صدق جليَّةٌ … يُرى ما مضى فيها، وما يُتوقَّع

عظاتٌ وأمثال وهديٌ وحكمة … وشرعٌ جليلٌ نيِّر الحكم مبدع

به قارعاتٌ كالصواعق قوةً … ونورٌ رفيقٌ بالعيون مشعشع

بلاغٌ كساه الله أسمى بلاغةٍ … ترُدُّ بليغ القوم عيّاً فيخضع

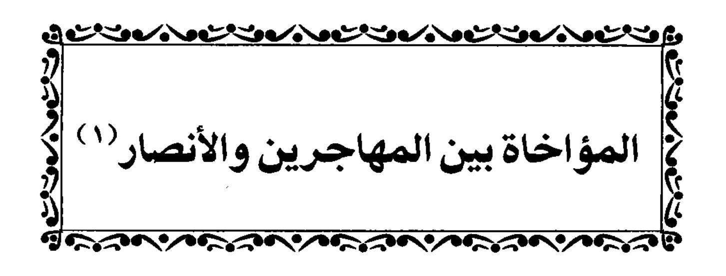
علاجٌ لبؤس البائسين محقَّقٌ … ورَوْح لرُوح البائسين مشجِّع

شِفاء لأدواء النفوس ورحمة … وتكراره أحلى لسمعٍ وأمتع

تراه جديداً كلما جئت سامعاً … كأنَّ المعاني من مثانيه تنبع

❊ ❊ ❊

(١) شعر العلاَّمة الشيخ مصطفى الزرقا، الذي توفي يوم ١٩ ربيع الأول عام ١٤٢٠، عن عمر يقارب مائة عام، والقصيدة من ديوانه (قوس قزح)، ص ٢٤١.



المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار[1]

هي الأواصر أدناها الدم الجاري ... فلا محالة من حبٍّ وإيثار

الأسرة اجتمعت في الدار واحدةً ... حُيِّيت من أسرة بوركتِ من دار

كلٌّ له من سَراةِ المسلمين أخ ... يحمي الذمار ويرعى حرمة الجار

صاح النبي بهم: كونوا سواسية ... يا عصبة الله من صحب وأنصار

هذا هو الدين، لا ما هاج من فتنٍ ... بين القبائل دينُ الجهل والعار

الجاهلية سمٌّ ناقع وأذىً ... تشقى النفوس بداء منه ضرَّار

الشر غطَّى أديم الأرض فارتكست ... أقطارها بين آثام وأوزار

إنَّ الأُلى اتخذوا الأصنام آلهة ... على شفا جرف من أمرهم هارِ

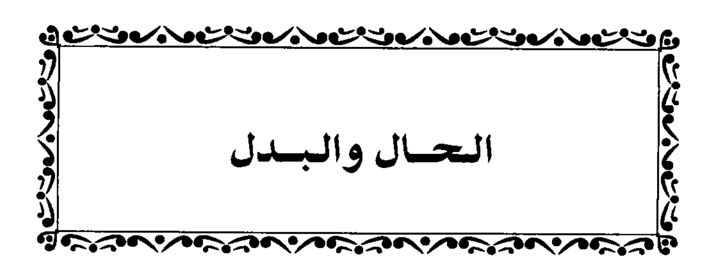
يستكبرون على من لا شريك له ... ويسجدون على هُونٍ لأحجار

راحوا يجلُّونها من سوء ما اعتقدوا ... والله أولى بإجلال وإكبار

سبحانه من إلهٍ شأنه جلل ... يهدي النفوس بآيات وآثار

* * *

(١) للشاعر أحمد محرَّم. من ديوانه (مجد الإسلام)، ص ٩٦.



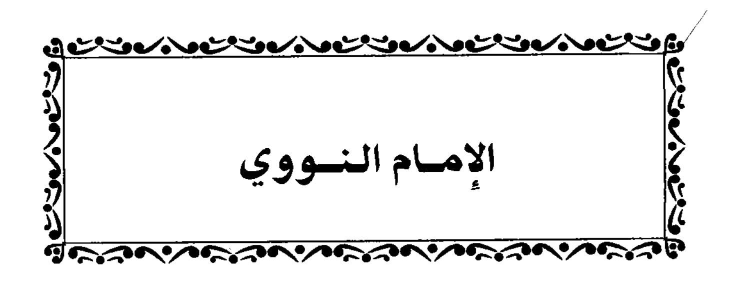
الحال والبدل

* كتب الشاعر أبو شجاع الدهان أبياتاً من الشعر للإمام النحوي اللغوي تاج الدين زيد بن الحسن الكندي (المتوفى سنة ٦١٣هـ) يقول فيها:

يا زيدُ زادك ربي من مواهبه … نعمى يَقصُر عن إدراكها الأمل
لا غيَّر الله حالاً قد حباك بها … ما دار بين النحاة الحال والبدل
النحو أنت أحق العالمين به … أليس باسمك فيه يُضرب المثل[1]

* * *

(١) تاريخ ابن الوردي ٢/ ١٣١.



الإمام النووي

* أبيات للإمام ابن الوردي في مدح الإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي الذي توفي بقرية (نَوى) قرب دمشق سنة (٦٧٦هـ)، وعمره خمس وأربعون سنة، بعد أن قضى حياة حافلة بالعلم والتصنيف، فقال يمتدحه ببعض الأبيات من الشعر:

لقيتِ خيراً يا نوى — وحُرستِ من ألم النَّوى[١]

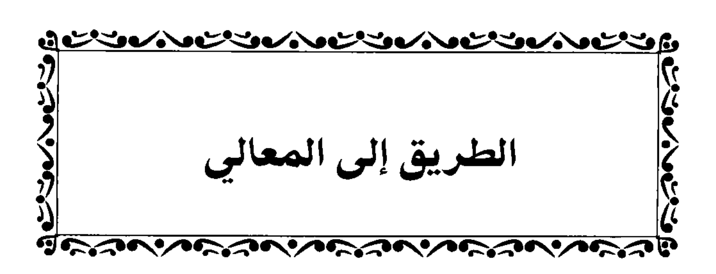
فلقد نشأ بكِ زاهدٌ — في العلم أخلص ما نوى

وعلى عِداهُ فضلُه — فضل الحبوب على النوى[٢]

* * *

(١) ألم النوى: ألم الفراق وبُعد الأحبة.

(٢) تاريخ ابن الوردي ٢/ ٢١٩.



الطريق إلى المعالي

* قال الشاعر أبو الطيِّب المتنبِّي:

ولستُ بقانعٍ من كل فضلٍ ... بأن أُعزى إلى جدٍّ هُمامِ

ومن يجد الطريق إلى المعالي ... فلا يذَرُ المطيَّ بلا سَنامِ

ولم أرَ في عيوب الناس شيئاً ... كنقص القادرين على التمامِ

يضيق الجلد عن نفسي وعنها ... فتوسعُهُ بأنواع السقام

يقول ليَ الطبيبُ أكلت شيئاً ... وداؤك في شرابك والطعامِ

وما في طبِّه أني جواد ... أضرَّ بجسمه طول الجِمام[1]

* وقال أيضاً يمتدح سيف الدولة:

كلُّ يومٍ لك احتمال جديدٌ ... ومسير للمجد فيه مُقام

وإذا كانت النفوس كباراً ... تعبت في مرادها الأجسام

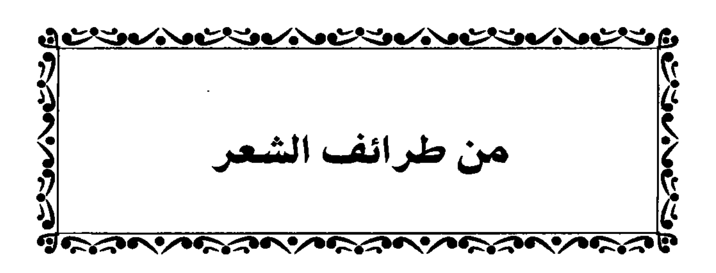
وكذا تطلُعُ البدور علينا ... وكذا تقلقُ البحور العظام

كلما قيل قد تناهىٰ أرانا ... كرماً ما اهتدت إليه الكرام[2]

* * *

(١) شرح ديوان المتنبِّي ٤/ ٢٧٥ ـ ٢٧٧. والجِمام: الراحة.

(٢) المرجع نفسه ٤/ ٦٤.



من طرائف الشعر

بكاء الطفل ساعة ولادته:

لما تُؤذِن الدنيا به من صروفها ... يكون بكاء الطفل ساعةَ يولدُ
وإلاَّ فما يبكيه منها وإنها ... لأوسع مما كان فيه وأرغدُ
إذا أبصر الدنيا استهلَّ كأنه ... بما هو لاقٍ من أذاها يُهدَّدُ(١)

العجب القاتل:

يُصاب الإنسان أحياناً بالتكبُّر والغرور والإعجاب بالرأي، حتى لا يرضى بنصح ناصح، أو يصغي لرأي غيره، ويبقى على هذه الحال يتخبَّط حتى تحل به الندامة، وقد قال الشاعر يصف حماقة هؤلاء:

إذا المرء لم يَدْرِ ما أمكنه ... ولم يأتِ من أمره أزينَهْ
وأعجَبه العُجب فاقتاده ... وتاهَ به التيهُ فاستحسنه
فَدَعْهُ، فقد ساء تدبيره ... سيضحكُ يوماً ويبكي سَنَه(٢)

يوم العيد:

* قال الإمام الشاطبي: أنشدني صاحبنا الفقيه الأديب

---

(١) للشاعر ابن الرومي. وانظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين بن الأثير ٢/٢٨.

(٢) نوادر في الأدب، لمحمد المكي بن الحسين، ص ٤٩.

أبو محمد بن حذلم:

يقولون لي: خلِّ عنك الأسىٰ ... ولُذْ بالسرور فذا يومُ عيدْ
فقلتُ لهم: والأسىٰ غالبٌ ... ووجديَ يحيا، وشوقي يزيد:
توعَّدني مالكي بالفراقِ ... فكيف أُسَرُّ وعِيدي وَعِيدْ[1]

فضل الأعادي:

* وقال أيضاً: أنشدني أبو إسحاق بن الحاج عن أبي حيان قوله:

عِداتي لهم فضلٌ عليَّ ومنَّةٌ ... فلا أبعدَ الرحمن عني الأعاديا
همُ بحثوا عن زلَّتي فاجتنبتها ... وهمْ نافسوني فاكتسبت المعاليا[2]

باب الفؤاد:

* وقال الفقيه الأديب أبو جعفر بن عبد العظيم:

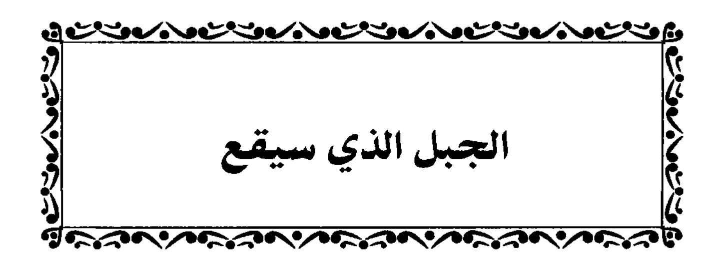
يا من اختار فؤادي منزلاً ... بابُه العينُ التي ترمقُه
فتحَ الباب سهادي بعدَكم ... فابعثوا لي طيفكم يغلقُه[3]

* * *

(١) الإفادات والإنشادات، للشاطبي، ص ١٥٤.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٤٩.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٦٤.



الجبل الذي سيقع

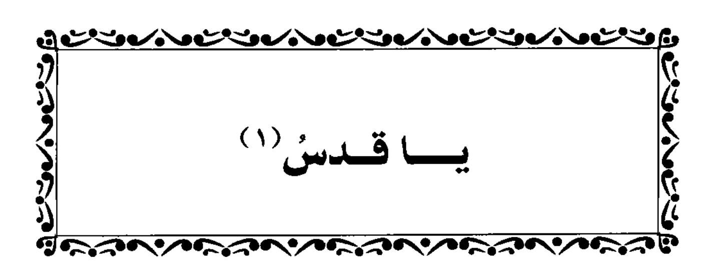
* وصف الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حال المؤمن الصادق في خشيته من ذنوبه وخوفه منها، فقال:

(إنَّ المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعدٌ تحت جبل، يخاف أن يقع عليه، وإنَّ الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرَّ على أنفه، فقال به هكذا)[1].

ولو تأملنا واقعنا اليوم لرأينا قسماً ثالثاً من الناس أشد فجوراً، لا يبالي بالذنوب بل يتباهى بها، ويدعو الآخرين إلى اقترافها باسم التقدم والحضارة والرقي، وبئس هذا التقدم المزعوم الذي يقود أصحابه إلى التعاسة والشقاء في الدنيا والآخرة.

* * *

(١) صحيح البخاري، كتاب الدعوات ٧/ ١٤٦.



يا قدسُ(1)

يا قدسُ يا محرابُ يا منبرُ ... يا نورُ يا إيمان يا عنبرُ

أقدامُ مَن داست رحابَ الهدى؟ ... ووجهُ مَن في ساحها أغبرُ؟

مَن لوَّث الصخرة تلك التي ... كانت بمسرى أحمدٍ تفخر؟

وأمطر القدسَ بأحقاده ... فاحترق اليابسُ والأخضرُ

وبعدَ شعبٍ دينُه رحمةٌ ... يحُلُّ مَن وجدانه يحقدُ

يا أفرُعَ الزيتون في قُدسنا ... كم طابَ في أفيائها الموعد

إن مزَّق الغاصب أرحامنا ... وقومنا في الأرض قد شُرِّدوا

فما لنا غيرُ هتاف العُلى: ... إنا لغير الله لا نسجدُ

* * *

يا قُدسُ يا أُنشودةً في فمي ... ويا مناراً في ذُرى الأنجُمِ

في كل أفقٍ منك تسبيحةٌ ... وكلِّ شبرٍ دفقة من دمِ

وكلِّ صدرٍ زفرةٌ حُرَّةٌ ... وكلِّ خِدرٍ عفَّةُ المبْسِمِ

تحنو بقلبٍ خافقٍ بالمنى ... على بريءٍ رفَّ كالبرعمِ

قد أغمض الأجفان في هَدأةٍ ... وثغرهُ في الثدي لم يُفطمِ

مَن مزَّقَ الطفلَ بلا رحمةٍ ... فمات بين الصدر والمعصمِ

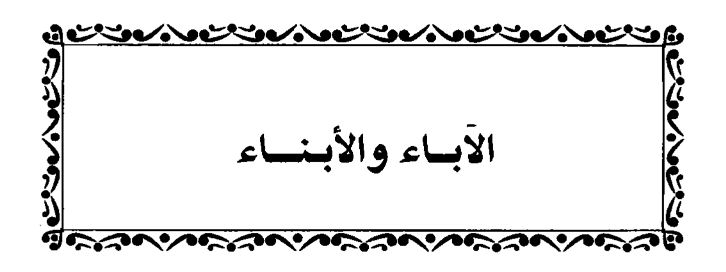
شظيةٌ عمياءُ من حاقدٍ ... ورميةٌ من ساعد المجرمِ

قد أُطلقت هوجاءَ في غفلةٍ ... وحُلكةٍ من ليلنا المظلمِ

* * *

---

(1) للشاعر يوسف العظم، في رحاب الأقصى، ص ١١.



الآباء والأبناء

روى الدينوري في كتابه (المجالسة وجواهر العلم) أنَّ بعض الحكماء أوصى ابنه؛ فكان مما قال في وصيته[1]:

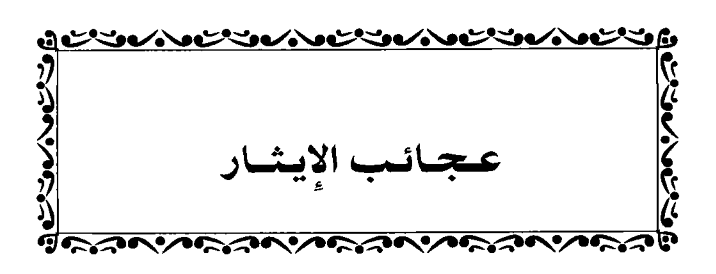
* يا بُني، إيَّاك والتسويف لما تهمُّ به من فعل الخير، فإنَّ وقته إذا زال لم يَعدْ إليك، واحذر طول الأمل، فإنه هلاك الأمم، ولا تدفع الواجب بالباطل فيُدال منك سريعاً. .

* واستعد لحريق الغضب بالأناة قبل أن تلتهب ناره في لحمك ودمك، فإنَّ إطفاءه قبل استيثاره سريع، وإذا اشتعل قبَّح محاسن ما كنتَ تجمَّل بها.

* واعلم يا بني أنَّ للمحامد محافلاً، وللمحاسن أسواقاً يبتاعها الناس، ثم يسير بها الركبان إلى البلدان والأمصار، فتعاهد نفسك لنفسك، فإنَّ أخلاق المرء إذا صلحت كانت كنوزاً يُبضَع له بها في الآفاق، إنَّ الفرائض في الأموال أقلُّ منها في الأخلاق. . والمال لباسٌ والزمان يبليه، والعِرض المصون لا تبلىٰ حِدَّته وبهجته.

* * *

(١) المجالسة ٥/ ١٦٧.



عجائب الإيثار

* قال الواقدي: كان لي صديقان: أحدهما هاشمي، وكنَّا كنفس واحدة، فنالتني ضيقة شديدة وحضر العيدُ، فقالت امرأتي: أمَّا نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدَّة، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطَّعوا قلبي رحمة لهم؛ لأنَّهم يرون صبيان الجيران وقد تزيَّنوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم، وهم على هذه الحال من الثياب الرثَّة! فلو احتلت بشيء تصرفه في كسوتهم!

فكتبت إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة عليَّ، فوجَّه إليَّ كيساً مختوماً ذكر أنَّ فيه ألف درهم، فما استقرَّ قراري حتى كتب إليَّ الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبي، فوجهت إليه الكيس بحاله، وخرجت إلى المسجد، فأقمت فيه ليلي مستحيياً من امرأتي.

فلما دخلت عليها استحسنَتْ ما كان منِّي، ولم تعنفني عليه.

فبينما أنا كذلك إذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته، فقال لي: أصدقني عما فعلت فيما وجهت إليك؟ فعرَّفته الخبر على وجهه، فقال: إنَّك وجَّهت إليَّ وما أملك على الأرض إلاَّ ما بعثتُ به إليك، وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة فوَّجَّه إليَّ بكيسي!

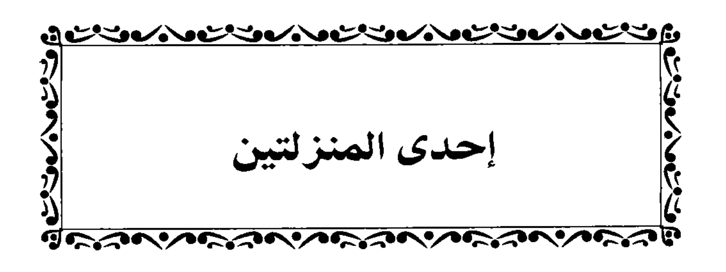
فتواسينا الألف أثلاثاً!

ثمَّ نُمِيَ الخبر إلى «المأمون» فدعاني، فشرحتُ له الخبر، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار، لكل واحد ألفا دينار، وللمرأة ألف دينار[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) قصص العرب ١/ ٢٩٠.



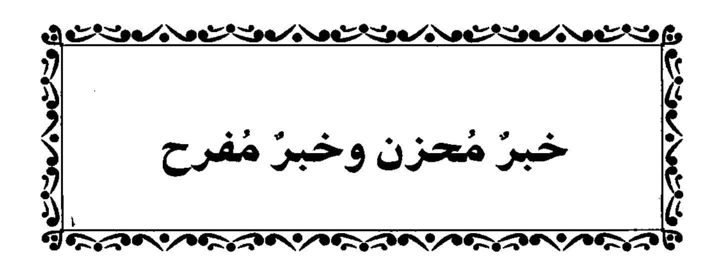
إحدى المنزلتين

أخرج أبو نعيم في الحلية عن الضحاك بن عبد الرحمن قال: دعا أبو موسى الأشعري رضي الله عنه فتيانه حين حضرته الوفاة، فقال: اذهبوا واحفروا، ووسِّعوا، وأعمقوا. فجاؤوا، فقالوا: قد حفرنا وأوسعنا وأعمقنا، فقال: والله إنها لإحدى المنزلتين، إما ليوسعن عليَّ قبري حتى تكون كل زاوية منه أربعين ذراعاً، ثم ليفتحن لي باباً إلى الجنة، فلأنظرنَّ إلى أزواجي ومنازلي وما أعد الله تعالى لي من الكرامة، ثم لأكونن أهدى إلى منزلي مني اليوم إلى بيتي، ثم ليصيبني من ريحها وروحها حتى أبعث.

ولئن كانت الأخرى ــ ونعوذ بالله منها ــ ليضيقن عليَّ قبري حتى يكون في أضيق من القناة في الزج ــ الحديدة التي في أسفل الرمح ــ ثم ليفتحن لي باب من أبواب جهنم، فلأنظرنَّ إلى سلاسلي وأغلالي وقرنائي، ثم لأكونن إلى مقعدي من جهنم أهدى مني اليوم إلى بيتي، ثم ليصيبني من سمومها وحميمها حتى أُبعث[1].



(١) حلية الأولياء، لأبـي نعيم الأصفهاني ١/ ٢٦٢.



خبرٌ مُحزن وخبرٌ مُفرح

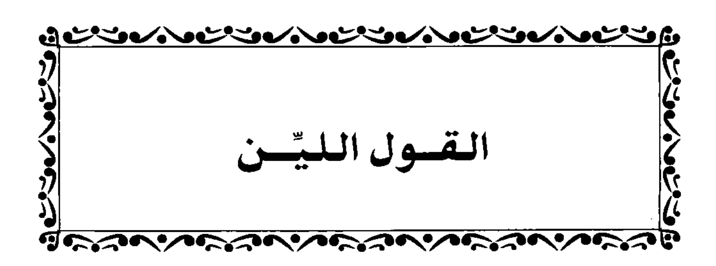
* أخبر الرسول ﷺ ابنته فاطمة رضي الله عنها بخبرٍ فحزنت وبكت، ثم أخبرها بخبر آخر فضحكت ــ فما هما الخبران؟

روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كنَّ أزواج النبـي ﷺ عنده، فأقبلت فاطمة رضي الله عنها تمشي ما تخطىء مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئاً، فلما رآها رحَّب بها وقال: «مرحباً بابنتي» ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم سارَّها فبكت بكاءاً شديداً، فلما رأى جزعها، سارها الثانية فضحكت.

فقلت لها: خصك رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسرار، ثم أنتِ تبكين! فلما قام رسول الله ﷺ سألتها: ما قال لكِ رسول الله ﷺ؟ قالت: ما كنت لأفشي على رسول الله ﷺ سرّه.

فلما توفي رسول الله ﷺ قلت: عزمت عليك بما لي عليك من الحق، لما حدثتيني ما قال لكِ رسول الله ﷺ؟ فقالت: الآن فنعم، أما حين سارني في المرَّة الأولى فأخبرني «أنَّ جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة أو مرتين، وأنَّه عارضه الآن مرتين، وإني لا أرى الأجل إلاَّ قد اقترب، فاتقي الله واصبري، فإنه نعم السلف أنا لكِ»، فبكيت بكائي الذي رأيت. فلما رأى جزعي سارني الثانية، فقال: «يا فاطمة، أَمَا ترضين أن تكوني سيِّدة نساء المؤمنين، أو سيِّدة نساء هذه الأمة؟»، فضحكتُ ضحكي الذي رأيتِ).

* * *



القول الليِّن

* قال معلى بن أيوب:

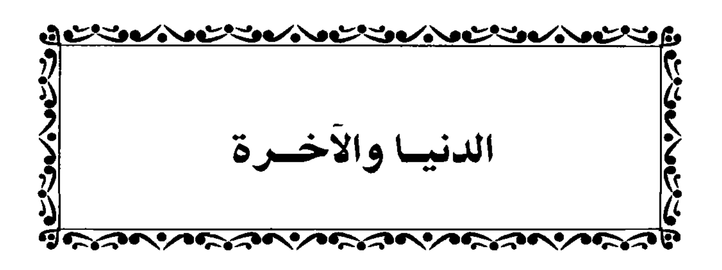
(بينما الرشيد هارون يطوف بالبيت، إذ عرض له رجل فقال: يا أمير المؤمنين! إنِّي أريد أن أكلِّمك بكلام فيه غلظٌ، فاحتمله لي. قال: لا ولا نعمة عينٍ ولا كرامة، قد بعث الله مَنْ هو خير منك ــ يعني: موسى عليه السلام ــ إلى مَن هو شر منِّي ــ أي: فرعون ــ، فأمره أن يقول له قولاً ليِّناً)[1].

قال تعالى مخاطباً موسى وهارون عليهما السلام: ﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾[2].

* * *

(١) المجالسة وجواهر العلم ٣/ ٣٦٤.

(٢) سورة طه: الآيتان ٤٣، ٤٤.



الدنيا والآخرة

قال الله سبحانه محذراً من التكالب على الدنيا ونسيان الآخرة: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾(١).

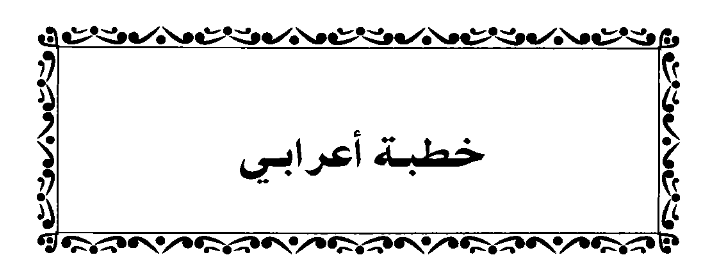
وقد روى مسلم أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**والله ما الدنيا في الآخرة إلاَّ مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليمِّ ـ أي البحر ـ فلينظر بم يرجع؟**»(٢).

فيا من شغلته الدنيا حتى خارت قواه، لن تظفر إلاَّ باليسير مهما جمعتَ من كنوز، ورزقُ ربِّك خير وأبقى.

* * *

(١) سورة الإسراء: الآيتان ١٨، ١٩.

(٢) رواه مسلم، رقم ٢٨٥٨.



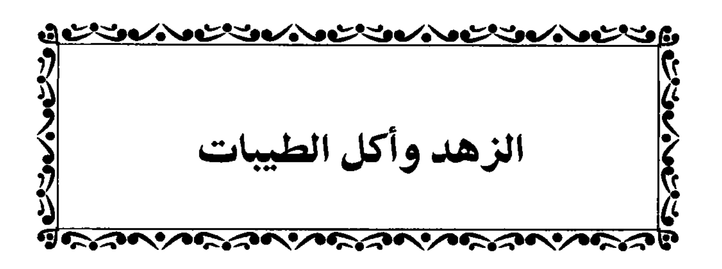
خطبة أعرابي

* قال الأصمعي: نزلنا في طريق ببعض المناهل، وحضرت الجمعة فلم يحضر الإمام، فقيل لأعرابي: قم فاخطب، فقام، فحمد الله عزَّ وجلّ وأثنى عليه، ثم قال:

(أيُّها الناس! إنما الدنيا دار بلاغ، والآخرة دار قرار، فخذوا من ممرّكم لمقرّكم، ولا تهتكوا أستاركم عند مَنْ لا تخفى عليه أسراركم، فإنَّ العبد إذا هلك قالت الملائكة: ما قدَّم؟ وقال بنو آدم: ما خلَّف؟! فقدِّموا لأنفسكم بعضاً تجدوه قريباً، ولا تُخلِّفوه كلاًّ فيكون عليكم ثقيلاً، فالمحمودُ الله عز وجل، والمصلَّى عليه محمد ﷺ، والمدعوُّ له الخليفة)[1].



(١) المجالسة ٣/ ٤٢٧.



الزهد وأكل الطيبات

* سئل الفضيل بن عياض رحمه الله عمن يترك أكل الطيبات من اللحم والحلوى زهداً، فقال:

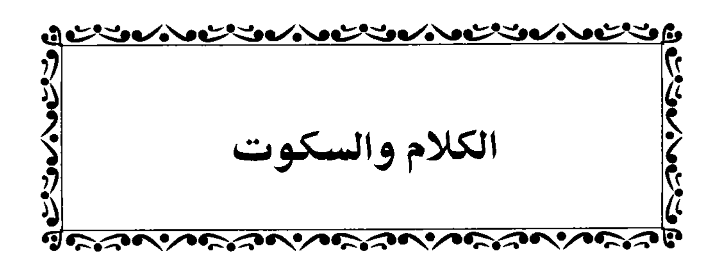
(ما للزهدِ وأكل الطيبات؟ ليتكَ تأكل وتتقي الله، إنَّ الله لا يكره أن تأكل الحلال إذا اتقيت الحرام، انظر كيف برّك بوالديك، وصلتك للرحم، وكيف عطفك على الجار، وكيف رحمتك للمسلمين، وكيف كظمك للغيظ، وكيف عطفك عمن ظلمك، وكيف إحسانك إلى من أساء إليك، وكيف صبرك واحتمالك للأذى. . فأنت إلى إحكام هذا والالتزام به أحوج من ترك الطيبات)[1].

وصدق الله العظيم القائل سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[2].

* * *

(١) الفرائد للسباعي، ص ٨٧.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٣٢.



الكلام والسكوت

* قال لقمان لابنه:

(يا بني، قد ندمتُ على الكلام، ولم أندم على السكوت).

* وقال أبو العتاهية:

كنْ في أمورك ساكناً … فالمرء يدرك في سكونهْ

والصمتُ أجمل بالفتى … من منطقٍ في غير حينهْ

لا خير في حشو الكلا … م إذا اهتديتَ إلى عيونهْ

رُبَّ امرىء متيقنٍ … غلب الشقاءُ على يقينهْ

فأزاله عن رأيهِ … فابتاع دنياه بدينهْ

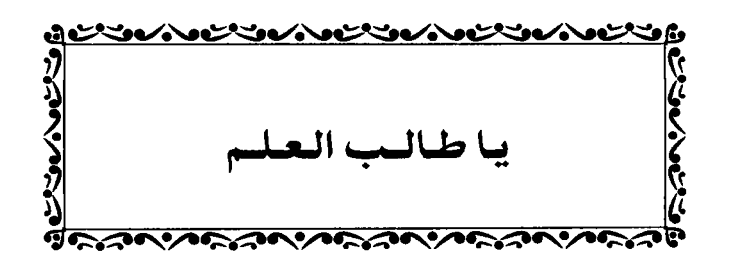
* وقال آخر:

قد أفلح السالمُ الصَّموتُ … كلامُ واعي الكلامِ قوتُ

ما كلُّ نطقٍ له جوابٌ … جوابُ ما يُكره السكوتُ

يا عجباً لامرىء ظلومٍ … مستيقنٍ أنه يموتُ

* * *



يا طالب العلم

* قال أحد الشعراء:

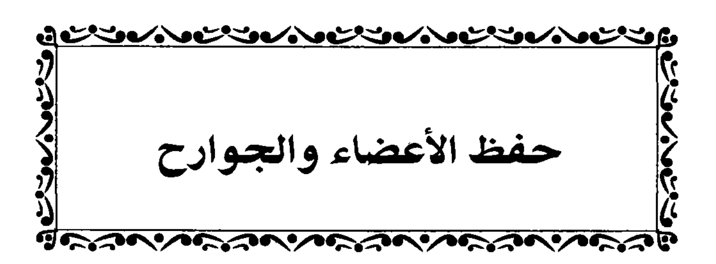
يا طالب العلم ترجو أن تنال به ... عفو الإله، وعفو الله موجودُ
اطلب بعلمك وجه الله خالقنا ... إن الصراط على النيران ممدود
فاحرص هُديتَ على التعليم مجتهداً ... وأنت عند إله العرش محمود

* وقال الإمام الشافعي رحمه الله:

العلمُ مَغْرسُ كلِّ فخرٍ فافتخرْ ... واحذر يفوتك فخر ذاك المغرسِ
واعلم بأنَ العلم ليس ينالُهُ ... مَن همُّه في مطعمٍ أو مَلْبسَ
فاجعل لنفسك منه حظّاً وافراً ... واهجر له طيبَ الرقاد وعَبِّس
فلعلَّ يوماً إنْ حضرتَ بمجلسٍ ... كنتَ الرئيسَ وفخر ذاك المجلسِ[1]

* * *

(١) ديوان الشافعي، ص ٨٨.



حفظ الأعضاء والجوارح

* قال الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله:

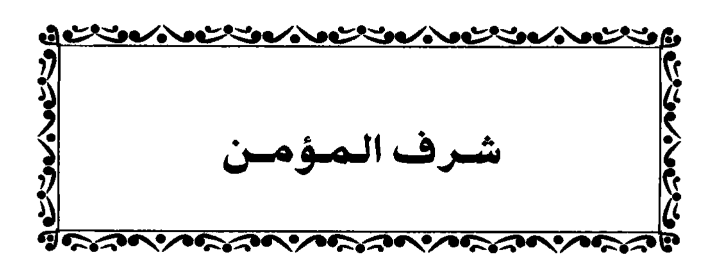
(من حفظ الله في صباه وقوته حفظه الله في حال كبره وضعف قوته، ومتَّعه بسمعه وبصره...).

وكان بعض العلماء وقد جاوز المائة سنة وهو ممتَّعٌ بقوته وعقله. فوثب يوماً وثبة شديدة، فعوتب في ذلك فقال:

(هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر)[1].

* * *

(١) جامع العلوم والحكم، ص ١٦٣، وانظر: تفصيل الموضوع في كتاب (منهج الإسلام في تزكية النفس) للمؤلف، ٢/ ٨٠١.



شرف المؤمن

* عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«أتاني جبريل فقال: يا محمد، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌ به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزَّه استغناؤه عن الناس»(١).

* وقد قال الشاعر:

دعوني أناجي مولىً جليلاً إذا الليل أرخى عليَّ السُدولا

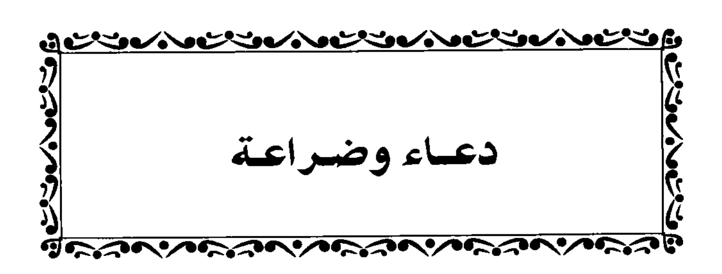
عظيمُ الجلال، كريمُ الفِعال جزيلُ النَّوال تُنيل السَّؤُولا

حبيبُ القلوب، غفور الذنوب تُواري العيوبَ، تُقيل الجهولا(٢)

* * *

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٤/ ٣٦٠، وصححه، ورواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن كما قال الهيثمي. (مجمع الزوائد ١٠/ ٢٢٢).

(٢) بحر الدموع لابن الجوزي، ص ٥٣.



دعاء وضراعة

* قال الشاعر أبو العتاهية[1]:

إلٰهي لا تعذبني فإني — مُقرٌّ بالذي قد كان مني

فما لي حيلةٌ إلاَّ رجائي — لعفوكَ إن عفوتَ وحسن ظني

وكم من زَلَّةٍ لي في الخطايا — وأنت عليَّ ذو فضل ومَنِّ

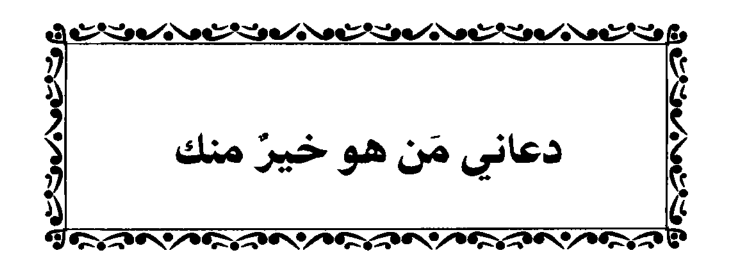
إذا فكرتُ في ندمي عليها — عضضتُ أناملي وقرعتُ سني

يظنُ الناسُ بي خيراً وإني — لَشرُّ الناس إنْ لم تعفُ عني

* * *

---

(١) ديوان أبي العتاهية، ص ٢٢٣.



دعاني مَن هو خيرٌ منك

* روى الدينوري في كتابه (المجالسة) عن سعيد بن أبـي عَروبة قال:

(حجَّ الحَجَّاج، فنزل بعضَ المياه بين مكة والمدينة ودعا بالغداء، فقال لحاجبه: انظر من يتغدَّى معي.. فنظرَ نحو الجبل؛ فإذا هو بأعرابـي فقال له: ائتِ الأمير، فأتاه، فقال له الحجاج: اغسل يديك وتغدَّى معي.

فقال: إنه دعاني من هو خير منك فأجبتُه.

قال: ومن هو؟

قال: الله تبارك وتعالى دعاني إلى الصوم فصمتُ.

قال: في هذا الحر الشديد؟

قال: نعم، صمتُ ليومٍ هو أشدُ حراً من هذا اليوم.

قال: فأفطر وتصوم غداً.

قال: إن ضمنتَ لي البقاء إلى غد.

قال: ليس ذاك إليَّ.

قال: فكيف تسألني عاجلاً بآجل لا تقدر عليه؟

قال: إنه طعام طيب.

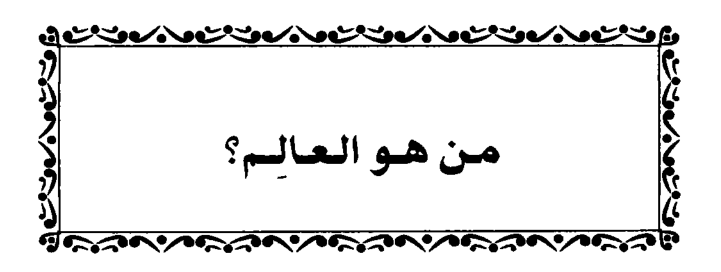
قال: لم تطيِّبه أنت ولا الطباخ، ولكن طيَّبتُه العافية)[1].

فتأمل معي ــ أخي القارىء ــ هذه الجملة الأخيرة، واحمد الله عز وجل على أنْ منحك الصحة والعافية، فإنها كنز ثمين ونعمة عظمى، وما فائدة الموائد العامرة أمام السقيم ينظر إليها فلا يشتهيها، وإذا تذوق شيئاً منها شعر بالمرارة لشدة مرضِهِ وكثرة أوجاعه.

اللّٰهم عرِّفنا النعم بدوامها لا بزوالها يا أرحم الراحمين.

* * *

(١) المجالسة وجواهر العلم ١/ ٤٤٧.



من هو العالِم؟

* أخرج الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه قال:

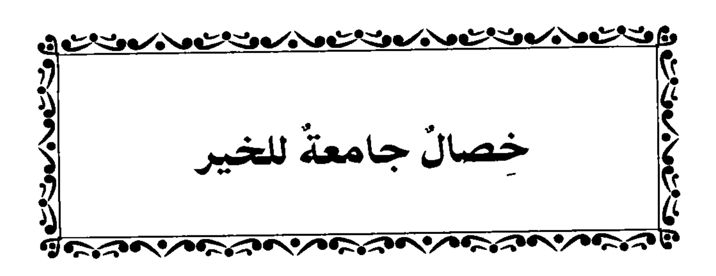
(تعلَّموا العلم تُعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، فإنه سيأتي من بعدكم زمان يُنكر فيه الحق تسعة أعشاره).

* وعن علي رضي الله عنه قال:

(يا حملة العلم اعملوا به، فإنما العالم من عَلم ثم عمل، ووافق علمُه عمَله، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيَّهم، تخالف سريرتُهم علانيتَهم، ويخالف علمُهم عمَلهم، يقعدون حلقاً فيباهي بعضهم بعضاً، حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله عزَّ وجل)[١].

* * *

(١) حياة الصحابة ٣/ ٢٤٣.



خِصالٌ جامعةٌ للخير

* روى الدينوري عن الوليد بن وهب قال:

(سأل الحجاجُ رجلاً من العرب عن عشيرته، فقال:

أيُّ عشيرتك أفضل؟ قال: أتقاهم لله عزَّ وجلّ بالرغبة في الآخرة، والزهد في الدنيا.

قال: فأيهم أَدهى؟ قال: من كتم سرَّه مخافة أن يُشار إليه يوماً.

قال: فأيهم أكْيَس؟ ـ أي أعقل ـ . قال: من يصلح ماله، ويقتصد في معيشته.

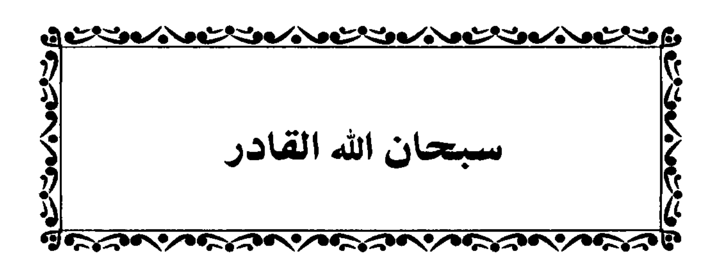
قال: فأيهم أرفق؟ قال: من يعطي بِشرَ وجهه أصدقاءه، ويتعاهد حقوق إخوانه في إجابة دعوتهم، وعيادة مرضاهم، والتسليم عليهم، والمشي مع جنائزهم، والنصح لهم بالغيب.

قال: فأيهم أفطن؟ قال: مَن عرف ما يوافق الرجال من الحديث حين يجالسهم.

قال: **فأيهم أصلب؟** قال: من اشتدت عارضته في اليقين، وجزم في التوكل، ومنع جاره من الضيم)[1].

* * *

(١) المجالسة وجواهر العلم ٥/ ٦٦.

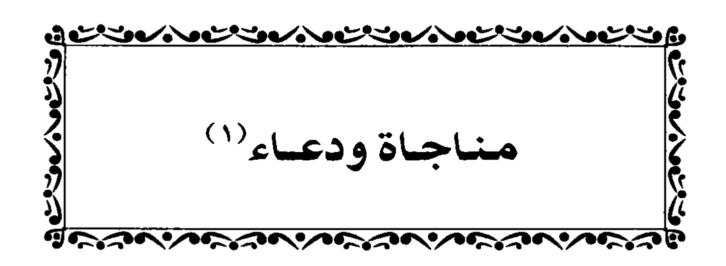


سبحان الله القادر

قـل للطبيـب تخطَّفتـه يـدُ الـردىٰ: مَـــن يـــا طبيـــب بطبِّـــه أرداكـــا؟
قل للمريض نجا وعُوفيَ بعدما عجزت فنون الطب: من عافاكا؟
واسأل بطون النحل كيف تقاطرت شهداً، وقل للشهد: من حلَّاكا؟
وإذا تـرى الثعبـان ينفـث سُمَّـه فاسأله: مَن ذا بالسموم حشاكا؟
واسـألـه كيـف تعيـش يـا ثعبـان أو تحيـا وهــذا السُـم يمـلأ فـاكـا؟
فـــالحمـــد لله العظيـــم لـــذاتـــه حمـــداً وليـــس لـــواحـــدٍ إلَّاكـــا[1]

* * *

(١) لحظات ساكنة، عبد الملك القاسم، ص ٥٤.



مناجاة ودعاء[1]

* قال الشاعر:

وإنـي لأدعـو الله والأمـر ضيـقٌ ... علـيَّ فمـا ينفـكُّ أن يتفـرَّجـا

ورُبَّ فتـىً سُـدَّت عليـه وجـوهُـه ... أصاب لهـا فـي دعـوة الله مخـرجا

* وقال آخر:

أيـا مـن لا يخيـبُ لـديـه راجٍ ... ولـم يَبْـرمـهُ إلحـاح المنـاجـي

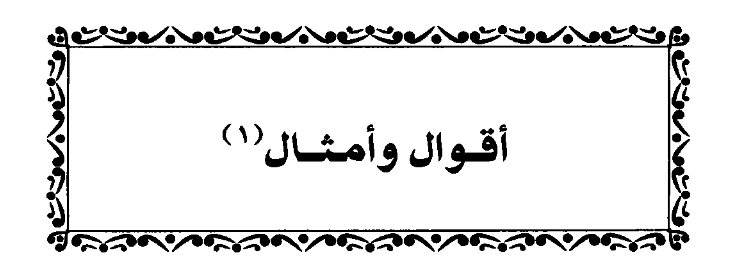
ويـا ثقتـي علـى ظلمـي وجـرمـي ... وإيثـاري التمـاديَ فـي اللجـاج

أقلنـي عثـرتـي وتَـلافَ أمـري ... وهبْ لي منك عفواً واقض حاجي

فمـا لـي غيـر إقـراري بـذنبـي ... لنفسـي دون عـذرٍ واحتجـاج

* * *

(1) بهجة المجالس ٢/ ٢٧٦ .



أقوال وأمثال[1]

دعوة المظلوم:

كنتَ الصحيحَ وكنا منك في سَقَم ... فإن سقمتَ فإنا السالمون غدا
دعتْ عليك أكفٌّ طالما ظلمتْ ... ولن تُردَّ يدٌ مظلومة أبدا

ذل السؤال:

يقول الناس كسبٌ فيه عارٌ ... فقلت: العار في ذلِّ السؤالِ
لنقلُ الصخر من قُلل الجبال ... أخفُّ عليَّ من مِنَن الرجال

زكاة الجاه:

هي أن يعين الضعيف ويشفع له، قال الشاعر:

يا أبا الفضل لك الفضل المبين ... وبما تُكْنى به أنتَ قمينْ
ليس تخلو من زكاةٍ نعمةٌ ... أوجبتْ شكراً لربِّ العالمين
فزكاة المال من أصنافه ... وزكاة الجاه رِفدُ المستعين

صحبة السفينة:

يضرب مثلاً في الصحبة لا صداقة معها، وذلك أن الناس ربما يتصاحبون في السفينة ثم لا يتصادقون بعدها، قال الشاعر:

---

(١) قطوف من كتاب «ثمار القلوب»، للثعالبي، ٢/ ٩٥٣ وما بعدها.

مــن غــاب عنكــم نسيتمــوهُ ... وروحــه عنــدكــمْ رهينــهْ
أَظُنكــمْ فــي الــوفــاء ممــن ... صحبتــه صحبــة السفينــهْ

عــزُّ التقــى :

يقال : إنه لم يُمدح عالم بأحسن من قول ابن الخياط في الإمام مالك رضي الله عنه :

يـأبـى الجـوابَ فمـا يُـراجَـع هيبـةً ... والسـائلـون نـواكِـسُ الأذقـانِ
هـديُ التقـيِّ وظـلُ سلطـان التقـى ... فهـو المهيـبُ وليـس ذا سلطـان

لمعُ السراب :

يضرب مثلاً لما لا حاصل له من الوعد الكاذب غيره .

يفتـحُ بـالـوعـد بـابَ نـائلهـا ... حتـى يَـرى الـوصـل ثـم ينطبـق
وعــدٌ كلمــع الســراب تحسبَـهُ ... منــك قــريبــاً ودونــه شَقَــقُ

ميزان القوم :

كانت العرب تقول: السفر ميزان القوم، كأنه يزنهم بأوزانهم ويفصح عن مقاديرهم في الكرم واللؤم .

ولا تكــن كلئــامٍ أظهــروا ضجــراً ... إن اللئـام إذا مـا ســافـروا ضجـروا

وقاحة العميان :

من أمثال العامة : أوقح من الأعمى ، لأن الحياء في العين ، وليست له عين مبصرة ، وقد قال الشاعر :

كيـف يـرجـو الحيـاءَ منـه صـديـقٌ ... ومكــان الحيــاء منــه خــراب

ظلم الحية :

العرب تقول: ليس شيء أظلم من الحية، لأن الحية لا تتخذ لنفسها بيتاً، وكل بيت قصدت نحوه هرب منه أهله وخلَّوهُ لها، فدخلته واثقة بأن ذلك الساكن بين أمرين: إما أقام فصار طعاماً لها، وإما هرب فصار البيت لها، فأقامت فيه ساعة أو ليلة، قال الشاعر:

فأنتَ كالأفعى التي لا تَحتَفرْ ... ثم تَجي سادرةً فتنجحرْ

دبيب العقرب :

يستعار للنمَّام وما يجري مجراه من الشر، فيقال: دبَّت عقارب فلان، إذا بدت طلائع شره، قال الشاعر:

مَن نمَّ في الناس لم تُؤمَن عقاربه ... على الصديق ولم تُؤمن أفاعيه
كالسيل بالليل لا يَدري به أحدٌ ... من أين جاء ولا من أين يأتيه!

بيت العنكبوت :

يضرب به المثل في الوهن والضعف، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾، قال الشاعر:

إنما الدنيا عناءٌ ... ليس للدنيا ثبوتٌ
إنما الدنيا كبيتٍ ... نسجته العنكبوتُ

دودة القز :

يضرب بها المثل فيمن يضر نفسه وينفع غيره، فيقال: ما فلان إلاَّ دودة القز، وفتيلة المصباح، وعود الدُخنة.

واسطة القلادة:

يضرب بها المثل في تفضيل بعض الشيء على كله، فيقال: واسطة القلادة، ودرة التاج، وإنسان الحدقة، وعين الكتيبة، وأول الجريدة، وبيت القصيدة.

ويقال: الصديق الصدوق واسطة العقد، وأول العقد.

ليل الضرير:

لم يزل الشعراء يصفون الليل بالطول، يزيد بعضهم على بعض في الإبداع والإبلاغ، حتى جاء سيدوك الواسطي فسبق إلى وصفٍ تفرَّد به، وهو قوله:

عهدي بنا ورداءُ الوصل يجمعنا ... والليل أطوله كاللمح بالبصر

فالآن ليليَ مُذ غابوا فديتهمُ ... ليلُ الضرير فصبحي غيرُ منتظَرِ

ليلة منبج:

منبج بالشام كالحزيز بالعراق، في طيب الهواء وعذوبة الماء ورقة النسيم وصحة التربة، وهي بلدة البحتري وأبي فراس الحمداني، وقد ظهرت آثارها عليهما في اعتدال الطبع وعذوبة اللفظ، واختلاط أشعارهما بأجزاء النفس، وقبلهما كانت مسقط رأس عبد الملك بن صالح الهاشمي[1] ووطنه.

---

(١) أحد ولاة الرشيد على المدينة، وولي الشام والجزيرة للأمين، وكان أفصح الناس وأخطبهم (توفي في الرقة سنة ١٩٦هـ).

ولما دخل الرشيد منبج قال لعبد الملك: هذا البلد منزلك؟

قال: يا أمير المؤمنين هو لك ولي بك.

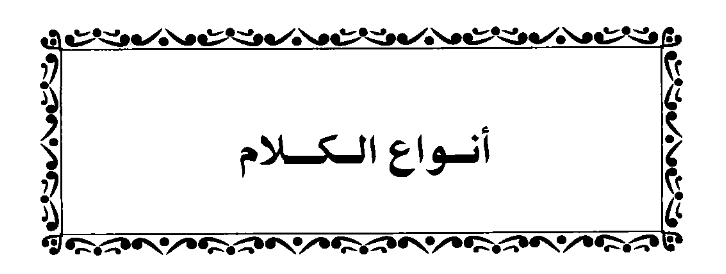
قال: وكيف صفة مدينتك هذه؟

قال: عذبة الماء، طيبة الهواء، قليلة الأدواء.

قال: كيف ليلها؟ قال: سَحَرٌ كله. قال: صدقت، إنها لطيبة.

قال: بك طابت يا أمير المؤمنين.

* * *



أنـواع الـكـلام

* عن أبـي إسحاق الفزاريّ؛ قال:

«كان إبراهيم بن أدهم يطيلُ السكوتَ، فإذا تكلَّم؛ انبسط، فقلتُ له ذاتَ يومٍ: لو تكلَّمتَ!

فقالَ: الكلامُ على أربعةِ وجوهٍ:

فمنه كلام ترجو منفعتَه وتخشى عاقبتَه؛ فالفضلُ فيه السلامةُ.

ومنه كلامُ لا ترجو منفعتَه ولا تخشى عاقبتَه؛ فأقل ما لك في تركِهِ خِفَّةُ المؤنة على بدنِك ولسانِك.

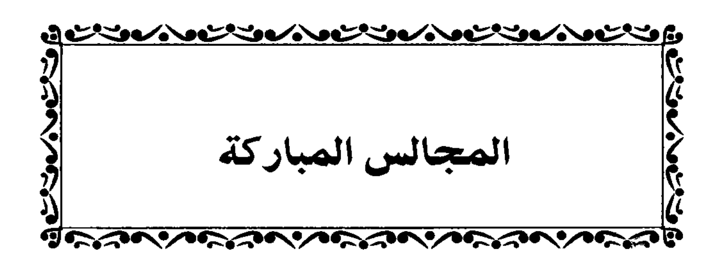
ومنه كلام لا ترجو منفعتَه وتخشى عاقبتَه، وهذا هو الدَّاءُ العُضَالُ.

ومن الكلام كلامٌ ترجو منفعتَه وتأمنُ عاقبتَه؛ فهذا الذي يجبُ عليك نَشْرُه.

فإذا هو قد أسقطَ ثلاثةَ أرباع الكلام»[1].

* * *

(١) المجالسة وجواهر العلم ٦/ ٥٦.



المجالس المباركة

* عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذِّكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادَوا: هلموا إلى حاجتكم. قالَ: فيحفُّونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قالَ: فيسألهم ربُّهم، وهو أعلم منهم:

ما يقول عبادي؟ قالَ: تقول: يُسبِّحونك ويُكبِّرونك ويَحمدونك ويُمجِّدونك.

فيقول: هل رأَوني؟ فيقولون: لاَ واللّٰهِ ما رأَوك، فيقول: وكيف لو رأَوني؟ يقولون: لو رأَوك كانوا أشدَّ لك عبادة، وأشدَّ لك تمجيداً وأكثر لك تسبيحاً.

يقول: فما يسألونني؟ قالوا: يسألونك الجنَّة، يقول: وهل رأَوها؟ يقولون: لاَ واللّٰهِ يا رب ما رأوها، يقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة.

قال: فمم يتعوَّذون؟ يقولون: من النار، يقول: وهل رأوها؟ يقولون: لاَ واللّٰهِ يا رب ما رأوها، يقول: فكيف لو رأوها؟ يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً، وأشد لها مخافة.

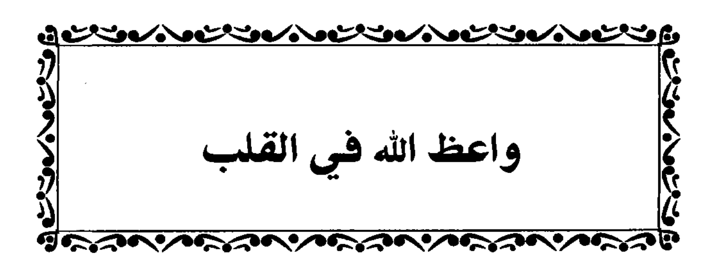
فيقول: فأُشهِدُكم أني قد غفرت لهم.

يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة.

قالَ: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسُهم»[1].

* * *

(١) رواه البخاري، رقم ٦٠٤٥، ومسلم، رقم ٢٦٨٩.



واعظ الله في القلب

* عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبـي ﷺ قال:

«ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جَنَبَتي الصراط سوران، فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مُرْخاة، وعلى الصراط داعٍ يدعو يقول: يا أيها الناس! اسلكوا الصراط جميعاً ولا تعْوَجّوا.

وداعٍ يدعو على الصراط، فإذا أراد أحدكم فتح شيء من تلك الأبواب قال: ويلك! لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه.

فالصراط: الإسلام

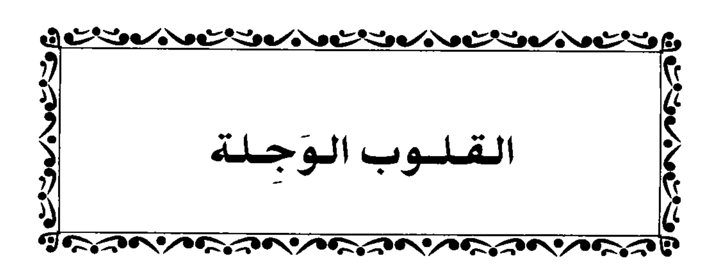
والستور: حدود الله

والأبواب المفتحة: محارم الله

والداعي من فوق: واعظ الله يذكّر في قلب كلِّ مسلم»[1].

* * *

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٤/ ١٨٢، والحاكم ١/ ٧٣ وصححه، ووافقه الذهبي.



القلوب الوَجِلة

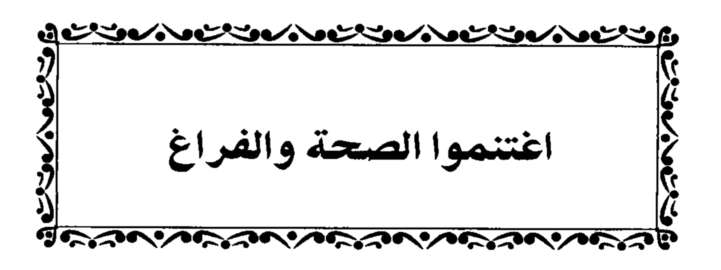
قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾[1].

وقد روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية، فقلت: أهم الذين يشربون الخمر ويزنون ويسرقون؟ فقال: **«لا، يا ابنة الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلُّون ويتصدقون، ويخافون أن لا يُتقبل منهم، أولئك يسارعون في الخيرات»**[2].

* * *

(١) سورة المؤمنون: الآيات ٥٧ ــ ٦١.

(٢) رواه الترمذي، رقم ٣١٧٥، والحاكم ٢/٣٩٣ وصححه، والإمام أحمد في المسند ٦/١٥٩.



اغتنموا الصحة والفراغ

* قال عبد الواحد بن صفوان: كنا مع الحسن في جنازة، فقال:

(رحم الله امرءاً عمل لمثل هذا اليوم؛ إنكم اليوم تقدرون على ما لا يقدر عليه إخوانكم هؤلاء من أهل القبور، فاغتنموا الصحة والفراغ قبل يوم الفزع والحساب)[١].

* وقال عمر بن ذر: كتب سعيد بن جبير إلى أبي رسالة يقول فيها: (اعلم أن كل يوم يعيش فيه المؤمن فهو غنيمة)[٢].

* وقال الإمام ابن القيم:

(الوقت أعز شيء على المؤمن، يغار عليه أن ينقضي، فإذا فاته الوقت لا يمكنه استدراكه ألبتة، لأن الوقت الثاني استحق واجبه الخاص)[٣].

* وقال يحيى بن هُبيرة:

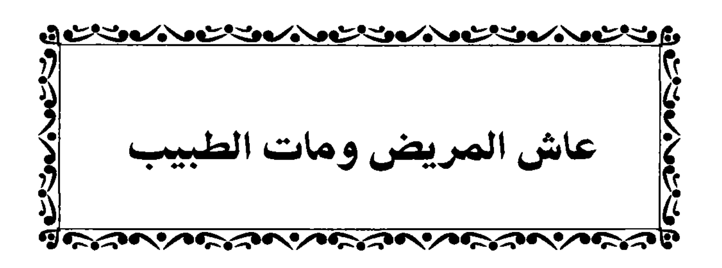
والوقتُ أنفسُ ما عُنيتَ بحفظه ... وأراه أسهلَ ما عليك يضيعُ

* * *

(١) الزهد لابن أبي الدنيا، ص ٤٦.

(٢) المجالسة ٦/ ٣٦.

(٣) مدارج السالكين ٣/ ٤٩.



عاش المريض ومات الطبيب

* قال الشاعر:

نعى لك ظلَّ الشباب المشيبُ ... ونادتْكَ باسم سواك الخطوبُ

فكن مستعدّاً لداعي المنونِ ... فكلُّ الذي هو آتٍ قريبُ

وقبلك داوى المريضَ الطبيبُ ... فعاش المريضُ ومات الطبيبُ

يخاف على نفسه من يتوب ... فكيف بحالةِ مَن لا يتوب؟[1]

* وقال الإمام محمد بن أسلم الطوسي:

إنَّ الطبيب بطبِّه ودوائه ... لا يستطيع دفاع مقدور أتى

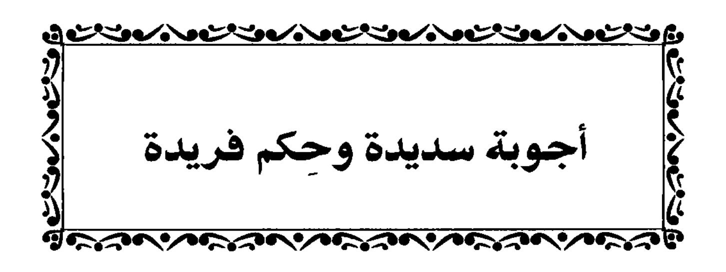
ما للطبيب يموت بالداء الذي ... قد كان يُبري مثله فيما مضى

هلك المُداوِي والمداوَى والذي ... جَلَب الدواء وباعه ومن اشترى[2]

* * *

(١) المجالسة وجواهر العلم ٣/ ٣٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٠٤.



أجوبة سديدة وحِكم فريدة

* روى الدارمي عن الضحاك بن موسى، قال:

مَرَّ سليمان بن عبد الملك بالمدينة، وهو يريد مكة فأقام بها أياماً، فقال: هل بالمدينة أحد أدرك أحداً من أصحاب النبي ﷺ؟ فقالوا له: أبو حازم، فأرسل إليه.

فلما دخل عليه قال له: يا أبا حازم، ما هذا الجفاء؟ قال أبو حازم: يا أمير المؤمنين وأي جفاء رأيت مني؟

قال: أتاني وجوه أهل المدينة ولم تأتني؟ قال: يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن تقول ما لم يكن، ما عرفتني قبل هذا اليوم، ولا أنا رأيتك. قال: فالتفت سليمان إلى محمد بن شهاب الزهري فقال: أصاب الشيخ وأخطأت.

قال سليمان: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟ قال: لأنكم أخربتم الآخرة وعمَّرتم الدنيا، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب.

قال: أصبت يا أبا حازم، فكيف القدوم غداً على الله؟

قال: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق(١) يقدم على مولاه.

---

(١) أي: الهارب.

فبكى سليمان وقال: ليت شعري ما لنا عند الله؟

قال: اعرض عملك على كتاب الله. قال: وأي مكان أجده؟ قال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾[1].

قال سليمان: فأين رحمة الله يا أبا حازم؟ قال أبو حازم: رحمة الله قريب من المحسنين.

قال له سليمان: يا أبا حازم، فأي عباد الله أكرم؟ قال: أولو المروءة والنُّهى.

قال له سليمان: فأي الأعمال أفضل؟ قال أبو حازم: أداء الفرائض مع اجتناب المحارم.

قال سليمان: فأي الدعاء أسمع؟ قال أبو حازم: دعاء المحسَن إليه للمحسِن.

قال: فأي الصدقة أفضل؟ قال: للسائل البائس وجهد المقل ليس فيها مَنّ ولا أذى.

قال: فأي القول أعدل؟ قال: قول الحق عند من تخافه أو ترجوه.

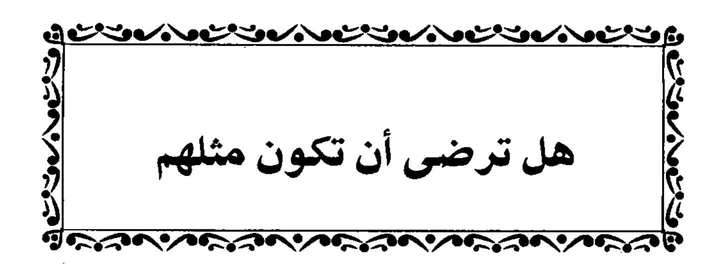
قال: فأي المؤمنين أكيس؟ قال: رجل عمل بطاعة الله ودلَّ الناس عليها.

قال: فأي المؤمنين أحمق؟ قال: رجل انحطّ في هوى أخيه، وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره[2].

* * *

(١) سورة الانفطار: الآيتان ١٣، ١٤.

(٢) سنن الدارمي، رقم ٦٤٧.



هل ترضى أن تكون مثلهم

يودُّ الكافر أن يشاركه الآخرون في كفره ليكونوا مثله وليتقوَّى بهم، وتراه يبذل من أجل ذلك الجهد والمال ليحظى بمطلوبه.

وقد أخبر المولى سبحانه بذلك فقال عز وجل: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾[1].

وكذلك أهل المعاصي والفجور يودُّون مشاركة الآخرين لهم في ضلالهم لصدِّهم عن طاعة ربهم، ولا يكتفون بالشح والبخل وإنما يأمرون غيرهم به: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾[2].

ولهذا تراهم يتصيدون أخطاء الناس، ويحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، وينشرون العيوب المستورة، ولا شيء أحبَّ إليهم من تضخيم الأخطاء وتشويه سمعة الآخرين.

روى الدينوري عن ابن الأعرابي أنه قال: (عائبٌ يعيبُ الناس بفضلِ عيبه، ويبغضهم بحَسَب بغضه، ويرفع عوراتهم ليكونوا شركاءه في عورته، لا شيءَ أحبَّ إلى الفاسق من زَلَّةِ عالمٍ، ولا إلى الخامل من عثرة

(١) سورة النساء: الآية ٨٩.

(٢) سورة الحديد: الآية ٢٤.

الشريف)، ثم أنشد قائلاً:

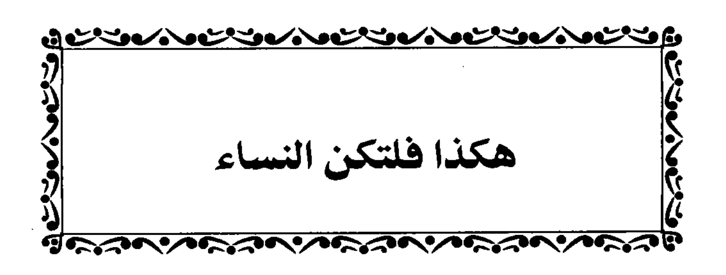
إنْ يعلموا الخير يُخفوه، وإن علموا   شرّاً أُذِيع، وإنْ لم يعلموا كذبوا[1]

فهل يرضى العاقل لنفسه أن ينساق وراء هؤلاء الفاسدين المفسدين ليكون مثلهم؟ وهل ترخُص عليه نفسه ليرمي بها في نار جهنم؟

اللّٰهم أَرِنا الحقَّ حقاً وارزقنا اتباعه، وأَرِنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، يا أرحم الراحمين.

* * *

(١) المجالسة ٥/ ٣٨٩.



هكذا فلتكن النساء

* روى الدينوري في كتابه (المجالسة وجواهر العلم) عن الحسن البصري أنه قال:

(وقفتُ على بزازٍ ـ أي: بائع الثياب ـ بمكة أشتري منه ثوباً، فجعل يمدح ويحلف فتركتُه، وقلت: لا ينبغي الشراء من مثله، واشتريت من غيره، ثم حججتُ بعد ذلك بسنتين، فوقفتُ عليه، فلم أسمعه يمدح ولا يحلف، فقلت له: وأي شيء أخرجك إلى ما أرى؟ ما أراك تمدح ولا تحلف!

فقال: كانت لي امرأة إن جئتها بقليلٍ نَزَرته، وإن جئتُها بكثير قلَّلتهُ، فنظر الله إليَّ فأماتها، فتزوجت امرأة بعدها، فإذا أردتُ الغُدوَّ إلى السوق أخذتْ بمجامع ثيابي، ثم قالت: يا فلان! اتق الله ولا تُطعمنا إلاَّ طيباً، وإنْ جئتنا بقليلٍ كثَّرناه، وإن لم تأتنا بشيء أعنَّاك بمغزلنا)[1].

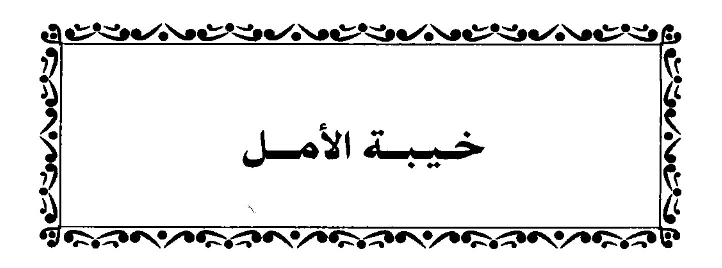
فانظر كيف كانت المرأة الأولى سبباً في إيقاع الزوج في المعصية والحلف الكاذب لينفق سلعته وهي مع هذا لا ترضى ولا تقنع، وأما الثانية فقد كانت عوناً لزوجها على طاعة الله، وصدقِ التعامل مع الناس،

(١) المجالسة ٥/ ٢٥١.

والقناعة بالقليل رجاء البركة فيه، وهكذا فلتكن النساء، فالحلال مع البركة ولو كان قليلاً خيرٌ من أموال الحرام مهما تكدست، وكلُّ لحمٍ نبتَ من سُحت فالنارُ أولى به.

قليـــلُ المـــال تصلحـــهُ فيبقـــى ولا يبقـــى الكثيـــر مـــع الفســـاد

* * *



خيبـة الأمـل

ما أصعب أن يأمل الإنسان شيئاً ثم يفقد الأمل، وأن يترقب وعداً من غيره ثم لا يجد غير الجحود والنكران، وقد تحدث الشعراء عن ذلك فقال ابن قتيبة رحمه الله واصفاً أحد البارعين في إخلاف الوعود:

لسانُك أحلى من جَنى النحل موعداً ... وكفُك بالمعروف أضيق من قُفل

تُمنِّي الذي يأتيك حتى إذا انتهى ... إلـى أمـدٍ نـاولتَـه طـرف الحبـل

وقال عبد الصمد بن الفضل الرقاشي لخالدٍ عامل الرَّي:

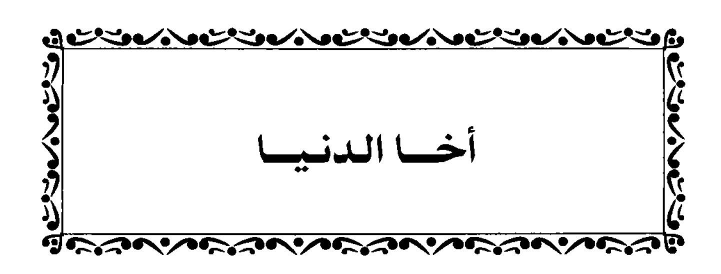
أخـالـدُ إنَّ الـرَّيَّ قـد أجحفـت بنـا ... وضـاقَ علينـا رحبُهـا ومعـاشُهـا

وقـد أطمعتنـا منـك يـومـاً سحـابـةٌ ... أضـاء لهـا بـرق وكَـفَّ رشـاشهـا

فلا غيمها يصحو فيُؤيِّسُ طامعاً ... ولا ماؤها يأتي فترُوىٰ عطاشها[1]

❋ ❋ ❋

(١) المجالسة ٥/ ٩٤.



أخـا الدنيـا

❊ قال الشاعر أحمد شوقي :

أخـا الـدنيـا، أرى دنيـاك أفعـى ... تبـدِّل كـل آونـةٍ إهـابـا

ومِـن عَجَـبٍ تُشيِّـب عـاشقيهـا ... وتُفنيهـم، ومـا بـرحـت كِعـابـا

ومَـن يغتـرُّ بـالـدنيـا فـإنـي ... لبسـتُ بهـا فـأبليـتُ الثيـابـا

جنيـتُ بـروضهـا ورداً وشـوكـاً ... وذُقـتُ بكـأسهـا شهـداً وصـابـا

فلـم أرَ غيـر حكـم اللّـٰـهِ حكمـاً ... ولـم أرَ دون بـاب الله بـابـا

ولا عظَّمـتُ فـي الأشيـاء إلَّا ... صحيـحَ العلـم، والأدبَ اللُّبـابـا

❊ ❊ ❊



برقيات عاجلة

* قال الأصمعي: أسمعَ رجلٌ الشعبيَّ كلاماً، فقال له الشعبي: (إن كنتَ صادقاً فغفر الله لي، وإن كنتَ كاذباً فغفر الله لك)[1].

* وقال محمد بن عقبة: (أرسل مروان بن الحكم إلى أبي هريرة رضي الله عنه أن يكتب في داره شيئاً يتبرك به، فلما دخل الدار قال: يا غلام اكتب: تبنون ما لا تسكنون، وتجمعون ما لا تأكلون، وتأملون ما لا تبلغون)[2].

* وقال سفيان الثوري: (سئل لقمان الحكيم: أيُّ عملك أوثق في نفسك؟ قال: تَركي ما لا يعنيني).

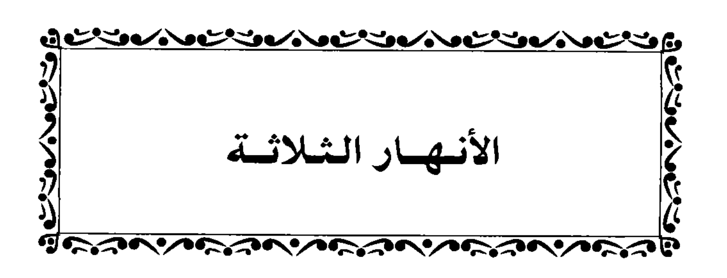
* وقال محمد بن عمران: (ما شيء أشد من حمل المروءة، قيل: وأيُّ شيء هي المروءة؟ قال: لا تعمل شيئاً في السر تستحي منه في العلانية)[3].

* * *

(١) المجالسة ٣/ ١٦٤.

(٢) المرجع السابق ٣/ ١٧١.

(٣) المرجع نفسه ٣/ ١٨٤.



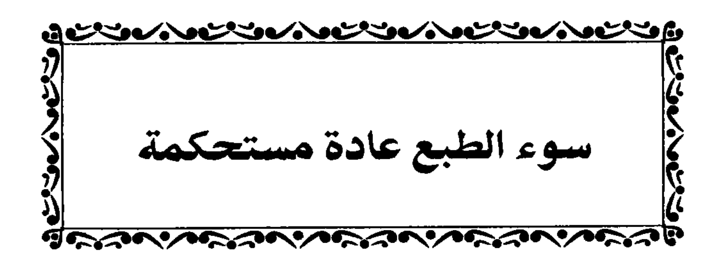
الأنهار الثلاثة

❊ قال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه (مدارج السالكين):

(لأهل الذنوب ثلاثة أنهار عظام يتطهرون بها في الدنيا، فإن لم تفِ بطهرهم طُهِّروا في نهر الجحيم يوم القيامة، والأنهار الثلاثة هي: نهر التوبة النصوح، ونهر الحسنات المستغرقة للأوزار المحيطة بها، ونهر المصائب العظيمة المكفِّرة، فإذا أراد الله بعبده خيراً أدخله أحد هذه الأنهار الثلاثة، فورد يوم القيامة طيباً طاهراً، فلم يحتج إلى التطهير الرابع)[١].

❊ ❊ ❊

(١) مدارج السالكين ١/ ٣١٢.



سوء الطبع عادة مستحكمة

يصل الفساد ببعض الناس أحياناً إلى درجةٍ يتأصل معها سوء الطبع والإِجرام، فلا تؤثر فيه موعظة، ولا يُحركه أو يهز قلبه القاسي ترغيب أو ترهيب، وينطبق على هؤلاء قصة الراعي الذي أشفق على جرو ذئبٍ صغير وربَّاه مع أغنامه يُرضعه من ألبانها، حتى إذا شبَّ وقويَ بقَرَ شاةً وأكلها، فقال الراعي هذه الأبيات:

بقـرتَ شُـويهتـي وفجعـتَ قلبـي ... وأنـتَ لشـاتنـا ولـدٌ ربيـبُ

غُـذيـتَ بِـدَرِّهـا ورُبيـتَ فينـا ... فمـن أنبـاك أنَّ أبـاك ذيـبُ

إذا كـان الطبـاع طبـاعَ سـوءٍ ... فـلا أدبٌ يفيـدُ ولا أديـبُ

* * *



قم لصلاة الفجر

قطوف من قصيدة للشاعر: عمر بهاء الدين الأميري[1] رحمه الله:

نـــافـــذةٌ كـــالخيـــط مفتـــوحـــةٌ ... بيـن جفـونـي فـي المـدى مـرسلـةْ

ونجمـــــةٍ يخطفنـــــي ومضهـــــا ... مـــن عـــالمـي إلـــى دُنـــىً مُغفلـةْ

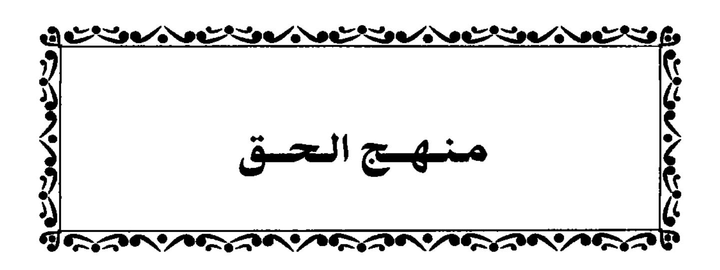
حتـــى إذا الفجـــر بـــدا نـــورُه ... وغـــابـــت النجمـــة، لا عـــن قِلَـــةْ

أيقظنـــي البلبـــلُ مـــن سهـــوتـــي ... وصـــاح بـــي ديـــكٌ ــ ومـــا أعقلـــهْ:

قـــم لصـــلاة الفجـــر واغنـــم بهـــا ... سكينـــةَ النفـــس وحُســـن الصِّلـــةْ

* * *

(١) ديوان «قلب ورب»، ص ٥٤.



منهج الحق

* روى الإمام الشاطبي عن الفقيه القاضي أبي بكر القرشي أنه قال:

إذا ما تبدَّى منهج الحق واضحاً ... تعامى أُناسٌ في الضلال وزاغوا

جَلتْ لهم الدنيا محاسنها التي ... يُزَخرَف منها زُورها ويُصاغُ

فهم نحوها مثلُ الفَراش تساقطتْ ... على النار ما غَيْر المماتِ بلاغُ

وليس صِبا الإنسان عذرٌ فكيف إذ ... مضى منه شرخٌ واستحال صِباغُ

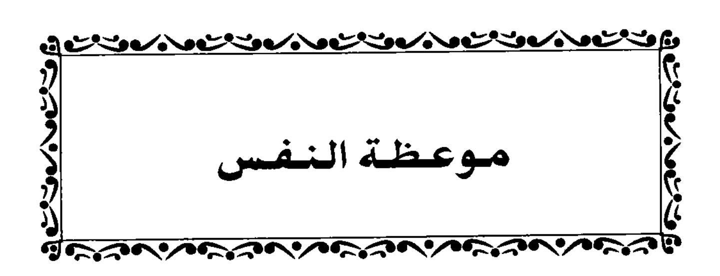
إلى الله أشكو أمر نفسي فإنها ... عن الرُّشد فيها حَيرةٌ ومَراغُ

ويا أسفا للنِعمتين أُضِيعتا ... فهل عائدٌ لي صحةٌ وفراغ؟

عسى الله ربي أن يمُنَّ برحمةٍ ... يكون بها في الصالحين مَسَاغُ[1]

* * *

(١) الإفادات والإنشادات، للإمام الشاطبي، ص ١٠٩، تحقيق الدكتور محمد أبو الأجفان.



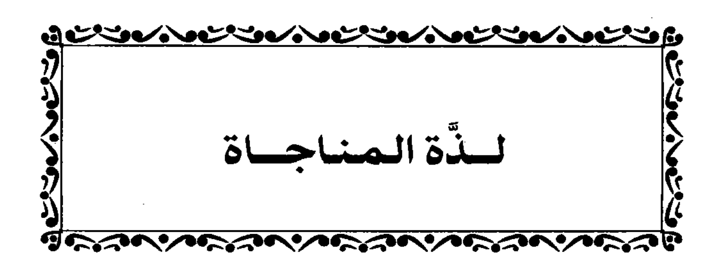
موعظة النفس

* قال الشاعر أبو البركات ابن الحاج:

ألا ليت شعري هل لما أنا أرتجي ... مـن الله فـي يـومِ الجـزاء بـلاغُ
وكيـف لمثلـي أن ينـال وسيلـةً ... لهـا عـن سبيـل الصـالحين مـراغُ
وكم رمتُ دهري فتح باب عبادةٍ ... يكـون بهـا فـي الفـائـزيـن مسـاغ
فكدتُّ ولم أفعل، وكيف وليس لي ... معينـان حقّـاً صحـةٌ وفـراغ
فيا رب بردَ العفو هَبْ لي إذا غلا ... مـن الحرِّ في يـوم الحسـاب دمـاغُ
وعظتكِ لـو أنـي أثبتُّ وفـي الـذي ... وُعظـتِ بـه لـو تـرعـويـن بـلاغُ[1]

* * *

(١) الإفادات والإنشادات، للإمام الشاطبي، ص ١٣٧.



لــذَّة المنـاجــاة

* قال مالك بن دينار رحمه الله:

(خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيء فيها، قالوا: وما هو يا أبا يحيـى؟ فقال: معرفة الله)[1].

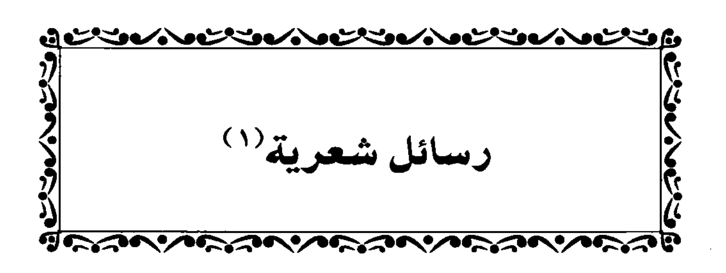
* وقال الإمام ابن الجوزي رحمه الله:

(من رُزق قلباً طيباً، ولذة مناجاة، فليراعِ حاله، وليحترز من التغيير، وإنما تدوم له حاله بدوام التقوى)[2].

* * *

(١) المجالسة ٥/ ٧٧.

(٢) صيد الخاطر، ص ٣٥٣.



رسائل شعرية[1]

* قال الشاعر محمد بن محمد اليزيدي مخاطباً أحد أصحابه الذين هجروه عند مرضه:

مـا لـي مـرضـتُ فلـم تَعُـدْ ... ورغبـتُ فيـك فلـم تَجُـدْ
الحـبُّ يُـذهبـه الأذى ... فـاحـذر عليـه ولا تَعـدْ

* وقال ابن الرومي في بيان فضيلة الموت:

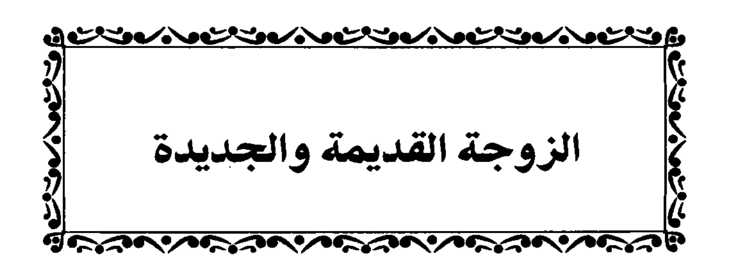
قد قلتُ إذ مدحوا الحياة فأكثروا ... للمـوتِ ألـف فضيلـةٍ لا تُعـرف
فيهـا أمـانُ لقـائِـه بلقـائـهِ ... وفـراقُ كـلِّ معـاشـرٍ لا ينصـفُ

* وقـال أحـد الشعـراء مخـاطبـاً نفسـه، ومحـذراً لهـا من الغـرور القاتل:

قـالـت النفـس: قـد علمـتَ كثيـراً ... قلـتُ: هـذا الكثيـر نـزرٌ يسيـرُ
تمـلأ الكـوزَ غَـرفـةٌ مـن محيـطٍ ... فيظـنُّ أنـه المحيـط الكبيـرُ

* * *

(١) ديوان المعاني، لأبـي هلال العسكري ٢/ ١٧١.



الزوجة القديمة والجديدة

من بدائع شعر الشيخ مصطفى الزرقا يرحمه الله قصيدة له بعنوان (لن ينسى ولن يَسْلو) يرجع تاريخها إلى عام (١٩٤٥م)، ومناسبتها أن زوجته الأولى توفيت فألحَّ عليه بعض أهله وأصحابه بتعجيل الزواج بعد أن مضى عام على وفاتها، ولا بد من رعاية الأطفال الثلاثة، فجاشت في نفسه قصيدة بديعة نقتطف منها هذه الأبيات:

وقالوا: تزوَّجْ تَسْلُها بعد حقبةٍ ... وهل شيمةُ الحر السلُوُّ فأسلوَا

نَعمنا بلُقيا بين روحين أُشربا ... بحبٍ، وما منا فؤادٌ قد ارتوى

أراحت عليَّ العطفَ واللطف فارتقى ... نعيم حياتينا لأرفع مستوى

لئن ألجأتني سنَّةُ الله بعدها ... لأرفع من بنيان بيتيَ ما انهوى

فلستُ بآسٍ جرحَ قلبي من الأسى ... ولستُ بناسٍ والذي فلق النوى

سأعرفُ حقّاً للجديدة كاملاً ... ومَنْ حفظَ العهد القديم فما غوى

مصابكِ يا وطفاءُ[1] أوهى عزائمي ... وفتَّ بأعضادي، ونَهْنَه بالقُوى

وصغَّر شأناً للحياة بناظري ... وحقَّر من معنى النعيم وما حوى

ولولا صغارٌ كالنوافج[2] برُّهم ... هواكِ لما كانت حياتي لي هوى

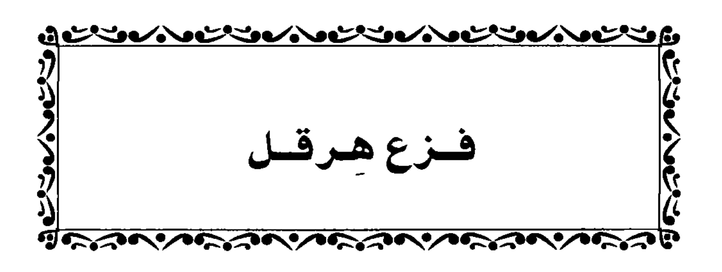
ختمتُ على قلبي بودّك والوفا ... لعهدك يا وطفا، وللمرءِ ما نوى[3]

---

(١) وطفا: اسم زوجته الأولى.

(٢) النوافج: جمع نافجة، وهي وعاء المسك في جسم الظبي.

(٣) ديوان: قوس قزح، ص ٩٧.



فـزع هِـرقـل

* روى الإمام الدينوري عن أبي إسحاق أنه قال:

«كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يثبتُ لهم العدو فواقاً عند اللقاء، فقال هِرَقْل وهو على أنطاكية لما قدمت مُنْهَزِمَةُ الرُّوم؛ قال لهم:

أخبروني ويلكم عن هؤلاء القوم الذين يُقاتلونكم؛ أليسوا هم بشراً مثلكم؟! قالوا: بلى.

قال: فأنتم أكثر أم هم؟

قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطنٍ.

قال: فما بالكم تنهزمون كلما لقيتموهم؟

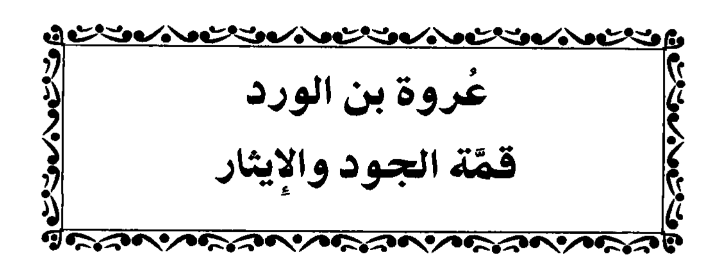
فقال شيخٌ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل، ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر، ونزني، ونركب الحرام، وننقض العهد، ونغصب، ونظلم، ونأمر بما يسخط الله، وننهى عمّا يرضي الله عز وجل، ونفسد في الأرض.

قال: أنت صدقتني»[1].

* * *

---

(١) المجالسة ٤/ ٩٢.



عُروة بن الورد
قمّة الجود والإيثار

* قال عبد الملك بن مروان: ما يسرُّني أنَّ أحداً من الأعراب ولدي إلَّا عروة بن الورد، لقوله:

إنـي امـرؤٌ عـافـي إنـائـيَ شِـركـةٌ   وأنـت امـرؤٌ عـافـي إنـائـك واحـدُ
أقسِّـم جسمـي فـي جسـوم كثيـرةٍ   وأحسـو قـراحَ المـاءِ، والمـاءُ بـاردُ

ومعنى هذين البيتين أنه يقسِّم قوته على أضيافه، فكأنه قسَّم جسمه، لأن اللحم الذي يُنبته ذلك الطعام صيَّره لغيره، ويشرب ماء القراح في الشتاء «أي: الذي لا يخالطه لبن» لكي يُؤْثر ضيفه على نفسه باللبن الدافىء مع قلَّته في ذلك الوقت.

* وله أشعار أخرى مماثلة، منها قوله لزوجته:

إذا مـا عملـتِ الـزاد فـالتمسـي لـه   أكيـلاً فـإنـي غيـرُ آكِلـه وحـدي
وكيـف يسيـغُ المـرءُ زاداً وجـارُه   خفيف المعي بادي الخَصاصةِ والجهدِ
وإنـي لعبـد الضيـف مـا دامَ نـازلاً   وما مِن خلالي غيرَها شيمةُ العبد

أي: أن نفسه تأبى الذل والعبودية للبشر، ومع ذلك فهو لشدةِ خدمته للضيف كأنه عبدٌ له، وهذا غايةٌ في تكريم الضيف والحفاوة به والتواضع له.

وقد اعتاد العرب قبل الإسلام على إكرام الضيف، فلما جاء الإسلام جعل تلك العادة عبادة ينال بها المرء أجراً إذا جعلها خالصة لله عز وجل وامتثالاً لهديه وأمره سبحانه.

* * *



غـرور الدنيـا

* قال الشاعر:

لئن عوفيتُ من شهوات نفسي ... لقد عوفيتُ من شرٍّ طويلِ
ألا يا عاشق الدنيا أطعني ... كأنك قد دُعيتَ إلى الرحيل
وللدنيا دوائر دائراتٍ ... لتذهبَ بالعزيز وبالذليل
يدور على القرون بها رحاها ... لتطحنَهُنَّ جيلاً بعد جيلِ
دع الدنيا وكلَّ أخٍ عليها ... يسومُك ودُّه سومَ البخيل
وما لك غيرَ تقوى اللّٰهِ مالٌ ... وغيرَ فعالك الحسنِ الجميلِ
وقارُ الحلم يقرعُ كل جهلٍ ... وعزم الصبر ينهض بالثقيلِ(1)

* وقال محمد بن الحسين الترجماني:

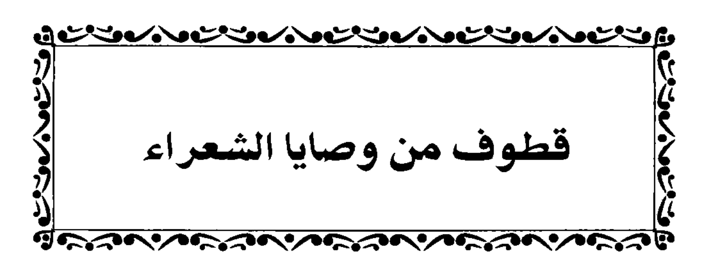
إياك أعني يا ابن آدم فاستمع ... ودَعِ الركون إلى حياتك تنتفع
لو كان عمرك ألف حولٍ كاملٍ ... لم تذهب الأيام حتى تنقطع
إن المنيَّة لا تزال مُلحةً ... حتى تشتِّت كل أمرٍ مجتمع
شُغِلَ الخلائق بالحياة وأغفلوا ... زمناً حوادثُهُ عليهم تقترع
لعبت بنا الدنيا وكيف تَغرُّنا ... أم كيف تخدع من تشاء فينخدع
والمرءُ يوطِنُها ويعلمُ أنه ... عنها إلى وطنٍ سواها منقلع(2)

* * *

---

(1) المجالسة وجواهر العلم ٥/ ١٢١.

(2) المرجع السابق ٦/ ٢٠.



قطوف من وصايا الشعراء

* قال الشاعر:

أقبِلْ على صلواتك الخمسِ ... كم مصبحٍ وعساهُ لا يُمسي

واستقبِل اليومَ الجديد بتوبةٍ ... تمحو ذنوبَ صحيفةِ الأمسِ

فلَيَفعلنَّ بوجهك الغضِّ البِلى ... فعلَ الظلام بصورة الشمسِ[1]

* وقال آخر:

مَن كان يعلم أن الموت مُدْركُه ... والقبر مسكنُه والبعثُ مخرَجُه

وأنَّه بين جناتٍ ستُبهِجُهُ ... يومَ القيامة، أو نارٍ ستُنضجهُ

فكلُّ شيءٍ سوى التقوى به سَمِجٌ ... وما أقام عليه منهُ أسمَجُهُ

ترى الذي اتخذ الدنيا له وطناً ... لم يَدرِ أنَّ المنايا سوف تُزعجه[2]

* وقال عبد الله بن المعتز:

نسيرُ إلى الآجال في كل ساعةٍ ... وأيامُنا تُطوى وهنَّ مَراحلُ

ولم نرَ مثل الموتِ حقّاً كأنهُ ... إذا ما تخطَّتهُ الأمانيُّ باطلُ

وما أقبح التفريطَ في زَمَن الصِّبا ... فكيف به والشيبُ في الرأس نازلُ

تَرحَّلْ عن الدنيا بزادٍ من التقى ... فعُمركَ أيامٌ تُعَدُّ قلائلُ[3]

* * *

---

(١) أدب الدنيا والدين، للماوردي، ص ٩٧.

(٢) المرجع السابق، ص ١٢٦.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٢٩.



المروءة

* سئل الحسن بن علي رضي الله عنهما: ما المروءة يا أبا محمد؟ قال:

(فقه الرجل في دينه، وإصلاح معيشته، وحسن مُخالقته)[1].

* وسئل بعض الحكماء عن المروءة، فقال:

(إنصاف من هو دونك، والسموُّ إلى من هو فوقك، والجزاء بما أوتي إليك من خير)[2].

* وقال سالم بن قُتيبة:

(ما أعان على نظم مروءاتِ الرجال كالنساء الصوالح)[3].

* وسئل الأحنف عن المروءة، فقال:

(الفقه في الدين، والصبر على النوائب، والحلم عند الغضب، والعفو عند المقدرة، وبر الوالدين)[4].

---

(١) المجالسة وجواهر العلم ٤/ ٤٨٣.

(٢) المجالسة ٤/ ٤٨٤.

(٣) المرجع السابق ٤/ ٤٩٥.

(٤) المرجع السابق ٤/ ٤٩٥.

❊ وقال محمد بن عمران:

(ما شيءٌ أشدُّ من حمل المروءة، قيل: وأيُّ شيء هي المروءة؟ قال: لا تعمل شيئاً في السرِّ تستحي منه في العلانية)[1].

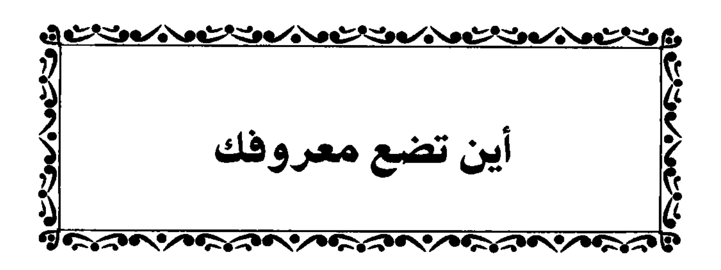
❊ وقال محمد بن النضر الحارثي:

(أول المروءة: طلاقة الوجه، والثاني: التودد إلى الناس، والثالث: قضاء الحوائج، ومن فاتَه حَسَب نفسه لم ينفعه حَسَب أبيه)[2].

❊ ❊ ❊

(١) المرجع السابق ٨/ ٣٦.

(٢) نفسه ٨/ ٣٧.



أين تضع معروفك

* قال بعض الحكماء:

(لا تضع معروفك عند فاحشٍ ولا أحمق ولا لئيم، فإن الفاحش يرى ذلك ضعفاً، والأحمق لا يعرف قدر ما أتيتَ إليه، واللئيم سبخة[1] لا ينبتُ ولا يُثمر، ولكن إذا أصبتَ المؤمن فازرعه معروفك تحصد به شكراً)[2].

* وقال آخر:

(إن من سعادة المرء أن يضع معروفه عند من يشكره)[3].

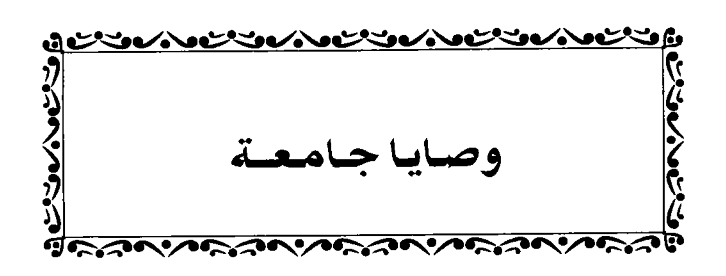
* * *

---

(١) السبخة: هي الأرض المالحة التي لا تُنبت.

(٢) المجالسة وجواهر العلم ٦/ ٤٠٠.

(٣) المرجع نفسه ٦/ ٤٠٠.



وصايا جامعة

* روى الإمام الدينوري[1] عن محمد بن الحسين أن بعض الزهَّاد كتب وصية لرجل يقول فيها:

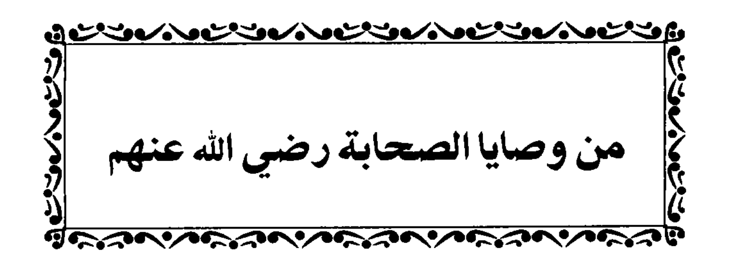
(اعلم أن من أبصر عيب نفسه شُغل عن عيب غيره، ومن تعرَّى عن لباس التقوى لم يستتر بشيء من اللباس، ومن رضي بما قَسَم الله له لم يحزن على ما في أيدي الناس، ومن هتك جِلبابَ غيره انكشفت عورات بيته، ومن نسيَ زلَلَهُ استعظم زلل غيره، ومن سلَّ سيف البغي قُتل به، ومن كابدَ الأمور عطِب، ومن اقتحم اللَّجج غرِق، ومن أُعجب برأيه ضلَّ، ومن استغنى بعلمه زلَّ).

* وعن الفضيل بن عياض قال: قال بعض الحكماء:

(شرُّ الزاد إلى المعاد الذنبُ بعد الذنب، وشرٌّ من هذا العدوان على العباد).

* * *

(١) المرجع السابق ٦/ ٤٠٣.



من وصايا الصحابة رضي الله عنهم

* كتب سليمان الفارسي إلى أبـي الدرداء رضي الله عنهما رسالة يقول فيها:

(أما بعد، فإنك لا تنال ما تريد إلاَّ بترك ما تشتهي، ولن تبلغ ما تأمل إلاَّ بالصبر على ما تكره، فليكن قولك ذكراً، وصمتك فِكراً، ونظرك عِبرةً، واعلم أن أعجز الناس من أَتْبَع نفسَه هواها، وتمنى على الله، وأن أكيسهم ـ أي: أعقلهم ـ من أتعب نفسه وعمل لما بعد الموت)[1].

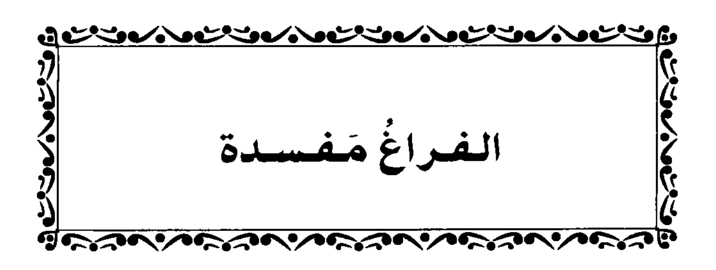
* وقال أبو الدرداء رضي الله عنه في خطبة خطبها بدمشق:

(ما لي أراكم تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تسكنون، وتأمُلون ما لا تدركون؟ إنَّ من كان قبلكم جمعوا كثيراً، وبنوا شديداً، وأمَّلوا بعيداً، فأصبح جمعُهم بُوراً، ومنازلهم قبوراً، وأملهم غروراً)[2].

* * *

(١) بهجة المجالس، لابن عبد البر، ٢/ ٣٢٢.

(٢) المرجع نفسه ٢/ ٣٢٨.



الفراغُ مَفسدة

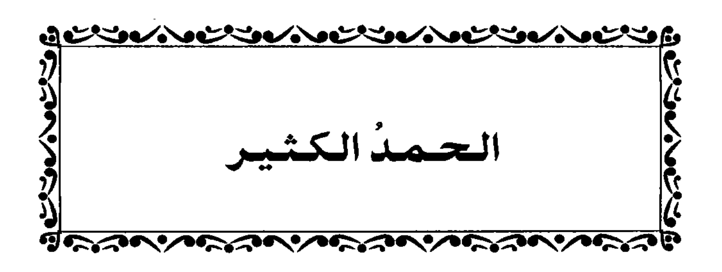
* قال الإمام الماوردي رحمه الله تعالى:

(ينبغي ألا تضيع صحة جسمك وفراغ وقتك بالتقصير في طاعة ربك، والثقة بسالف عملك، فاجعل الاجتهاد غنيمة صحتك، والعمل فرصة فراغك، فليس كل الزمان مستعداً، ولا ما فات مستدرَكاً، وللفراغ زيغ أو ندم، وقد قال بعض الحكماء: (إن لم يكن الشغل مَجهدة فالفراغ مفسدة).

وقال آخر: (لا تمض يومك في غير منفعة، ولا تُضع مالك في غير صنيعة، فالعمر أقصر من أن ينفد في غير المنافع، والمال أقل من أن يُصرف في غير الصنائع، والعاقل أجلُّ من أن يُفني أيامه فيما لا يعود عليه نفعه وخيره، ويُنفق أمواله فيما لا يحصل له ثوابه وأجره)[1].

* * *

(١) أدب الدنيا والدين، ص ١٠٦.



الحمدُ الكثير

* روى مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً جاء فدخل الصف وقد حَفَزه النَّفَس فقال:

(«**الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه**»، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال: «أيكم المتكلم بالكلمات؟» فأرمَّ القوم ـ أي سكتوا ـ فقال: «أيكم المتكلم بها؟ فإنه لم يقل بأساً».

فقال رجل: جئتُ وقد حفزني النفس فقلتُها.

فقال ﷺ: «**لقد رأيتُ اثني عشر مَلَكاً يبتدرونها، أيُّهم يرفعها**»)[1].

* وروى أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنه قال: بينما نحن نصلي مع رسول الله ﷺ إذ قال رجل من القوم: **الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلاً**.

فقال رسول الله ﷺ: «**مَن القائل كلمة كذا وكذا**»؟

قال رجل من القوم: أنا يا رسول الله.

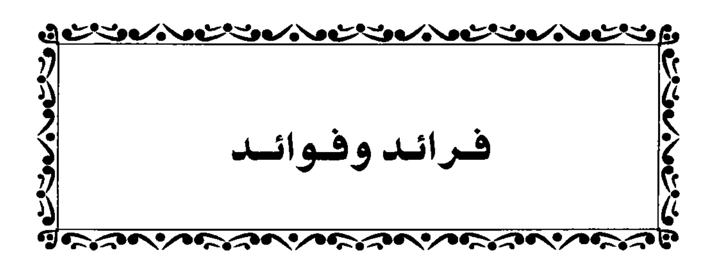
قال: «**عجبتُ لها، فُتحت لها أبواب السماء**».

قال ابن عمر: فما تركتُهنَّ منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك)[2].

* * *

(١) رواه مسلم، رقم ٦٠٠.

(٢) رواه مسلم، رقم ٦٠١.



فرائد وفوائد

خصَالٌ تجمع العلم:

* قال الليث بن سعد رحمه الله:

كتب رجل إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن اكتب إليَّ بالعلم كله، فكتب إليه: (إنَّ العلم كثير، ولكن إن استطعت أن تلقى الله خفيف الظهر من دماء الناس، خميصَ البطن من أموالهم، كافَّ اللسان عن أعراضهم، لازماً لأمر جماعتهم، فافعل)(١).

السُّمعة الطيِّبة:

* قال الأصمعي:

لما حضر جدي الوفاة جمع أبناءه فقال لهم:

(يا بَنيَّ، عاشروا الناس معاشرةً إن غبتُم حنُّوا إليكم، وإن مُتُّم بكوا عليكم)(٢).

الفقر والغنى:

* قال رجل لإبراهيم بن الأدهم: يا أبا إسحاق، إني أحب أن تقبل مني هذه الجُبَّة كسوة فتلبسها.

---

(١) نزهة الفضلاء ١/ ٢٥٨.

(٢) المجالسة ٢/ ١٦٨.

فقال إبراهيم: إن كنتَ غنياً قبلتُها منك، وإن كنتَ فقيراً لم أقبلها منك.

قال: فإني غني.

قال: كم عندك؟

قال: ألفان.

قال: أيسُرُّك أن يكون عندك أربعة آلاف؟

قال: نعم.

قال: فأنت فقيرٌ، لا أقبلها[1].

الدنيا ساعة:

* قال سفيان الثوري رحمه الله:

(إنما سميت الدنيا دنيا لأنها دَنَت، وإنما سمي المال لأنه يميل)[2].

* وقال الحسن البصري رحمه الله:

(يا ابن آدم، إنما أنت عَددُ أيام، إذا مضى منك يومٌ مضى بعضك)[3].

* وعن مالك بن دينار أنه قال:

أتيتُ القبور فناديتُها: أين المعظَّم والمحتقر؟

---

(١) المجالسة ٢/ ٣٩٨.

(٢) المجالسة ١/ ٣٧٦.

(٣) المرجع السابق ٢/ ٤٠١.

وأيـــن المُـــدِلُّ بسلطـــانـــه وأيـــن المـــزكَّـــى إذا مـــا افتخـــر

تفـــانَـــوا جميعـــاً فمـــا مُخبِـــرٌ ومـــاتـــوا جميعـــاً ومـــات الخبـــر

فيـــا ســـائلـــي عـــن أُنـــاسٍ مضَـــوْا أمـــا لـــك فيمـــا تـــرى مُعتَبـــر؟[1]

أربع وأربع:

* قال أبو بكر بن عياش:

(قال بعض الحكماء: من أُعطي أربعاً لم يُمنع أربعاً: من أُعطي الشكر لم يُمنع المزيد، ومن أُعطي التوبة لم يُمنع القبول، ومن أعطي الاستخارة لم يُمنع الخيرة، ومن أعطي المشورة لم يُمنع الصواب)[2].

أفلا يتدبرون القرآن:

* عن نُعيم بن حماد أنه قال: قال رجل لعبد الله بن المبارك: قرأت البارحة القرآنَ في ركعة.

فقال ابن المبارك: لكني أعرف رجلاً لم يزل البارحة يقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ إلى الصبح، ما قدر أن يجاوزها)[3].

دع للصلح موضعاً:

* شتم رجلٌ عمرَ بن ذر، فقال:

(يا هذا، لا تُغرق في شتمنا، ودَعْ للصلح موضعاً، فإني أمتُّ

---

(١) المرجع نفسه ٢/ ٤٠٩.

(٢) المجالسة ٢/ ٤١٣.

(٣) المجالسة ٤/ ٦٧.

مشاتمة الرجال صغيراً، ولم أحبُّها كبيراً، وإني لا أكافىء من عصى الله فيَّ بأكثر من أنْ أطيع الله فيه)[1].

موعظة شاعر:

* قال الشاعر:

وإنَّ امرءاً قد سار سبعين حجَّةً ... إلى منهلٍ مِن وردِه لقريبُ
إذا ما خلوتَ الدهرَ يوماً فلا تقُلْ ... خلوتُ ولكن قُلْ عليَّ رقيبُ
إذا ما انقضى القرن الذي أنتَ منهمُ ... وخُلِّفتَ في قرنٍ فأنت غريبُ[2]

لا تصلح الفِعال إلاَّ بالمال:

باع قيس بن سعد رضي الله عنه فربح تسعين ألفاً، فأمر من نادى في المدينة: من أراد القرض فليأتِ، فأقرض أربعين ألفاً، وكتبَ على مَن أقرضه كتاباً. فمرض مرضاً فلم يَعدْه إلاَّ القليل، فقال لزوجته: لمَ قَلَّ عوَّادي؟ قالت: للدَّيْن. فأرسل إلى كل رجل بصِكِّه، وقال: اللّٰهم ارزقني مالاً وفعلاً، فإنه لا تصلح الفِعال إلاَّ بالمال[3].

الطمع يضرُّ ولا ينفع:

ذكر الإمام الذهبي في (سير أعلام النبلاء) أن رجلاً ضاعت منه مائة دينار فنادى: مَنْ وجدها فلهُ عشرون ديناراً، فأقبل الذي وجدها، فقال:

---

(١) المرجع السابق ٤/٤٠٨.
(٢) المرجع السابق ٤/١٠٥.
(٣) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء ١/ ٢٣٣.

هذا مالك، فأعطني الذي جعلتَ لي، فقال: كان مالي عشرين ومائة دينار.

فاختصما إلى الصحابي الجليل فَضَالة بن عُبيد، فقال لصاحب المال: أليس كان مالك مائةً وعشرين ديناراً كما تذكر؟

قال: بلى.

فقال للآخر: أنت وجدت مائة؟

قال: نعم؟

قال: فاحبسها ولا تعطه، فليس هو بماله حتى يجيء صاحبه[1].

ذكاء سليمان عليه السلام:

جاء رجل إلى النبي سليمان عليه السلام فقال: يا نبي الله إن لي جيراناً يسرقون أوزِّي، فنادى: الصلاة جامعة، ثم خطبهم فقال في خطبته: (وأحدكم يسرق أوزَّة جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه)، فمسح رجلٌ رأسه، فقال سليمان: خذوه فإنه صاحبكم[2].

جواب مُحكم:

قال سفيان بن عُيينة: دخل هشام بن عبد الملك الكعبة، فإذا بسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له: يا سالم سلني حاجة.

---

(١) المرجع السابق ١/ ٢٣٤.

(٢) المجالسة ٧/ ٢٠٤.

فقال: إني أستحيي من الله تبارك وتعالى أن أسأل في بيت الله غير الله، فلما خرج خرجَ في إثره، فقال له: الآن قد خرجتَ، فسلني حاجة؟

فقال له سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟

فقال: من حوائج الدنيا.

فقال له سالم: أمَا والله ما سألتُ الدنيا من يملكها؛ فكيف أسأل الدنيا من لا يملكها؟!(1).

لمن هذا الدرهم؟

رأى الأحنف بن قيس في يد رجلٍ درهماً فقال: لمن هذا الدرهم؟ فقال الرجل: لي.

فقال الأحنف: إنما هو لك إذا أنفقته في أجرٍ أو ابتغاء شكر، ثم أنشد متمثلاً قول الشاعر:

أنتَ للمال إذا أمسكتَه ... فإذا أنفقته فالمال لك(2)

ميزان المتواضعين:

* قال بكر بن عبد الله المزني:

(إذا رأيتَ أكبر منك فقل: سبقني بالإسلام والعمل الصالح، فهو خير مني، وإذا رأيت أصغر منك فقل: سبقتُه بالذنوب والمعاصي، فهو خير مني، وإذا رأيت إخوانك يكرمونك، فقل: نعمة أُحْدِثُ ثوابها، وإذا

---

(1) المرجع السابق ١/ ٣٨٤.

(2) تفسير ابن كثير ٤/ ٥٨٢.

رأيت منهم تقصيراً فقل: بذنبٍ أحدثتُه)[1].

كلمةٌ في غير موضعها:

* قال الفضيل بن عياض رحمه الله:

«رُبما قال الرجل: (لا إلـه إلاَّ الله) فأخشى عليه النار.

قيل: وكيف ذاك؟

قال: يغتاب بين يديه رجلٌ، فيعجبه، فيقول: لا إلـه إلاَّ الله، وليس هذا موضعها، إنما هذا موضع أن ينصح له في نفسه، ويقول له: اتق الله»[2].

حسرةُ المريض:

لا يدرك الإنسان قيمة الصحة إلاَّ عند المرض، فإذا اشتد به الألم وأحاطت به أمراض الشيخوخة ولم يستطع أن يحني ظهره للركوع أو السجود تمنى أن يكون ممن اغتنم شبابه وصحته في الإكثار من الصلوات.

يقول يوسف بن أسباط رحمه الله:

(بادروا يا معشر الشباب بالصحة قبل المرض، فما بقيَ أحدٌ أحسده إلاَّ رجل أراه يتمُّ ركوعه وسجوده، وقد حيلَ بيني وبين ذلك)[3].

---

(١) المجالسة ٥/ ٢٧٢.

(٢) المرجع السابق ٣/ ٥٥.

(٣) المجالسة ٢/ ٢٠٨.

موعظةٌ موجزة:

* عن عبد الله بن كثير قال: قيل لعمر بن عبد العزيز: ما كان بدء إنابتك؟ قال: أردت ضرب غلام لي، فقال لي: يا عمر! اذكر ليلةً صبيحتها يوم القيامة[1].

* وقال عمر بن عبد العزيز: ما وعظني أحدٌ أحسن مما وعظني طاوس، كتب إليَّ: (استعن بأهل الخير يكن عملك خيراً كلُّه، ولا تستعن بأهل الشر فيكن عملك شرّاً كلُّه)[2].

دعاء أعرابـي عند الملتزم:

* قال الأصمعي: رأيت أعرابيّاً عند الملتزم في الحرم، فقال:

(اللّٰهم عليَّ حقوق فتصدَّق بها عليَّ، وللناس عليَّ تبعاتٌ فتحمَّلها عني، وقد أوجبتَ لكل ضيفٍ قِرىً، وأنا ضيفك، فاجعل قِرايَ الليلةَ الجنة)[3].

* وقال أيضاً: سمعت أعرابيّاً عند الملتزم يقول: (اللّٰهم أعنّي على الموت وكُربته، وعلى القبر وغَمَّته، وعلى الميزان وخفَّته، وعلى الصراط وزلَّته، وعلى يوم القيامة وروعتِه)[4].

---

(١) المرجع السابق ٢/ ٢٦٨.

(٢) المرجع نفسه ٢/ ٣٠٧.

(٣) المجالسة ٨/ ٦٩.

(٤) المرجع نفسه ٨/ ١٢٧.

علامات التوبة النصوح:

* قال عبد الله بن بكر السهمي رحمه الله:

(علامة التوبة: الخروج من الجهل، والندم على الذنب، والتجافي عن الشهوات، وإخراج المَظلمة، وترك الكذب، وقطع الغيبة، والانتهاء عن خِدن السوء، والاشتغال بما عليك، والاستعداد لما تنقلب إليه، والبكاء على ما سلف من عمرك، وترك ما لا يعنيك، والخوف من ساعةٍ تأتيك رُسل ربك لقبض روحك، والتفجع والحزن ليلة تبيت في قبرك وحدك بين أطباق الثرى إلى يوم المعاد)[1].

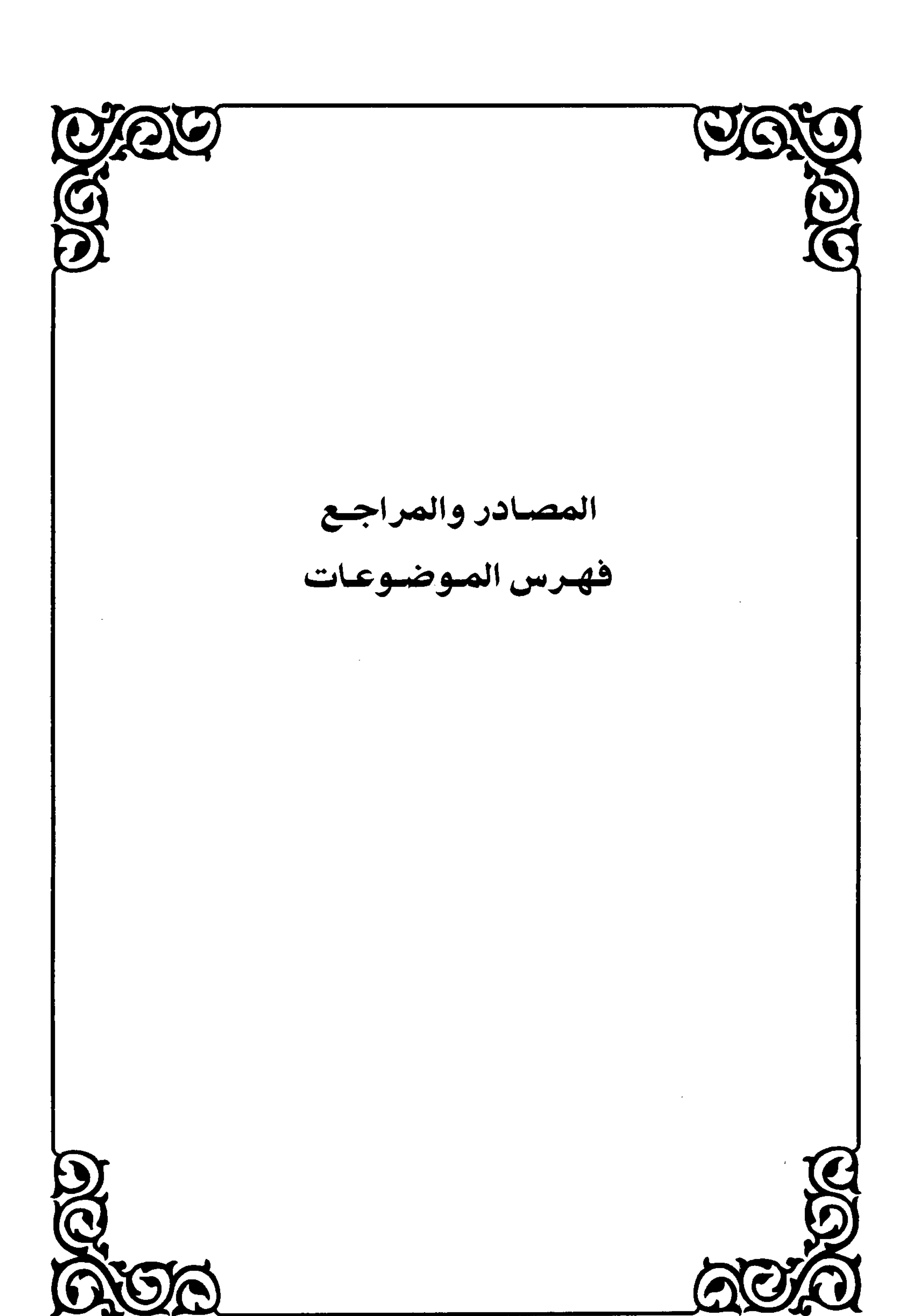
* * *

اللَّـٰهمَّ ألهمنا رشدنا، وأعِذْنا من شرور نفوسنا، اللَّـٰهمَّ إنا نستغفرك من كلِ ما زلَّتَ به القدم، أو طغى به القلم، ونسألك الجنة وما قرَّب إليها من قولٍ أو عملٍ، برحمتك يا أرحم الراحمين.

* * *

---

(١) المرجع نفسه ٨/ ٧٩.



المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

أبرز المصادر والمراجع

١ ــ الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام: للإمام شهاب الدين القرافي، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدَّة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، الطبعة الثانية.

٢ ــ إحياء علوم الدين: للإمام أبـي حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٣ ــ أدب الدُّنيا والدين: للإمام أبـي الحسين علي بن محمد الماوردي، تحقيق مصطفى السقا، دار الفكر، بيروت.

٤ ــ أرض المعجزات: للدكتورة عائشة بنت الشاطىء، دار الكتاب العربـي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

٥ ــ الإصابة في تمييز الصحابة: للإمام ابن حجر العسقلاني، تحقيق الشيخ عادل عبد الموجود، والشيخ عليّ معوَّض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٦ ــ إعجاز القرآن: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربـي، لبنان.

٧ ــ إعلام الموقعين: للإمام ابن قيم الجوزية، تعليق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربـي، بيروت، ١٤١٦هـ.

٨ ــ إغاثة اللَّهفان من مصايد الشيطان: للإمام ابن قيم الجوزيَّة، دار الفكر ــ بيروت.

٩ ــ الإفادات والإنشادات: للإمام أبـي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبـي، تحقيق الدكتور محمد أبو الأجفان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

١٠ ــ اقتضاء العلم العمل: للإمام أبـي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٠٤هـ.

١١ ــ بحر الدموع: للإمام أبـي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، تحقيق إبراهيم باجس عبد المجيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ.

١٢ ــ البداية والنهاية: للإمام عماد الدين إسماعيل بن كثير، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.

١٣ ــ بهجة المجالس وأُنس المُجالس: للإمام ابن عبد البر القرطبـي، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٤ ــ تاريخ عمر بن الخطاب: للإمام عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، مكتبة الإحسان بدمشق.

١٥ ــ تاريخ ابن الوردي: للإمام زين الدين عمر بن مظفر (ابن الوردي)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

١٦ ــ تفسير القرآن العظيم: للإمام عماد الدين إسماعيل بن كثير، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٢هـ.

١٧ ــ تلبيس إبليس: للإمام ابن الجوزي، دار الفكر، بيروت.

١٨ ــ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: لأبـي منصور الثعالبـي، تحقيق إبراهيم الصالح، دار البشائر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

١٩ ــ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: للإمام الخطيب البغدادي، تحقيق الدكتور محمود طحان، مكتبة المعارف بالرياض، ١٤٠٣هـ.

٢٠ ــ جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ: للإمام ابن الأثير الجزري، حقَّقه وخرَّج أحاديثه الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٢١ ـ جامع بيان العلم وفضله: للإمام يوسف بن عبد البر القرطبي، المكتبة العلمية بالمدينة المنوَّرة.

٢٢ ـ جامع العلوم والحكم: للإمام ابن رجب الحنبلي، دار الفكر، بيروت.

٢٣ ـ الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي: للإمام ابن قيم الجوزية، دار الندوة الجديدة، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٢٤ ـ حكم وأخلاق عربية: محمد المكي بن الحسين، جمعه وحققه علي الرضا الحسيني، الدار الحسينية للكتاب، ١٤١٧هـ.

٢٥ ـ حياة الصحابة: للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي، تحقيق الشيخ نايف العباس ومحمد علي دولة، دار القلم بدمشق، الطبعة السادسة، ١٤١٤هـ.

٢٦ ـ خطب الشيخ القرضاوي: للشيخ الدكتور يوسف القرضاوي، إعداد الشيخ خالد السعد، مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

٢٧ ـ ديوان الإمام الشافعي: تحقيق الدكتور مجاهد بهجت، دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٨ ـ ديوان سبحات ونفحات: للشاعر عمر بهاء الدين الأميري.

٢٩ ـ ديوان الشوقيات: للشاعر أحمد شوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية عشر، ١٤١٣هـ.

٣٠ ـ ديوان في رحاب الأقصى: للشاعر يوسف العظم.

٣١ ـ ديوان قلب ورب: للشاعر عمر بهاء الدين الأميري.

٣٢ ـ ديوان قوس قزح: للشيخ مصطفى الزرقا، الناشر: عبد المقصود خوجه.

٣٣ ـ ديوان مجد الإسلام: للشاعر أحمد محرَّم، مكتبة الفلاح بالكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.

٣٤ ـ ديوان المعاني: لأبي هلال العسكري، عالم الكتب.

٣٥ ـ الروح: للإمام ابن قيم الجوزية، دار العلوم الحديثة، بيروت.

٣٦ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد: للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة عشر، ١٤٠٧هـ.

٣٧ ـ الزهد: للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.

٣٨ ـ زوائد السنن على الصحيحين: جمع وترتيب صالح أحمد الشامي، دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٣٩ ـ سنن الترمذي (الجامع الصحيح): للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٤٠ ـ سنن أبي داود: للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ.

٤١ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة: للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف بالرياض، طبعة ١٤١٥هـ.

٤٢ ـ سنن ابن ماجه: للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

٤٣ ـ سنن النسائي: للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، بشرح الإمام جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٤ ـ سير أعلام النبلاء: للإمام شمس الدين الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٤١٤هـ.

٤٥ ـ السيرة النبوية: للإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الثانية.

٤٦ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب: للإمام ابن العماد الحنبلي، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٤٧ ـ شرح ديوان المتنبي: عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٤٨ ـ شرح القصيدة الميمية لابن القيم: شرح سعد المزعل، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٤٩ ـ صحيح البخاري: ترقيم الدكتور مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ.

٥٠ ـ صحيح مسلم: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

٥١ ـ صحيح مسلم بشرح النووي: للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

٥٢ ـ الصداقة والصديق: لأبي حيان التوحيدي، تحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني، دار الفكر بدمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

٥٣ ـ صفة الصفوة: للإمام ابن الجوزي، دار الفكر، بيروت.

٥٤ ـ صيد الخاطر: للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق د. عبد الغفار البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٥٥ ـ الطبقات الكبرى: لابن سعد، دار صادر، بيروت.

٥٦ ـ عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين: للإمام ابن قيم الجوزية، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٥٧ ـ عيون الأخبار: للإمام ابن قتيبة الدينوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٨ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري: للإمام ابن حجر العسقلاني، دار الريان بالقاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ.

٥٩ ـ الفقيه والمتفقه: للإمام الخطيب البغدادي، تصحيح وتعليق الشيخ إسماعيل الأنصاري، دار إحياء السنَّة النبوية، ١٣٩٥هـ.

٦٠ ــ الفوائد: للإمام ابن قيم الجوزية، مكتبة الرياض الحديثة.

٦١ ــ فيض القدير شرح الجامع الصغير: للإمام عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر، لبنان، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ.

٦٢ ــ القلائد من فرائد الفوائد: للدكتور مصطفى السباعي، دار الوراق، ١٤٢٠هـ.

٦٣ ــ لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف: للإمام ابن رجب الحنبلي، دار الجيل، بيروت.

٦٤ ــ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: للإمام ضياء الدين بن الأثير، تحقيق الدكتور أحمد الحوفي والدكتور بدوي طبانة، دار الرفاعي بالرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.

٦٥ ــ المجالسة وجواهر العلم: للإمام أبـي بكر أحمد بن مروان الدّينوري، خرج أحاديثه وعلق عليه مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية بالبحرين ودار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٦٦ ــ مجموع الفتاوى: للإمام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن العاصمي النجدي، إصدار الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين، ١٤٠٤هـ.

٦٧ ــ محاسبة النفس: لابن أبـي الدنيا، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة.

٦٨ ــ المحاسن والأضداد: لأبـي عثمان الجاحظ، قدم له وحققه الشيخ محمد سويد، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٦٩ ــ مختصر الفتح المواهبـي في مناقب الإمام الشاطبـي: للإمام شهاب الدين القسطلاني، اختصار وتحقيق محمد حسن عقيل موسى، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٧٠ ــ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربـي، بيروت.

٧١ ــ المستدرك على الصحيحين: للإمام عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري الحاكم، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٢ ــ مسند الإمام أحمد: وبهامشه منتخب كنز العمال، المكتب الإسلامي، بيروت.

٧٣ ــ مفتاح دار السعادة: للإمام ابن قيم الجوزية، دار الفكر، بيروت.

٧٤ ــ مناقب الإمام الشافعي: للإمام ابن الأثير الجزري، تحقيق الدكتور خليل ملاً خاطر، دار القبلة بجدة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٧٥ ــ مقدمات الشيخ علي الطنطاوي: جمع وترتيب الشيخ مجد أحمد مكي، دار المنارة بجدة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

٧٦ ــ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: للإمام أبـي الفرج ابن الجوزي، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.

٧٧ ــ منهج الإسلام في تزكية النفس: للدكتور أنس أحمد كرزون، دار نور المكتبات بجدة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

٧٨ ــ مواعظ الصحابة: للشيخ صالح الشامي.

٧٩ ــ نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء: للدكتور محمد حسن عقيل موسى، دار الأندلس بجدة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.

٨٠ ــ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: للإمام أبـي العباس شمس الدين ابن خلكان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

٨١ ــ وميض من الحرم: للشيخ سعود الشريم، دار الوطن بالرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.



الفهـرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
العمل بالقرآن	١١٦
مخالفة الهوى	١١٧
رأس الطائر وجناحاه	١١٨
احرص على ما ينفعك	١١٩
آثار السجود	١٢٠
التمس لأخيك عذرًا	١٢٢
الشفقة في النصيحة	١٢٣
الفرق بين النصيحة والتأنيب	١٢٥
أغلى هدية	١٢٧
الخوف والرجاء	١٢٩
حصنوا بيوتكم بتلاوة القرآن الكريم	١٣٠
الرؤيا الصالحة	١٣٢
حسن البلاغة ما استجابت له النفوس	١٣٤
عتاب النفس	١٣٦
* **القسم الثالث: طبائع الأخلاق**	١٣٨
صبر عروة بن الزبير	١٤١
شؤم النميمة	١٤٣
الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون	١٤٥
احذروا الرياء	١٤٦
التنكر للجميل	١٤٨
العيناء والعوراء	١٤٩

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

❑ ❑ ❑

صـــدر للمؤلف

١ ـ منهج الإسلام في تزكية النفس (وأثره في الدعوة إلى الله تعالى).

٢ ـ أمراض النفس.

٣ ـ شفاء النفس وغذاء الروح.

٤ ـ ورتل القرآن ترتيلاً: «وصايا وتنبيهات في التلاوة والحفظ والمراجعة».

٥ ـ آداب طالب العلم «منهج تربوي توجيهي للمعاهد القرآنية».

٦ ـ التخلف العلمي في واقع المسلمين المعاصر.

٧ ـ نور الدين محمود زنكي.

٨ ـ دروس من الهدي النبوي.

٩ ـ وبلغ أربعين سنة.

١٠ ـ ميدان السباق.

١١ ـ مشاهد من بيوت الصحابة «تأملات وتوجيهات للشباب والفتيان».

١٢ ـ الصيام والقرآن.

يصدر قريباً بعون الله تعالى

١ ـ صحابة رسول الله ﷺ وجهودهم في تعليم القرآن الكريم والعناية به.

٢ ـ دليلك إلى السعادة والنجاح في الحياة.

٣ ـ من نفائس الوصايا.

٤ ـ الفتور والسلبية في حياة المعلمين والدعاة.